

السنة الاولى - العدد الثاني - كانون الاول "ديسمبر" ١٩٧٨ - الموافق ذو الحجة ١٣٩٨

• القصو[illegible] في سوريا
• ظاهرة الما[illegible] بيتان
• تا[illegible]يخ التبغ و[illegible]


■ الموسيقى الأوتوماتيكية
... مِن عَصْر العلب
الى عَصْر الكهرباء ..

السنة الأولى
العدد الثاني
كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨
محرم ١٣٩٨ هـ

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني : شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج : المطابع التعاونية الصحفية
التوزيع : الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمجلات
الإعلانات : يتفق بشأنها مع الإدارة

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

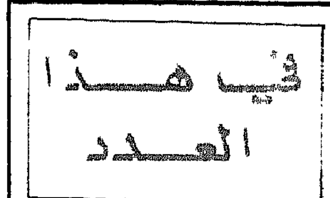
ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الأردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	مسقط :	٨٠٠ بيزة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL 1.
N°2 Nov, 1978
PRICE: 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIP-
TION:
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUN-
TRIES



■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم، تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع		الصفحة

■ المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

■ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر.

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة.



شكراً .. ومعاً على الطريق ..

شكراً .. ومعاً على الطريق،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" أن تقول اكثر من هذه الكلمات، في مطلع عددها الثاني، للقارىء الذي استقبلها بتجاوب وحب وتشجيع منذ العدد الاول.

شكراً .. ومعاً على الطريق،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" أن تقول اكثر منها أيضاً، للمفكرين والباحثين العرب والاجانب الذين ساهموا في عددها الاول واعطوا ـ اضافة الى مساهمتهم ـ من افكارهم واقتراحاتهم في عددها الثاني... واعربوا عن ثنائهم وتشجيعهم وتمنياتهم بالنسبة للمستقبل.

شكراً.. ومعاً على الطريق،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" ان تقول اكثر منها، لمراكز الابحاث والجامعات والمؤسسات التي غمرتها بالعطف وطلبت الاشتراك فيها منذ العدد الاول.

لكن تبقى كلمة لا بد منها.

فالاعداد الاولى لاي عمل صحافي تبقى اعداد تجربة، فيها من الجهد بقدر ما فيها ايضاً من اخطاء وعيوب... ابتداء من الاخراج الى التصحيح الى المشاكل مع الصورة والمطبعة واللون ونوع الورق.

و"تاريخ العرب والعالم" تريد أن تعترف بأن عددها الاول لم يكن الا جزءاً صغيراً من طموحها الكبير.. وتريد ان تتمنى ان يكون عددها الثاني هذا أقل عيوباً واكثر اكتمالا على الطريق اياه... الى الطموح الكبير.

فغايتنا اعادة كتابة التاريخ العربي ووضعه أمام جماهير هذه الامة العربية، المترامية بين المحيط والخليج.

وهي مهمة صعبة، بل وصعبة جداً... تعترف.

خصوصاً اذا كان المقصود ايضاً هو أن تكون مطبوعة على ورق مصقول، واخراج جيد، والوان جميلة... ومع الصورة التاريخية القيمة التي لا توجد غالباً الا في المتاحف العالمية الكبرى وفي الغرف المقفلة في المكاتب..

المهمة صعبة جداً، ولكن "تاريخ العرب والعالم" نذرت نفسها لها... وكل أملها ان تنجح.

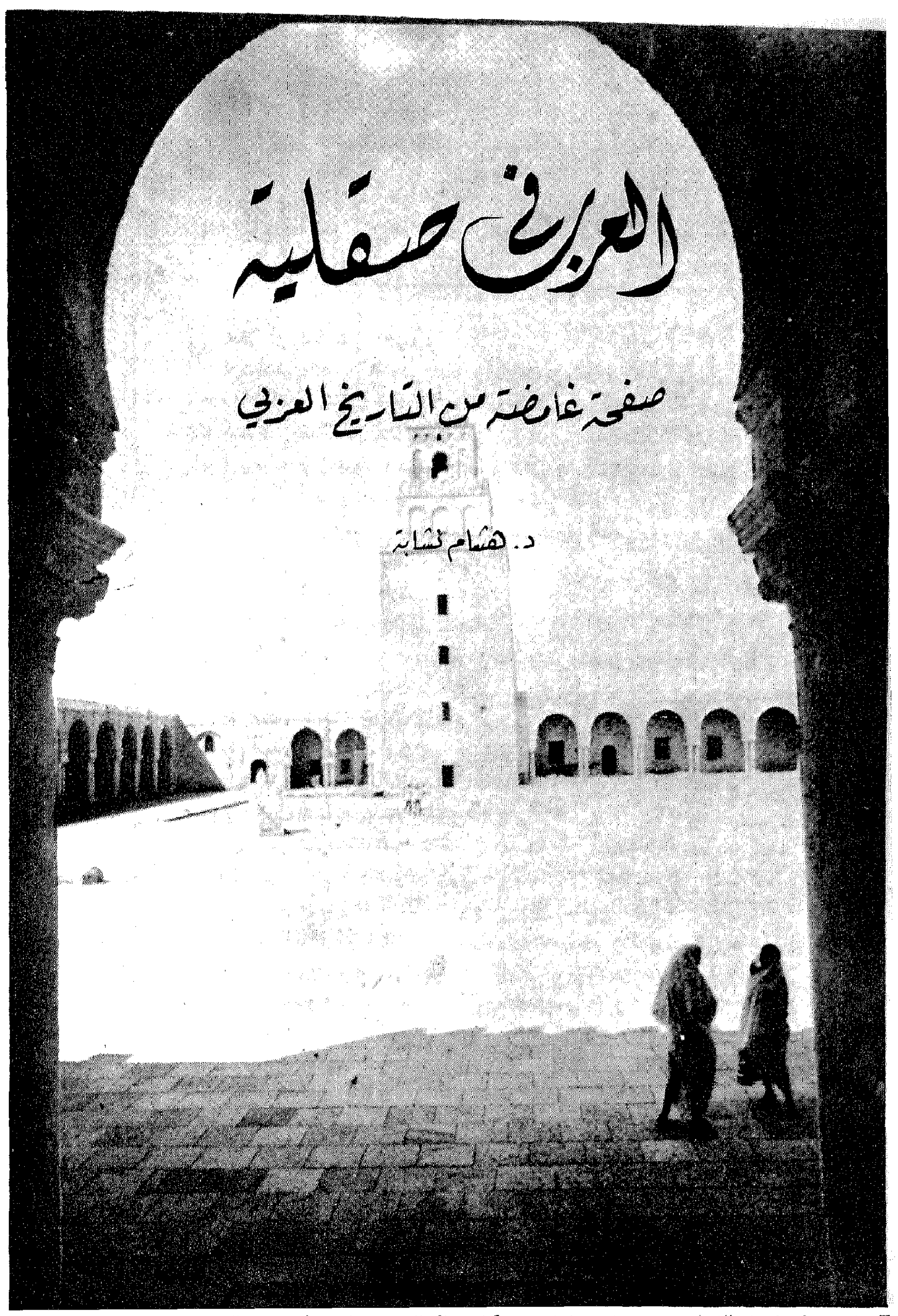
ولعل تجربة العدد الاول والتجاوب معه، دليلان على الطريق.

"اسرة التحرير"

العرب في صقلية

صفحة غامضة من التاريخ العربي

د. هشام نشابة



■ جامع سيدي عقبة في القيراون ـ تونس ـ القرن السابع ـ من كتاب روائع الاسلام ـ ويلفريد بلنت ـ ص ٣٦

■ د. هشام نشابه: عميد التربية والتعليم في جمعية المقاصد الاسلامية في بيروت، استاذ الفكر الاسلامي في الجامعة الياسوعية والجامعة الاميركية، خريج جامعتي مانحيل وهارفرد

عندما اخترت الكتابة عن هذه الصفحة الغامضة من تاريخ العرب شعرت انني اقدم على مجازفة فكرية قد لا اخرج منها بسلام، فتاريخ الفتوحات البحرية لم يلق من الدارسين للتاريخ العربي والاسلامي اهتماما يذكر. ثم اعترف انني لا افقه من فنون الملاحة وعلومها شيئا وبالتالي لا استطيع ان أبدي رايا في مهارة الملاحين العرب ودرايتهم في فنهم الجليل الذي حملهم الى فتوحات مهمة في البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي.

ثم ان فتح الجزر ليس من الاهمية في نظر العديد من المؤرخين بحيث يستهويهم او يشحذ هممهم لبذل جهود خاصة للتعرف اليه. مع ان لكل جهد يبذل في هذا السبيل مبررات جليلة، اولها التعرف الى الماضي... الى دقائق الماضي العربي... اوليس هذا الهدف الاسمى للمؤرخين العرب؟ ثم ان جزر البحر الابيض المتوسط هي ابعد الحدود التي وصلت اليها فتوحات العرب في هذه المنطقة، وبالتالي فهي نقاط الالتقاء والتفاعل بين الحضارة العربية الناشئة والحضارة الاوروبية. ففي المناطق الحدودية هذه تعرّف الاوروبيون عن كثب الى العرب، وتعرف العرب الى الاوروبيين. وتبادلوا السلع والمعارف على اختلافها وتزاوجوا وتشاركوا في إعمار الارض. واكاد اجزم ان هذه النواحي الحضارية والايجابية غلبت على النواحي السلبية واوجه الصراع الحربي الذي غالبا ما يستأثر باهتمام المؤرخين.

لهذه الاسباب، واحياء لصفحة مجيدة من ايام العرب، اسوق هذا الحديث.

يبدو ان العرب منذ مطلع العهد الاموي كانوا يتوقون الى السيطرة على البحر الابيض المتوسط. فقد ادركوا منذ تأسيس ملكهم ان هذا البحر ذا الاهمية التاريخية البالغة كان السبيل الذي يسلكه الفاتحون لاحتلال شواطئه. وبالتالي فأن الجزر المنتشرة في هذا البحر هي القواعد المتقدمة للغزاة الاوروبيين والعرب على حد سواء.

لذلك، نرى معاوية بن ابي سفيان يبادر الى بعث الجيوش والاساطيل لاحتلال جزر البحر الابيض المتوسط ابتداء بجزيرة قبرص حتى رودس وكريت (اقريطش) ثم صقلية وجزر غربي المتوسط.

ويذكر لنا المؤرخون العرب عددا من امراء البحر العرب منهم جنادة بن ابي امية الازدي الذي فتح جزيرة رودس ويقول عنه الواقدي في فتوح الشام، "وجنادة احد من روى عنه الحديث، ولقي ابا بكر وعمر ومعاذ بن جبل ومات سنة ٨٠ للهجرة، فتح رودس عنوة.... وأمّره معاوية فأنزلها قوما من المسلمين وكان ذلك في سنة /٥٢/ هجرية /٦٧٣/ ميلادية" ويقول البلاذري في فتوح البلدان: "وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي وغيره، قالوا، اقام المسلمون برودس سبع سنين في حصن اتخذ لهم، فلما مات معاوية كتب يزيد الى جنادة يأمره بهدم الحصن، والقفل - اي الرجوع الى بلاد الشام - وكان مجاهد بن جبر مقيما بها يقرىء الناس القرآن."

وجنادة هذا هو الذي فتح جزيرة كريت ولا ندري ان كان وصل الى ابعد منها.

ويبدو ان هذه الجزر كانت تستعمل كمنفى لغير المرغوب فيهم من رعايا الدولة. فقد ذكر البلاذري ان معاوية "كان يعاقب بين الناس فيها."

اما بالنسبة لصقلية بوجه خاص فقد كان اول اتصال للعرب بها في عهد معاوية بن ابي سفيان اول خلفاء بني امية. غير ان هذا الاتصال لم يرق الى درجة الفتح بل كان مجرد غزوات قصيرة المدة وقليلة الفائدة.

يقول البلاذري في فتوح البلدان: "غزا معاوية ابن حديج ايام معاوية بن ابي سفيان صقلية (ورد اسمها بالصاد والسين) وكان اول من غزاها، ولم تزل تغزى بعد ذلك..." ويذكر الواقدي ان عبد الله بن مخلد الذرقي "سبى صقلية فأصاب اصنام ذهب وفضة مشكلة بالجوهر فبعث بها الى معاوية ابن ابي سفيان، فوجه بها معاوية الى البصرة لتحمل الى الهند فتباع هناك ليثمن بها."

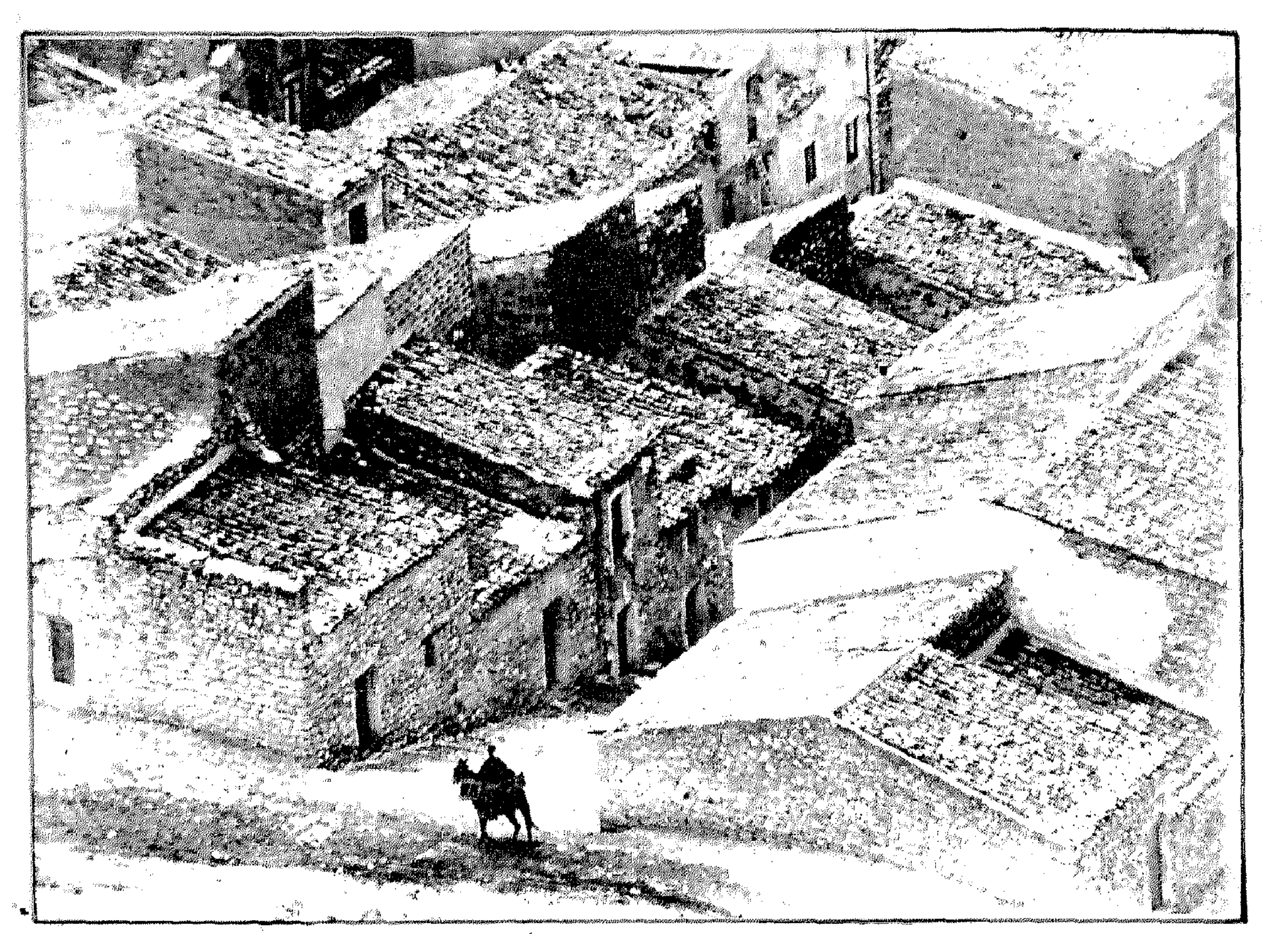
اما فتح صقلية فكان لا بد له ان ينتظر حتى ايام حكم الاغالبة في تونس (١٨٤ - ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ - ٩٠٩م) وكانت عاصمتهم القيروان وقد امتاز عهدهم بالانشاءات المهمة فهم الذين اعادوا بناء جامع عقبة بن نافع المشهور والذي ما يزال الى يومنا هذا من اهم معالم الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا. ويقال ان محراب هذا الجامع هو المحراب نفسه الذي بناه عقبة بن نافع فاتح الشمال الافريقي ايام الفتوحات الاسلامية الكبرى. كما بنى الاغالبة الاقنية وبرك المياه الضخمة مما يشهد لعصرهم بالازدهار والتقدم.

ومؤسس سلالة الاغالبة هو ابراهيم الاول (١٨٤ - ١٩٦هـ/ ٨٠٠ - ٨١٢م) وكان شخصية من الطراز الممتاز علما وحنكة وشجاعة، وكان يدين بالولاء للخلافة العباسية في بغداد.

ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان القاضي اسد ابن الفرات هو الذي قاد الحملة الاولى على صقلية



■ قرية الجم – تونس. من كتاب "المتوسط" لفرناند بروديل.



■ [illegible] "المتوسط" [illegible]

وكان يومئذ قاضي القيروان.

يقول البلاذرى ان في عهد الاغلب بن سالم تم فتح ما يزيد عن عشرين مدينة في صقلية ثم تابع الفتح من بعده ابو محمد زيادة الله (٢٠١ - ٢٢٣هـ/٨١٧ - ٨٣٨م) ثم تابع الفتح ابو ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب (٢٤٢ - ٢٤٩هـ/٨٥٦ - ٨٦٣م) غير ان هذا الاخير حرص بالدرجة الاولى على تثبيت الحكم الاغلبي والقيام بالاعمال الانشائية وينسب اليه البلاذرى "فتح قصر يانه وحصن غليانه ولعل الاخير تعريب لـ Castrogiovanni غير ان فتح هذين الموقعين وغيرهما قد تم على الارجح في عهد ابو اسحق ابراهيم الثاني بن احمد (٢٦١ - ٢٨٩هـ/٨٧٥ - ٩٠٢م) فالمعروف ان في عهد هذا الامير اتسعت فتوحات الاغالبة في جزيرة صقلية فاستولوا على مدينة "سيركيوز" سنة ٢٦٤/٨٧٨٠ وفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م عيّن ابراهيم الثاني ابنه عبد الله حاكما على الجزيرة فتمكن من السيطرة على مدينة بالرمو وقصر يانه المذكور آنفا.

يقول بعض المؤرخين ان الغاية من فتح صقلية كانت صرف جهود العرب عن الصراعات الداخلية في افريقيا الى فتح خارجي (راجع دائرة المعارف الاسلامية النسخة الانكليزية الطبعة الجديدة المجلد الاول ص ٢٤٨) غير ان الارجح ان دولة الاغالبة التي كانت حريصة على تثبيت دعائم الاسلام في المجتمع الافريقي والاخذ بالجهاد، وهو ركن من اركان الدين، فوجهت قواها الى جزيرة صقلية حيث كان يكمن خطر الاغارة على السواحل العربية الافريقية من قبل البيزنطيين.

وادراكا لهذا الخطر انصرف الاغالبة الى بناء الرباطات والحصون على طول الساحل الافريقي وما تزال اثارهم في هذا المجال باقية في سوسة ومناستير وخاصة في سفاقس. ويقول ابن خلدون ان الامير ابو ابراهيم احمد بنى /١٠،٠٠٠/ حصن من الحجر في البلاد التي كانت تحت حكمه.

وقد استفادت صقلية اثناء حكم الاغالبة من نشاطهم الاعماري الواسع، فانشئت فيها الجوامع والمدارس وخصصت لها الاوقاف وعرفت نشاطا ثقافيا وتجاريا واسعا، لم يكن معروفا في بلاد اوروبا انذاك. فقد كانت صقلية "قليلة العمارة خاملة قبل الاسلام" كما يقول ياقوت الحموي. ويذكر ياقوت العديد من المواقع في صقلية التي تحمل اسماء عربية.

ويضيف بأن "في بَلَرم والخالصة والحارات المحيطة بها ومن ورائها من المساجد نيف وثلاثماية مسجد... وقد رأيت في بعض الشوارع في بلرم على مقدار رمية سهم عشرة مساجد..." (راجع ياقوت، معجم البلدان، الجزء الثالث طبعة بيروت ١٩٥٧ ص ٤١٩) ويذكر من رجال القضاء فيها عثمان بن الخزاز وابي ابراهيم اسحق بن المالحي.

كما انتشرت في مدينة بلرم بيوت العلم حتى قال ياقوت "والغالب على اهل المدينة المعلمون، فكان في بلرم ثلاثمائة معلم"

وقدر لصقلية ان تشارك الساحل الافريقي مصيره، ففي مطلع القرن العاشر الميلادي عندما تمكن الفاطميون من السيطرة على شمالي افريقيا وان يقضوا على حكم الاغالبة في تونس صار جزء من الجزيرة تحت الحكم الفاطمي بينما بقي الجزء الاخر يؤيد الامير الاغلبي فيها. ثم ما لبثت ان اصبحت الجزيرة كلها تحت الحكم الفاطمي. ويصعب تحديد تاريخ انتقال الحكم في الجزيرة من الاغالبة الى الفاطميين نظرا لاضطراب الاحداث في هذه الفترة.

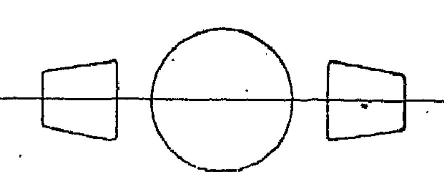
غير ان الثابت تاريخيا ان الحكم الفاطمي في صقلية كان حكما عسيرا تخللته الثورات الداخلية التي كان يمدها البيزنطيون بالمال والعتاد. ففي سنة ٩٤٧م قامت ثورة عارمة ضد الحكم الفاطمي غير ان الحاكم الفاطمي استطاع ان يسيطر على الوضع منزلا بالثوار من اهل البلاد هزيمة منكرة.

وتأييدا للسيطرة الاسلامية في الجزيرة بنى الفاطميون جامعا عظيما في Regio di Colabra وهددوا بهدم كنائس الجزيرة كلها ان هدم حجر واحد من هذا الجامع - هكذا ورد في تاريخ ابن الاثير. ولا يستغرب هذا التهديد والوعيد فقد كان الفاطميون قد بلغوا آنذاك اوج مجدهم في شمالي افريقيا.

وبقيت السيطرة الفاطمية في صقلية حتى مطلع القرن الحادي عشر عندما تمكن بعض ملوك النورمان من السيطرة على جنوبي ايطاليا وقسم من صقلية. وهكذا بدأ تقلص سلطة الفاطميين في الجزيرة تدريجيا حتى زال حكمهم عنها تماما.

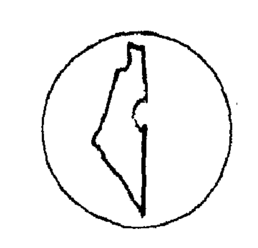
وعادت صقلية تلعب دور القاعدة البحرية المتقدمة التي تستعملها ممالك اوروبا في عهد الصليبيين وبعد ذلك للاغارة على السواحل الافريقية.

هذه صفحة غامضة من تاريخ الفتوحات العربية تذكر على هامش هذه الفتوحات، كما كانت صقلية على هامش الامبراطورية العربية في عهدها الذهبي.



كلمات عاشت

- ليس في حياة الافراد، ولا في حياة الشعوب خطأ لا يمكن اصلاحه. فالرجوع الى الصواب يمحو جميع الاخطاء "غاندي"
- خير الامم، أمة يتأثر فيها جميع الافراد للاهانة التي تقع على واحد منهم "صولون"
- كل شيء في الملكات الانسانية يقوى بالتمرن والاعتياد "لطفي السيد"
- ليس اشرف للرجل من ان يموت وسلاحه في يده "ديموستين"
- اخفى شيء على الانسان نفسه، وليس من السهل عليه ان يعرف دخائلها "الشيخ محمد عبده"
- يا جامع العلم تعلم العلم، فان قلبا ليس فيه شوق للعلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له "أبو ذر الغفاري".
- من كان لا يبصر غير محاسنه ومساوىء الغير فالضرير خير منه "ميخائيل نعيمه"
- لو لم يكن صواب، لم يكن خطأ، ولو لم يكن برهان، لم يكن شغب مخالف للبرهان "ابن حزم".



هل تعلم؟

د. فايز صايغ

■ ان توصية الجمعية العامة للامم المتحدة الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ بخلق "دولة يهودية" كانت خارج نطاق صلاحيات الجمعية العامة وسلطاتها المنصوص عليها في ميثاق الامم المتحدة؟

■ وان الجمعية العامة رفضت، او تجاهلت، جميع محاولات الدول العربية والبلدان الاسيوية الاخرى لعرض مسألة دستورية تلك التوصية على محكمة العدل الدولية لابداء "رأي استشاري" بشأنها؟

■ وان الجمعية العامة، عندما بدأت "اعادة النظر" في المسألة في دورتها الخاصة الثانية عام ١٩٤٨، لم تؤكدمرة أخرى توصية عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين ـ فكان في ذلك القضاء النهائي على اي "شرعية" مزعومة كان يمكن للتوصية بانشاء "دولة يهودية" أن توصف بها؟

■ وان الدول التي وافقت، في جولة التصويت الاولى، على توصية عام ١٩٤٧ الاصلية بانشاء "دولة يهودية" في فلسطين، كانت الدول الاوروبية والاميركية ودول القارة الاسترالية وحدها، بينما صوتت ضد هذه التوصية جميع الدول الاسيوية والافريقية (باستثناء اتحاد جنوب افريقيا).

■ وانه، عندما أخذت الاصوات في الجلسة العامة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧، لم تنجح الضغوط الاميركية الملحة (التي وضعها عضو في وزارة ترومان بأنها "كادت أن تكون فضيحة") الا مع بلد آسيوي واحد (الفلبين) وبلد افريقي واحد (ليبريا) كانا يخضعان ـ بصورة خاصة ـ للضغط الاميركي من أجل التخلي عن معارضتهما التي سبق لهما ان اعلناها؟

■ وبمعنى آخر، ان "الدولة اليهودية" قد غرست في نقطة التقاء أسيا وافريقيا دون الحصول على تأييد حر من أي بلد في الشرق الاوسط او آسيا او افريقيا، ما عدا اتحاد جنوب افريقيا الذي تحكمه اقلية غريبة؟

■ وان اسرائيل بقيت، منذ بداية نشوئها، غريبة بالمرة في العالم الاسيوي الافريقي الجديد؟ وان اسرائيل لم تقبل في أي مؤتمر دولي لحكومات الدول الآسيوية الافريقية او اي مؤتمر لحكومات الدول غير المنحازة؟

■ انه، منذ تم توقيع اتفاقيات الهدنة، عام ١٩٤٩، واصلت اسرائيل ممارسة سياسة عدوانية: بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة، وبغزو اراضي الدول العربية المجاورة، بصورة متكررة؟

■ وان مجلس الامن والجمعية العامة للأمم المتحدة قد وجها الى اسرائيل، بسبب هذه الهجمات العسكرية، لوماً او ادانة في احدى عشرة مناسبة: خمس مرات من قبل مجلس الامن، وست مرات من قبل الجمعية العامة؟

حروب القدس في التاريخ العربي



العقيد الدكتور
ياسين سويد

■ فارس عربي بعدته وحصانه.

القدس، أو بيت المقدس، أو البيت المقدس، تلك هي بعض اسماء المدينة العريقة في تاريخها الممتد حتى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، والتي هي في نظر المسلمين اولى القبلتين وبها ثالث الحرمين، وفي نظر العالم أجمع موئل كل الديانات السماوية، يهودية ومسيحية واسلامية بنتها القبائل العربية المسماة "قبائل اليبوسيين" لخمسة آلاف عام خلت، وشهدت، بعد ذلك، لاجلها، وفوق حصونها واسوارها، صراعا طاحنا ومريرا بين مختلف الحضارات التي استقرت فوق ارض الشام، وتوالت عليها الحروب والفتوح، فحكمها الكنعانيون (في القرن السادس عشر قبل الميلاد) وسموها اورو ـ سالم او مدينة السلام ومن هذا الاسم اشتق اسم... أورشليم.. الذي يدعي اليهود، زورا، أنهم اول من اطلقوه عليها، ثم حكمها الفراعنة المصريون (في القرن الرابع عشر قبل الميلاد) فالعبرانيون (في القرن الحادي عشر ق.م)، فالبابليون (٥٩٩ق.م.)، فالفرس (٥٣٨ق.م.) فاليونان (٣٣٢ق.م.) فالرومان، وقد سموها ايلياء (٦٣ق.م.)، ثم العرب المسلمون (٦٣٦م).

وبالاضافة الى موقعها التاريخي والديني المهم في نظر العالم أجمع، تعتبر القدس ذات موقع جغرافي استراتيجي ممتاز، اذ انها قامت بين عدد من الجبال أهمها جبل الزيتون أو الطور الذي ورد ذكره في الاية الكريمة (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) وجبل المشهد وسكوبس، وجبل النبي داود، وجبل المكبّر (حيث كبّر الفاروق عمر بن الخطاب ثلاثا حين رأى المدينة يوم جاء ليشهد فتحها) فكانت ثغر الشام للقادم اليها

■ العقيد ياسين سويد: ـ ضابط في الجيش اللبناني يرأس حاليا احدى هيئات المحكمة العسكرية اللبنانية ـ مجاز في الحقوق من الجامعة اللبنانية، دكتور في التاريخ من جامعة ليون، مؤلف كتاب "معارك خالد بن الوليد" اسهم في وضع "الموسوعة العسكرية العربية"، ولديه حاليا قيد الاعداد للطبع: ـ التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين (المعنية والشهابية): جزءان ـ من تاريخنا: معارك

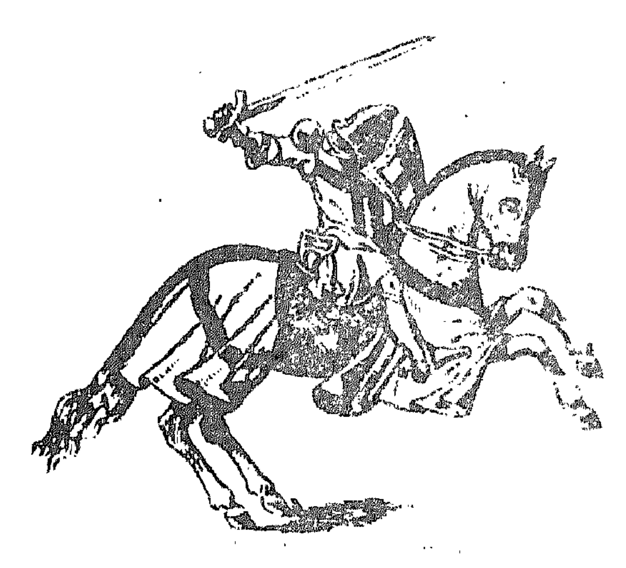
من مصر، وبوابة مصر للقادم اليها من الشام، ومفتاح فلسطين كلها.

الا ان ما يهمنا، في هذا البحث، هو حروب القدس في التاريخ العربي، وأهم هذه الحروب ثلاث هي:

١ ـ تحرير القدس من الروم البيزنطيين على يد عمرو بن العاص في القرن الهجري الاول (١٥هـ)، أو الميلادي السابع (٦٣٦م).

٢ ـ تحريرها من الصليبيين على يد صلاح الدين الايوبي في القرن الهجري السادس (٥٨٣هـ)، أو الميلادي الثاني عشر (١١٨٧م).

٣ ـ الاحتلال الصهيوني للقدس في القرن الهجري الرابع عشر (١٣٦٨و١٣٨٧هـ)، أو الميلادي العشرين (١٩٤٨و١٩٦٧).



فارس صليبي بالدرع.. ويمسك بيده اليمنى رمحا طويلا

تحرير القدس من الروم البيزنطيين (١٥هـ ـ ٦٣٦م)

بعد أن أستتب الامر للمسلمين في الجزيرة العربية وقضى ابو بكر على فتنة الردة قضاء مبرما، قرر ان يتجه بجيوشه لفتح العراق والشام، فارسل خالد بن الوليد والعياض بن غنم والمثنى ابن حارثة الشيباني لفتح العراق، وارسل لفتح الشام يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وابا عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص.

وكانت مهمة هذا الاخير فتح فلسطين على رأس جيش قوامه نحو سبعة آلاف مقاتل، وقد أوصاه بما يلي: "اذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وشرحبيل، بل اسلك طريق ايلياء (القدس) حتى تنتهي الى أرض فلسطين، وابعث عيونك يأتونك بأخبار ابي عبيدة، فان كان ظافرا بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين، وان كان يريد عسكرا فانفذ اليه جيشا في اثر جيش..."

وكان انطلاق عمرو الى فلسطين في أواخر عام ١٢هـ (٦٣٣م) فسلك الطريق الساحلية بمحاذاة البحر الاحمر حتى العقبة فالبحر الميت، ولاقى في اثناء تقدمه بعض المقاومة من قوات الروم فكان يهزمها في كل مرة حتى تمكن من الاستيلاء على قسم من فلسطين الشرقية والجنوبية واتجه بجيشه نحو القدس، ولكنه علم أن الروم قد اعدوا للقائه جيشا لن يقوى على الظفر به ان هو قاتله، فانحاز الى غور الاردن متجنبا الاشتباك مع العدو، ثم كتب الى الخليفة ابي بكر يستأمره فأمره بالاتصال بزملائه في بصرى، حيث خاض الى جانبهم معركة المسلمين الحاسمة ضد الروم، في بلاد الشام، أعني اليرموك (١٣هـ ـ ٦٣٤م)، بقيادة خالد بن الوليد، وشارك في فتح دمشق وفحل (١٤هـ ـ ٦٣٥م)، بقيادة ابي عبيدة بن الجراح.

ثم عاد بعدها ليتابع مهمته في فلسطين، فابتدأ باجنادين حيث خاض فيها (عام ١٥هـ ـ ٦٣٦م) معركة عنيفة ضد قائد الروم المدعو ارطبون (القريب لكلمة Tribunus الرومانية وهي تعني القائد الاكبر الذي يلي الامبراطور)، فهزمه وارتد أرطبون وجنده ليحتموا باسوار المدينة المقدسة.

وتقدم عمرو لحصار القدس فحاصرها نحو اربعة أشهر الا أنه لم يتمكن من فتحها فأرسل الى الخليفة يستشيره ويستأمره (وكان الخليفة في ذلك الحين عمر بن الخطاب)، فقال عمر كلمته الشهيرة عندما وصله كتاب عمرو "قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب، فانظروا عم تنفرج"، وكان يقصد بذلك ان كلا القائدين من ادهي الرجال في قومهما.

وبينما كان عمرو بن العاص يحاصر القدس، كان زملاؤه من قادة المسلمين في الشام يجوبون أرجاء البلاد، غانمين منتصرين، فيحتل ابو عبيدة، ومعه خالد بن الوليد، حمص وحماه وقنسرين وحلب، ثم يسلك طريق الساحل جنوبا فيستولي على طرابلس حتى يصل الى حدود بيروت، ويحتل يزيد بن ابي سفيان الساحل الشامي من بيروت الى صيداء ويتصل بالقوات الاسلامية التي كانت قد احتلت صور وعكاء، ويحتل معاوية بن ابي سفيان قيسارية في أقصى الجنوب من الساحل الشامي.

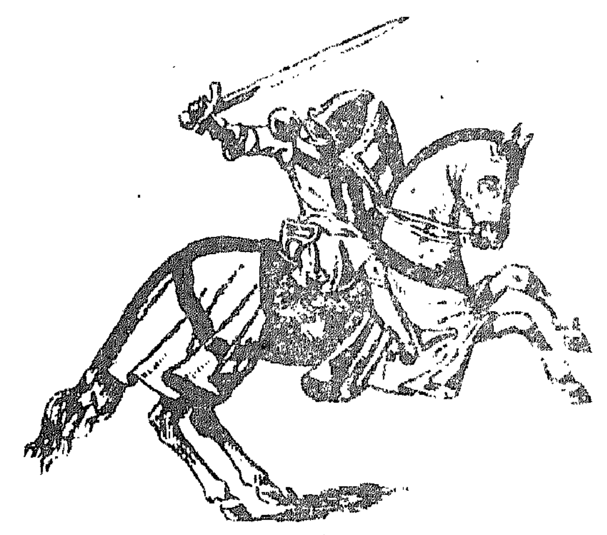
وتختلف روايات المؤرخين هنا، فمن قائل انه صعب على عمرو فتح بيت المقدس فكتب الى الخليفة عمر يستمده قائلا "اني اعالج حربا كؤودا صدوما، وبلادا أدّخرت لك، فرأيك" فكان هو المدد (الطبري). ومن قائل ان اهل ايلياء طلبوا من المسلمين الامان والصلح على أن يتولى العقد الخليفة عمر نفسه (الطبري في رواية اخرى والبلاذري). ومن قائل أن الذي فاوض الروم بشأن الصلح هو ابو عبيدة وليس عمرو بن العاص، يقول البلاذري في ذلك "فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك ـ أي بان يتولى الخليفة بنفسه عقد الصلح ـ فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق، ثم صار الى ايلياء، فأنفذ صلح أهلها". ويقول الطبري "وقيل: (في رواية

اخرى له): ان سبب قدوم عمر الى الشام كان ان ابا عبيدة حضر بيت المقدس فطلب اهلها منه أن يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب اليه بذلك فسارعن المدينة..

ومع اننا نرجح الرواية الاولى التي اوردها الطبري وهي ان فتح بيت المقدس تم على يد عمرو بن العاص - وليس على يد ابي عبيدة لان هذا الاخير كان في ذلك الحين منهمكا بفتح الساحل الشامي، خاصة وان ابا عبيدة لم يكن شاهدا على نص المعاهدة كما يتبين عند الطبري - وأن الصلح تم بحضور الخليفة عمر نفسه الذي جاء مع المدد الى فلسطين بناء لطلب من عمرو، الا أننا نتفق مع المؤرخين جميعا على ان عمر بن الخطاب، لما وصل الى الجابية، استقبل وفدا من اهل ايلياء جاؤوا يعرضون عليه الصلح وتسليمه المدينة، وقد تم ذلك بحضوره وحضور كبار القادة المسلمين في الشام (عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن ابي سفيان - كما يستدل من نص المعاهدة - وابو عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان)، وكان الخليفة قد استدعاهم الى الجابية للتشاور، وكان على القدس آنذاك الارطبون والاسقف صفرونيوس فاستقبلا الخليفة وادخلاه الى المدينة، وكان ذلك في العام ١٥هـ الموافق عام ٦٣٦م.

نص المعاهدة

وفي ما يلي نص المعاهدة كما أوردها الطبري: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين اهل ايلياء من الامان، أعطاهم امانا لانفسهم واموالهم، لكنائسهم وصلبانهم وسقمها وبريئها وسائر ملتها، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من اموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار احد منهم، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود، وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن اقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية، ومن احب من أهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن ابي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة" - انتهى -

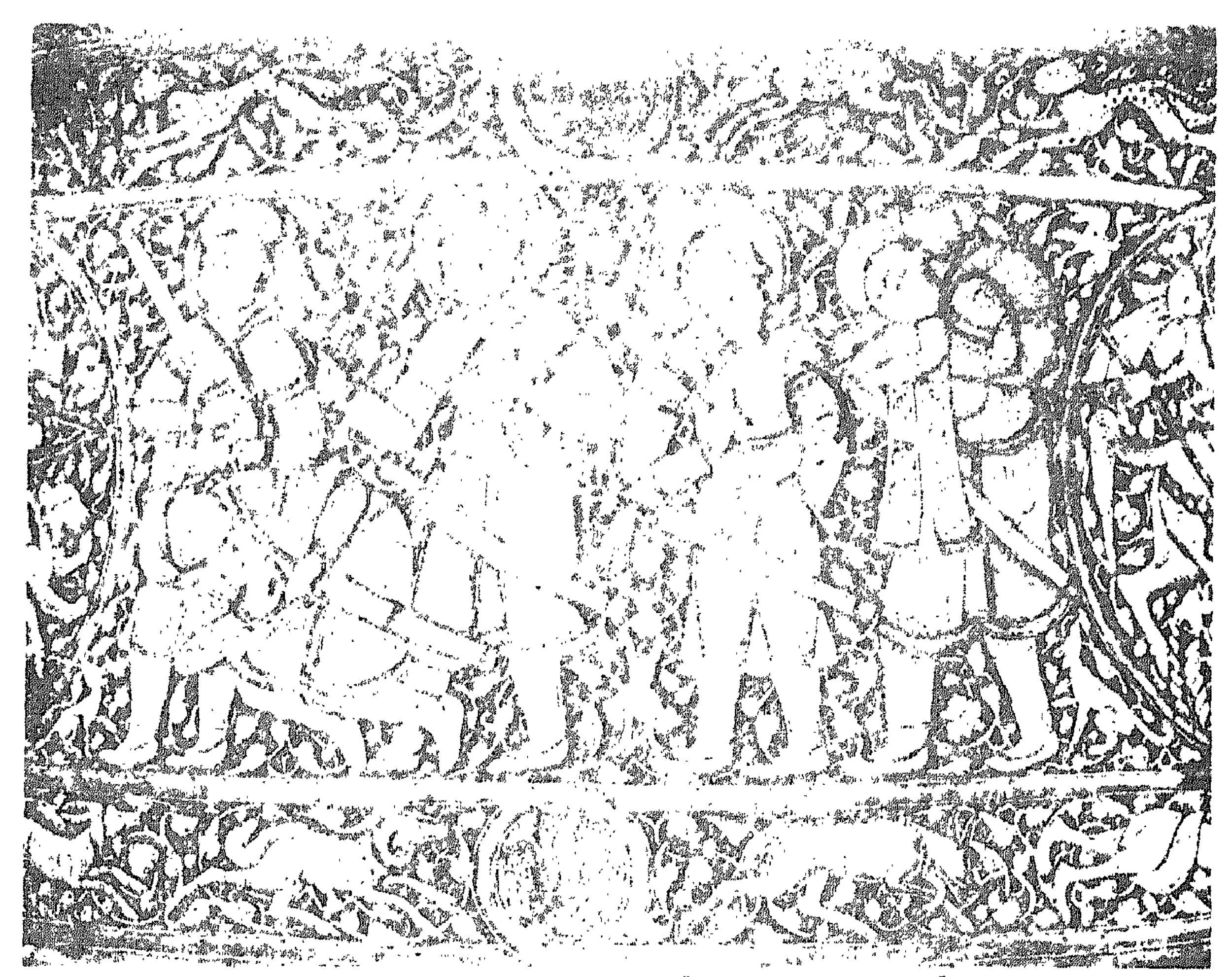


■ فارس صليبي بعدته وحصانه.

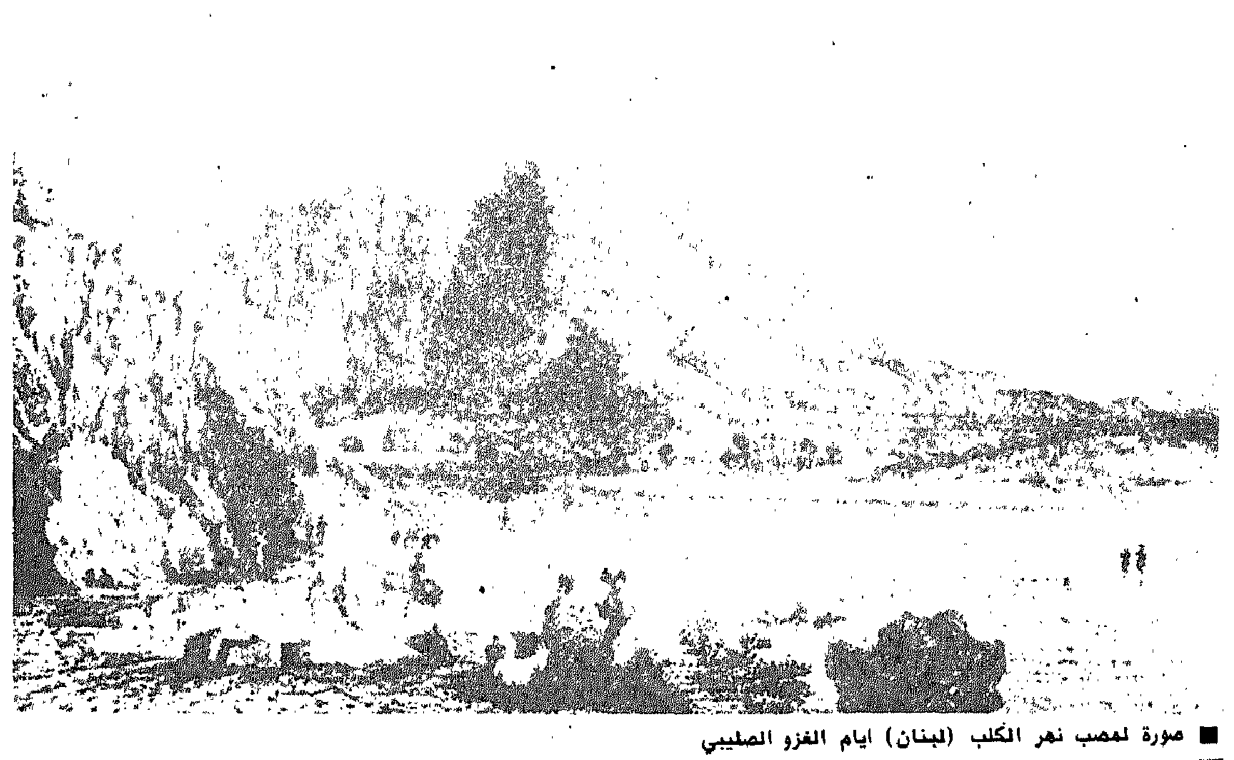
تحرير القدس من الصليبيين (٥٨٣هـ - ١١٨٧م)

احتل الصليبيون القدس في حملتهم الاولى على بلاد الشام (١٠٩٧ - ١٠٩٩)، وكان دخولهم اليها عام ١٠٩٩ بعد حصار دام شهرا وبعد ان قضوا على الحامية المصرية القليلة العدد التي كانت مرابطة بها، وقد كان عددها نحو الف مقاتل، بينما كان عدد الصليبيين نحو أربعين الفا منهم نحو عشرين الف مقاتل، وقد انشأ الصليبيون فور استيلائهم على بيت المقدس مملكة لاتينية جعلوا القدس عاصمتها ونصبوا عليها ملكا منهم هو "غودفروادي بويون"، الذي اطلق على نفسه لقب (بارون القبر المقدس وحاميه).

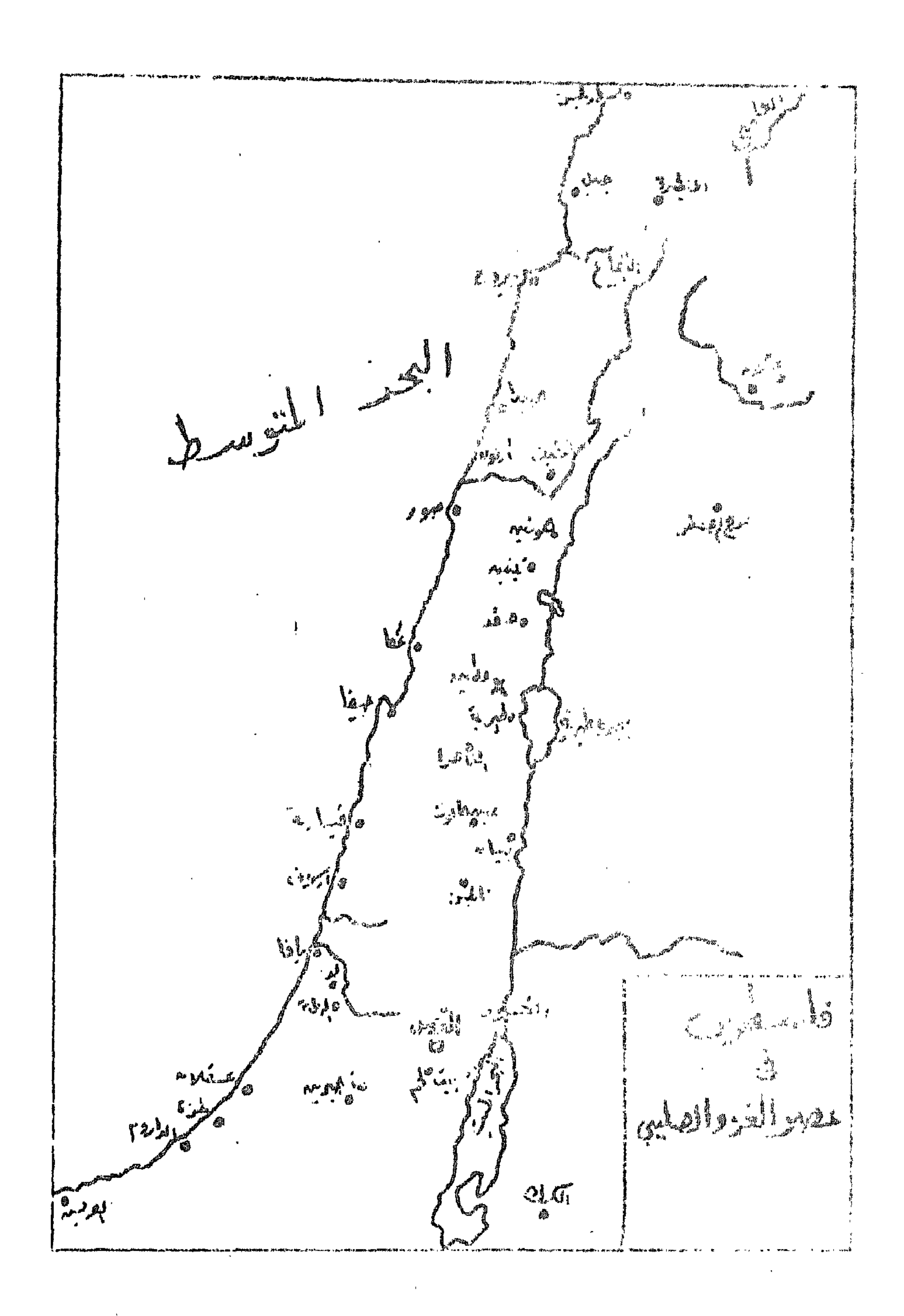
واستمر الصليبيون في حكم بيت المقدس طيلة ثمانية وثمانين عاما الى ان ظهر السلطان صلاح الدين الايوبي (١١٣٦ - ١١٩٣م) الذي انتصر على الصليبيين في معركة حطين الشهيرة (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) انتصارا حاسما، حيث اسر في هذه الوقعة معظم قادتهم، ومن اسراه فيها الملك غي دي لوسينيان Guy de Lusignan ملك بيت المقدس. ومن حطين انطلق صلاح الدين ليحرر فلسطين كلها، فاذا به في اواخر ايلول من العام نفسه (١١٨٧م) يدق ابواب المدينة المقدسة، منذرا حاميتها بالاستسلام او الابادة.



■ امراء المماليك حوالي القرن الثالث عشر من كتاب "تاريخ الصليبيين" ، ستيفن رانسيمان ، الجزء الثالث



■ صورة لمصب نهر الكلب (لبنان) ايام الغزو الصليبي



واجتمع بالمدينـة مـن الصليبييـن بطريركهـا المعظم (وكان اعظم شأنا من الملك) وباليان بن بيرزان صاحب الرحلة (وكان صلاح الدين قد أسره في حطين ثم أطلق سراحه بناء على وعد قطعه بان يبيت ليلة واحدة في القدس ثم يخرج منها بعائلته، الا انه اخلف وعده) وكانت مرتبته تقارب مرتبة الملك، كما اجتمع بها من نجا من مقاتليهم بعد حطين، ومن خلص من باقي المدن التي فتحها صلاح الدين بعدها، كعكا وحيفا وقيسارية ويافا وعسقلان والرملة وغزة وغيرها، وكانوا قد التجأوا جميعا الى بيت المقدس، فاجتمع في المدينة منهم نحو ستين الفا، بينما بلغ جيش صلاح الدين نحو خمسة وعشرين الفا (١٣ الفا من المشاة و١٢ الفا من الفرسان)٠

وضرب صلاح الدين حول القدس حصارا شديدا فنصب حولها المجانيق وبدأ بقصفها بينما كان النقابون ينقبون السور لفتح الثغرات فيه، وكذلك نصب الصليبيون المجانيق داخل سور المدينة

وبدأوا يقصفون قوات صلاح الدين، كما كان فرسانهم يخرجون من المدينة يوميا لقتال المسلمين ثم يعودون اليها.

مكث صلاح الدين حول سور المدينة بضعة ايام محاصرا لها، وكان في الوقت نفسه يدرس احوال السور ومواضع الوهن فيه بغية اعداد الهجوم على المدينة، وما ان اتم استطلاع السور حتى بدأ بوضع خطة الهجوم محدداً بالضبط نقاط الاقتحام ومطلعاً قادة جيشه على تلك النقاط.

وفي الوقت المحدد للهجوم انطلقت قواته مقتحمة المدينة من الجهة الشمالية حيث تمكن جنده من فتح ثغرة في السور من ناحية كنيسة صهيون ومن نواح اخرى فدخلت المدينة وازاحت الصليبيين عن مواقعهم ولكن الحامية الصليبية بقيت صامدة داخل المدينة وفي شوارعها، واستمرت مقاومة الصليبيين عنيدة وصلبة، واستمر الهجوم والحصار قاسيين وشديدين، الى ان يئست الحامية من امكان التغلب على المهاجمين فاسقط في ايدي قادتها، وكان الجوع والمرض والارهاق قد بدأ يفتك بجندهم وباهالي المدينة، فطلبوا من صلاح الدين التفاوض بغية الاستسلام.

ولكن صلاح الدين رفض التفاوض واصر على استسلام المدينة بلا شروط، وعندها هدد المحاصَرون بحرق انفسهم وعيالهم وحرق المدينة كلها بمن فيها وما فيها كما هددوا بقتل اسرى المسلمين، وكانوا نحو خمسة الاف اسير، ان لم يرض صلاح الدين بالصلح، فرضي القائد المسلم عندها شرط ان يرحل المحاربون من الاعداء عن المدينة ويبقى فيها الشيوخ والنساء والاطفال لقاء فدية. ودخل المسلمون القدس بعد حصار دام اكثر من اسبوع وكان سقوط القدس عاصمة المملكة اللاتينية في يد صلاح الدين في الثاني من تشرين الاول عام ١١٨٧م. وبسقوطها انهارت امام القائد المسلم معظم المدن والمواقع التي كانت لا تزال تحت سيطرة الصليبيين في معظم انحاء بلاد الشام.

(في العدد المقبل: الاحتلال الصهيوني للقدس).

المراجع

- فتوح البلدان للبلاذري
- تاريخ الرسل والملوك للطبري، الجزء الثالث
- كارثة فلسطين للكولونيل عبد الله التل، الجزء الاول
- معارك العرب الحاسمة لصبحي عبد الحميد
- تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي، الجزء الثاني
- حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى، الجزء الثاني
- تاريخ العرب العسكري لمحمود الدره
- معارك خالد بن الوليد للمقدم ياسين سويد
- قادة فتح الشام ومصر للواء الركن محمود شيت خطاب
- جندي بين العرب للجنرال جون فلوب تعريب دار العلم للملايين
- حروب الاسلام والامبراطورية الرومية لامين سعيد
- فلسطين عبر ستين عاما لاميل الغوري الجزءان الاول والثاني
- صلاح الدين الايوبي لقدري قلعجي
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت
- معارك العرب ضد الغزاة لمحمد عماره
- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب لمحمد العروسي المطوي
- مجلة الهلال، جند الله قادة الانتصارات العربية، ايلول ١٩٧٣
- مجلة الهلال، عدد خاص عن العواصم العربية، ايلول ١٩٧٤

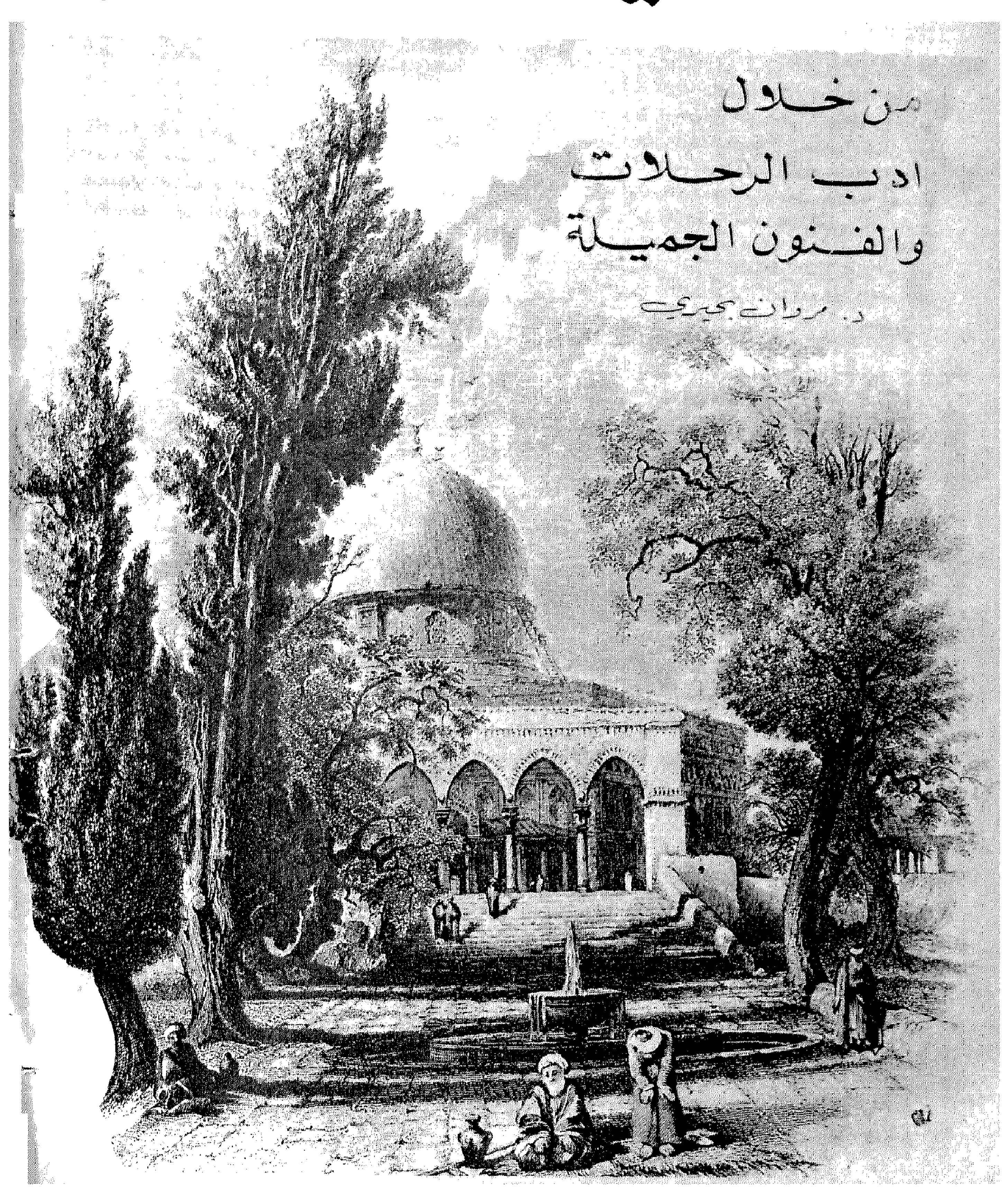
التاريخ والمؤرخ

(١) التاريخ، للأسف، لا ينفصل عن المؤرخ. "ب. فاليري"

(٢) حتى تكتب جيداً في التاريخ، يجب ان تكون في بلد حر. "فولتير"

(٣) "لتركيب" يوم واحد، نحتاج لسنوات من "التحليل". "فوستل دو كولانج"

مدينة القدس



من خلال أدب الرحلات والفنون الجميلة

د. مروان بحيري

■ قبة الصخرة للفنان ودورد عام ١٨٧٥!

نادراً ما نالت بقعة من بقاع الارض من الاهتمام ما نالته القدس على ايدي العلماء والادباء والفنانين ولا غرابة في ذلك إذ ان بهاء فلسطين وروعتها في المجالات الدينية والتاريخية والمعمارية بالاضافة الى موقعها الاستراتيجي البارز كلها امور يصعب على المرء ان يصفها كما تستحق • وقد اشار العديد من الادباء والفنانين الى صعوبة هذا الوصف والى العواطف الجياشة التي تكتنف الموضوع والعمل معاً •

وفي هذه الدراسة المصورة، حاولنا ان نجمع اعمال بعض الفنانين الغربيين من القرنين الثامن والتاسع عشر مع اضافة بعض الاستشهادات المنتقاة مما يزخر به ادب الرحالة من العرب والفرس، الذين زاروا فلسطين بين القرنين العاشر والسابع عشر • والهدف من ذلك هو ابراز صورة عامة عن مدينة لم يتبدل بهاؤها وعن ارض لا تزال قبلة انظار مئة وخمسين مليون عربي ولربما انظار العالم باسره كذلك •

أما الفنانون فمن بينهم بارزون كالفرنسي ل • ف • كساس، مثلا، وهو ينتمي الى المدرسة الكلاسيكية الجديدة والذي رسم العديد من المشاهد في فلسطين وسوريا في العقود الاخيرة من القرن الثامن عشر، والاسكتلندي دافيد روبرتس الذي زار الشرق العربي في الاربعينات من القرن التاسع عشر والذي تعتبر اعماله ذات قيمة خاصة، خصوصاً تصويره الباهر لطراز البناء القديم ومن بينهم ايضاً الاميركيان فن و وودورد اللذان رسما رسوماً تخطيطية في السبعينات من القرن الماضي وكذلك بعض الفنانين المغمورين نسبياً مثل دبدن وردهاردت وهارلي •

وفي ما يتعلق بالكتابات الوصفية التي تمجد الامتياز والقداسة الخاصين للقدس بنوع خاص، ولفلسطين بوجه عام، فأنها شاملة تماماً وذات قيمة ادبية وروحية عالية • واحد الامثلة البارزة هو برهان الدين الفزاري • احد مشايخ المسجد الاموي في القرن الرابع عشر الذي وضع دراسة بعنوان "كتاب باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس" •

أما في ما يختص بالادب العربي وبالكتب التي تصف فضائل القدس ومكانتها المقدسة بوجه خاص وارض فلسطين بوجه عام، فقدولينا اهتمامنا شطر ثلاثة علماء ورحالة من العرب وواحد من الفرس • فقد اتحفنا شمس الدين المقدسي حوالي ٣٧٥هـ /٩٧٥م وهو قدسي المنشأ كما تدل نسبته بكتاب عميق الفائدة يجمع بين ثناياه صورة متكاملة عن سوريا وفلسطين في القرن العاشر الميلادي وعما فيهما من تجارة وزراعة وصناعة ومواقع جغرافية • كما يرد فيه وصف شيق لبناء اسوار مدينة عكا البحرية اسنده المقدسي الى جده • والمقدسي في رأي الكثيرين كان ابرز جغرافي في ذلك العصر وقد اخترنا في ما يلي جملة من اقواله التي يبجل فيها المقدسي مدينة القدس ويقدمها على سائر المدن.

ويلي المقدسي ناصرّ خسرو البلخي (ولد سنة ١٠٠٣ ميلادية) الذي زار الشرق الادنى في طريقه لاداء فريضة الحج • وكان ناصر خسرو عالماً ثاقب النظر صائب القول كما كان رحالة شيق الاسلوب وقد دون ما رآه في كتاب شهير بعنوان "سفر نامه" •

أما محمد بن بطوطه الطنجي (ولد عام ١٣٠٠ للميلاد) فهو غني عن التعريف • فهو في رحلاته المترامية التي لا يكاد المرء ان يصدق اتساعها وفي وصفه الدقيق لكل ما شاهده، يوازي في مقامه واهميته معاصره الاوروبي الذائع الصيت ماركو بولو • وقد زار ابن بطوطه تباعاً نواحي افريقيا الشمالية ثم انتقل الى مصر فسوريا ففلسطين والجزيرة العربية والعراق وبلاد فارس وتركيا وروسيا • والهند والصين واندونيسيا • وفي طريق عودته، قام بزيارة لها اهمية خاصة الى مناطق افريقيا التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى ثم مملكة مالي العظيمة وملكها سليمان •

اما من الناحية التاريخية فان احدث النصوص التي اخترناها هو بقلم عبد الغني النابلسي الذي ولد في دمشق في سنة ١٦٣١ والذي يرجع نسبه الى مدينة نابلس • وقد كان النابلسي شاعراً وعالماً شهيراً له تصانيف عديدة اذ بلغت تصانيفه في رأي البعض ما بين ١٥٠ الى ٢٥٠ مؤلفاً • وقد زار النابلسي مدينة القدس في العام ١١٠١ للهجرة (١٦٨٩ ميلادية) ولقى كتابه "الحضرة الانسية في الرحلة القدسية" اهتماماً كبيراً في العالم الاسلامي بسبب وصفه للمزارات في فلسطين •

■ د • مروان بحيري: استاذ التاريخ المعاصر في الجامعة الاميركية في بيروت • خريج جامعة برنستون •

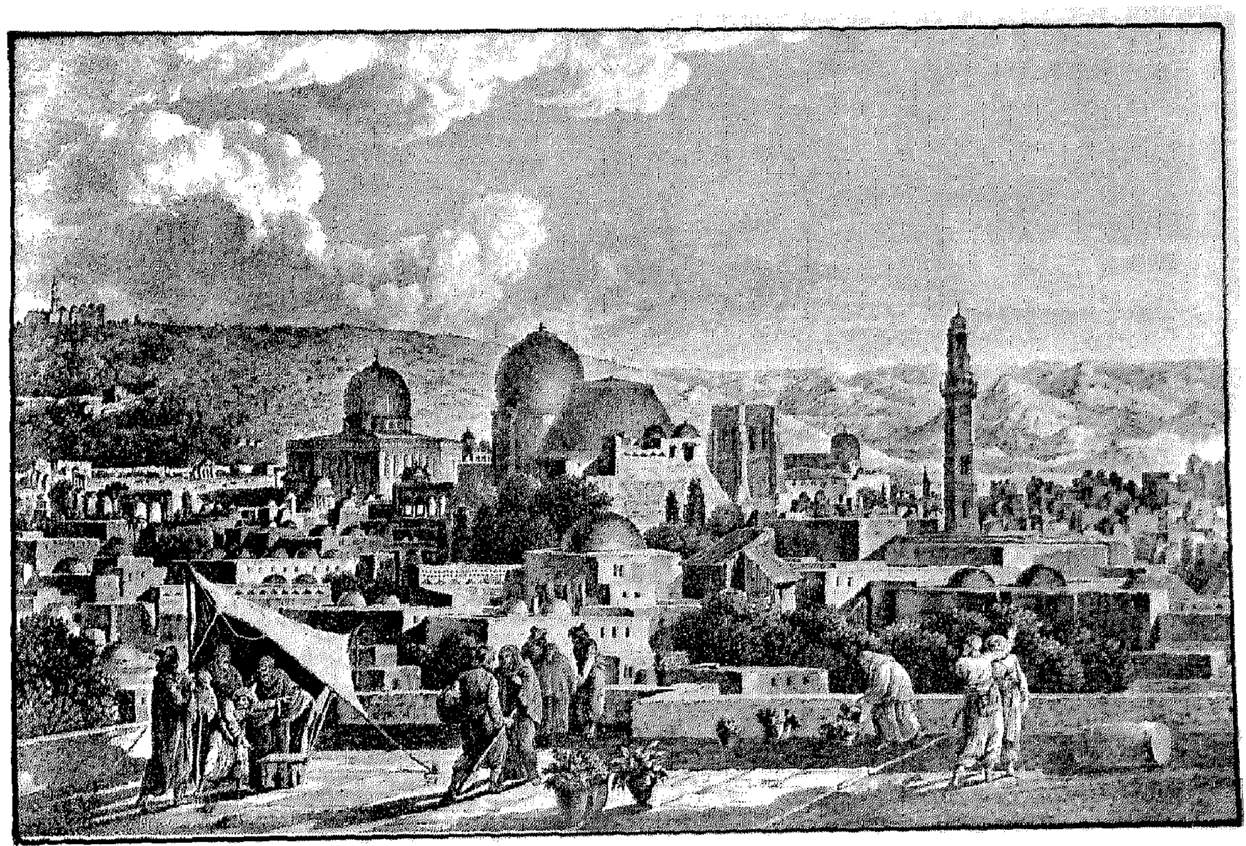
شمس الدين المقدسي

وفي وصف لمدينة القدس للاديب والعالم شمس الدين المقدسي في كتابه "احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم" يقول:

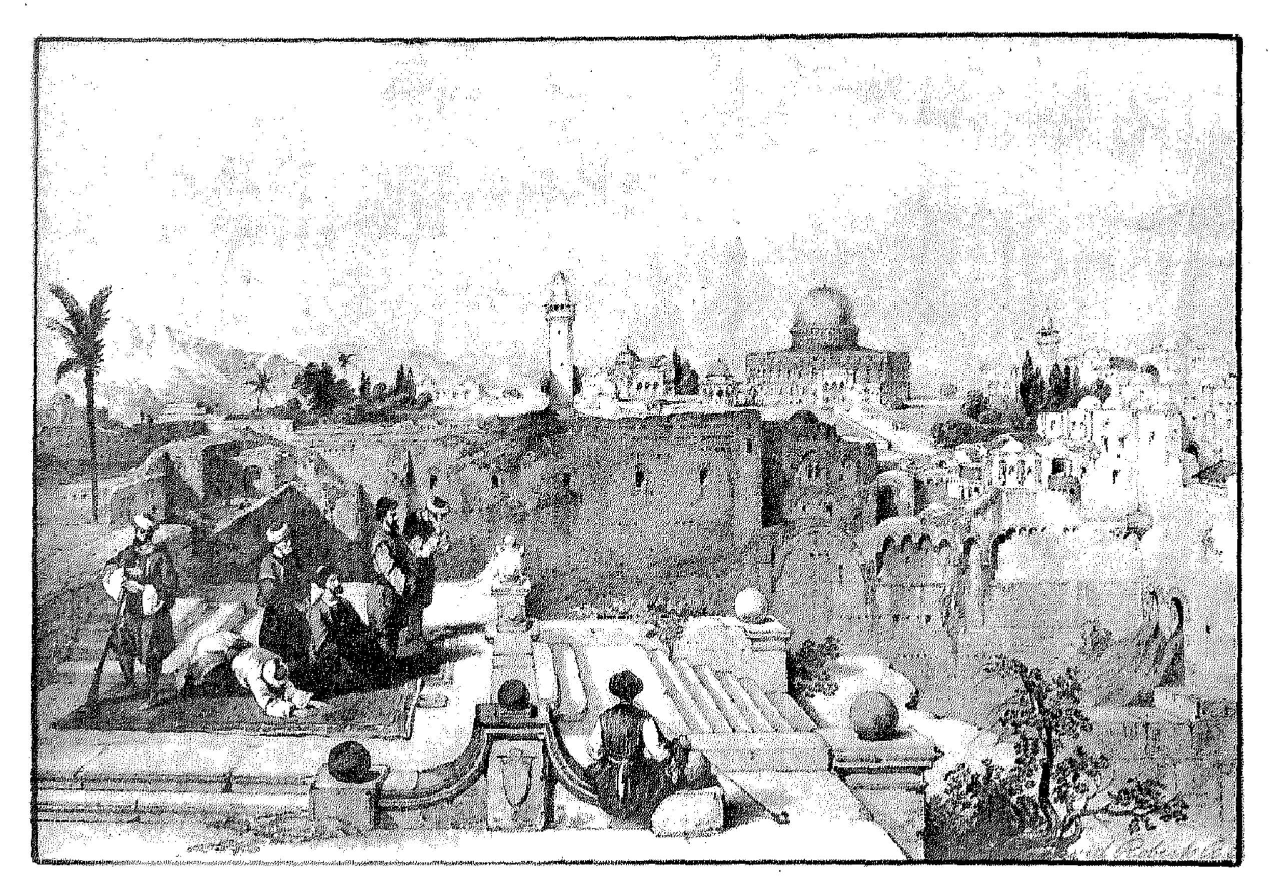
"بَيْتُ المَقْدس ليس في مدائن الكون اكبر منها وقصبات كثيرة اصفر منها... لا شديدة البرد وليس بها حرّ وقلّ ما يقع بها ثلج وسالني القاضي ابو القاسم ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلت: "سجسج لا حرّ ولا بردشديد" قال: هذا صفة الجنة، بنيانهم حجر لا ترى احسن منه ولا اتقن من بنائها، ولا اعفّ من اهلها ولا اطيب من العيش بها ولا انظف من اسواقها ولا اكبر من مسجدها ولا اكثر من مشاهدها؛ عنبها خطير، وليس لمعنقتها نظير، وفيها كلّ حاذق وطبيب واليها قلب كلّ لبيب، ولا تخلو كلّ يوم من غريب وكنتُ يوماً في مجلس القاضي المختار ابي يحيى ابن بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر الى ان سئلت اي بلد أجلّ؟ ... قلتُ بلدنا قيل فأيّها اطيب قلتُ بلدنا قيل فايّها افضل قلت بلدنا قيل فأيّها احسن قلتُ بلدنا قيل فأيّها اكثر خيرات قلتُ بلدنا- قيل فايّها اكبر قلتُ بلدنا فتعجب اهل المجلس من ذلك وقيل انت رجل محصل وقد ادّعيت مالا يقبل منك وما مثلك الاّ كصاحب الناقة مع الحجاج قلتُ اما قولي اجلّ فلانها بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من ابناء الدنيا واراد الآخرة وجد سوقها ومن كان من ابناء الآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها واما طيب الهواء فانه لا سمّ لبردها ولا اذى لحرّها واما للحسن فلا ترى احسن من بنيانها ولا انظف منها ولا انزه من مسجدها واما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال والاشياء المتضادّة كالاترجّ واللوز والرطب والجوز والتين والموز واما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر واليها المنشر وانما فُضلت مكّة والمدينة بالكعبة والنبيّ صلعم ويوم القيامة يزفان اليها فتحوي الفضل كله واما الكبر فالخلائق كلّهم يحشرون اليها فايّ ارض اوسع منها فاستحسنوا ذلك واقروا به"

ابن بطوطه

أما ابن بطوطه في كتابه "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار" فيقول:



■ الاماكن المقدسة للفنان ل. ف. كساس عام ١٧٨٥



■ الحرم الشريف للفنان دافيد روبرتس عام ١٨٤٠

"ثم وصلنا الى بيت المقدس شرفه الله" ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ومعرجه الى السماء والبلدة كبيرة منيفة مبنية بالصخر المنحوت وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن ايوب جزاه الله عن الاسلام خيراً، لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفاً ان يقصدها الروم فيمتنعوا بها ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف الدين تنكيز امير دمشق".

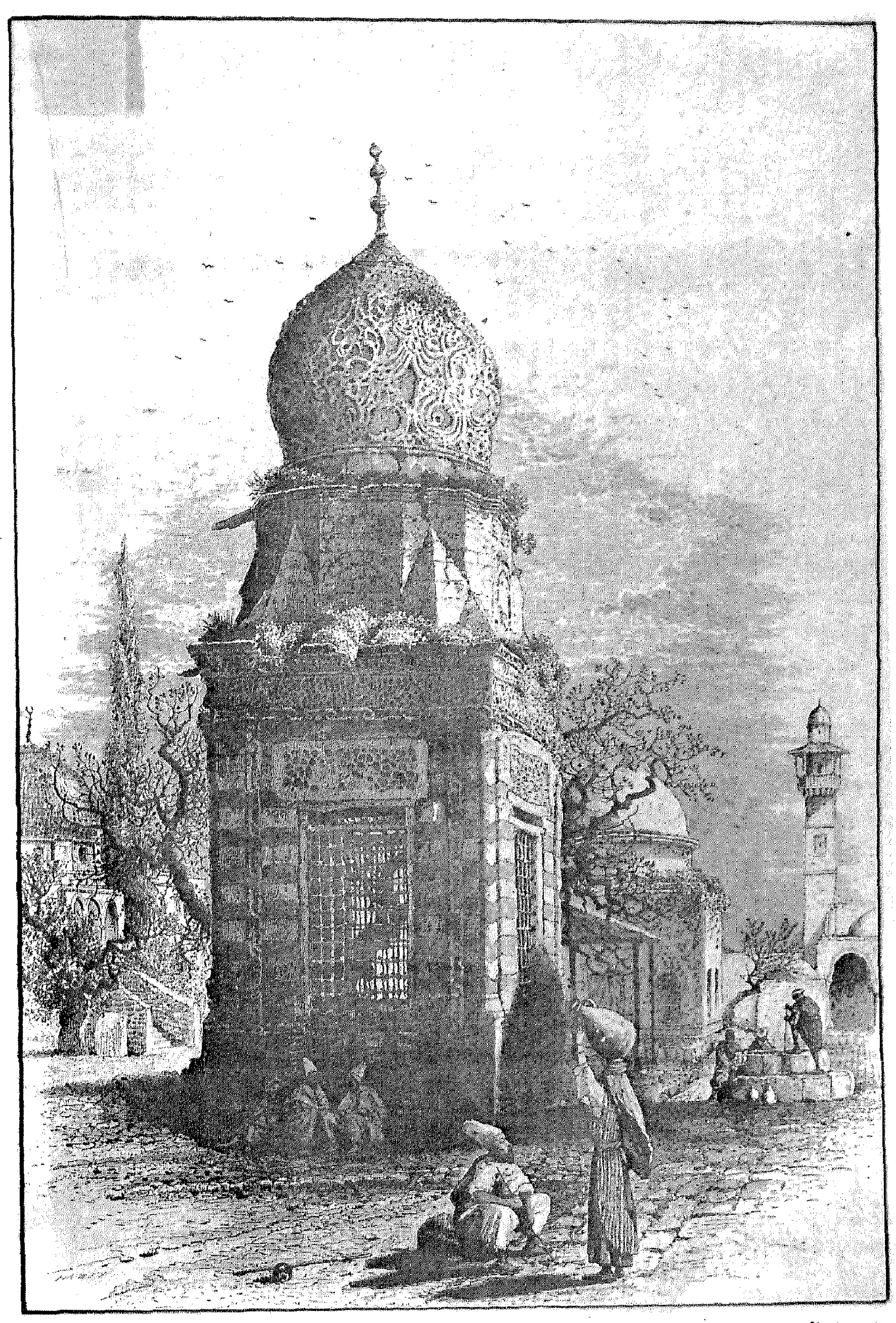
وعن المسجد الاقصى يقول:

"وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن يقال انه ليس على وجه الارض مسجد اكبر منه وان طوله من شرق الى غرب سبعمائة وثنتان وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف اربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً وله ابواب كثيرة في جهاته الثلاث وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها الا بابا واحداً وهو الذي يدخل منه الامام والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد الاقصى فهو مسقف في النهاية من احكام العمل واتقان الصنعة مموه بالذهب والاصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواه مسقفة".

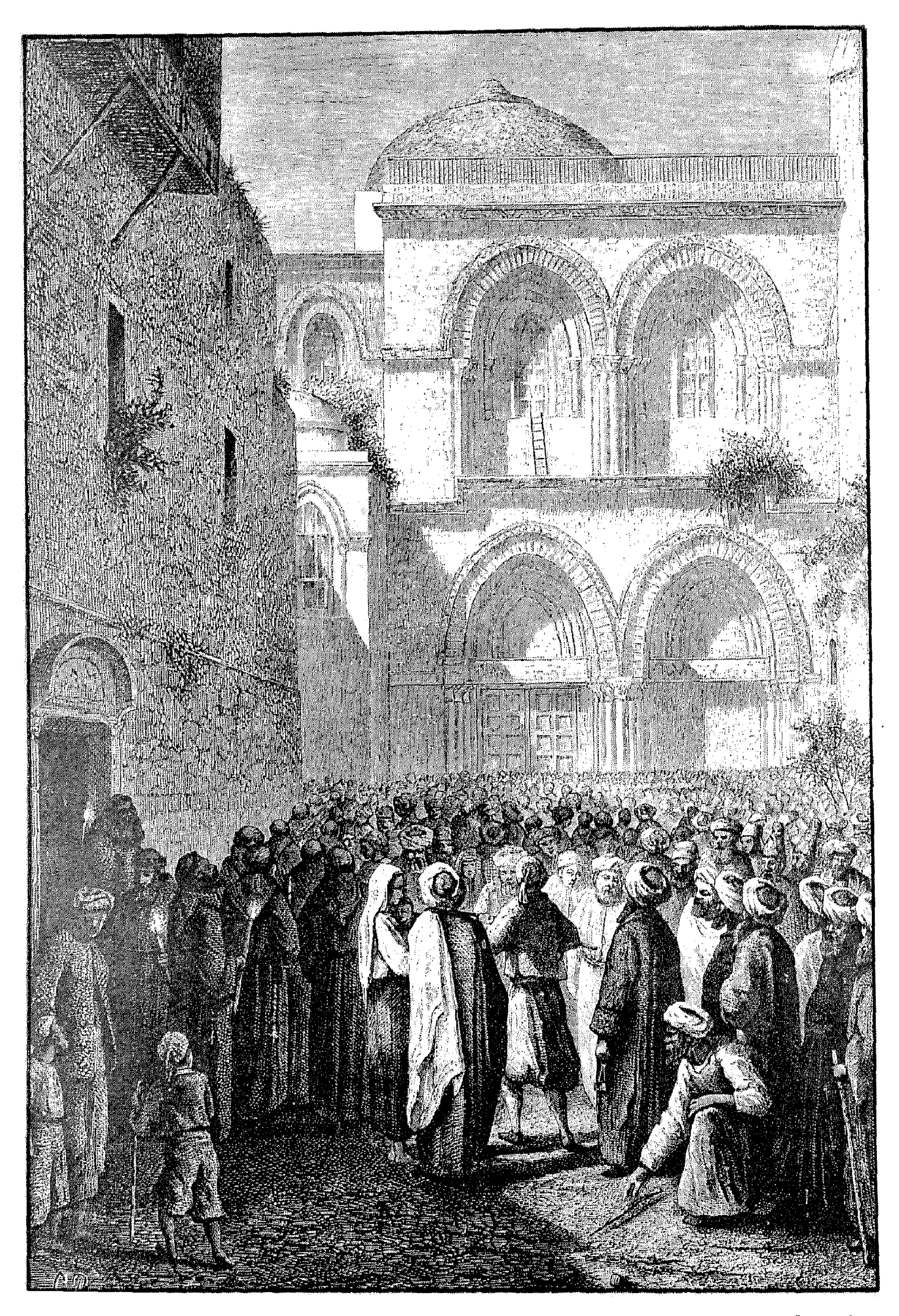
وعن قبة الصخرة يقول:

"هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد اليها في درج رخام ولها اربعة ابواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها الى السماء وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضاً ينزل اليها على درج وهنالك شكل محراب وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها احدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه"

ويذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف فيقول:



■ سبيل قائد بيه للفنان هارلي عام ١٨٧٥



■ كنيسة القيامة في عيد الفصح للفنان س٠ رودهارت عام ١٨٧٠

"فها بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد-على تل مرتفع هنالك بنية يقال انها مصعد عيسى عليه السلام الى السماء ومنها أيضاً قبر رابعة البدوية منسوبة الى البادية وهي خلاف رابعة العدوية الشهيرة وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى."

ناصر خسرو

ويقول ناصر خسرو حوالي سنة ٤٣٧هـ (١٠٣٥م) في كتابه (سفر نامه)٠

"وتحيط ببيت المقدس جبال تنبت فيها الحبوب٠وفيها اشجارالزيتون والتين وغيرها وجميع الاراضي خالية من المياه ومع ذلك فأن المأكولات كثيرة ورخيصة. ومن رؤساء البيوت من لا تقل وارداتهم من زيت الزيتون عن خمسة آلاف من" ويجعل هذا الزيت في آبار واحواض وينقل الى اطراف المعمور٠ ويقال ان المجاعة لم تشتد قط في بلاد الشام٠ وذكر لي الثقة ان احد الاولياء راى النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال له: يا رسول الله اعني على العيش فاجابه الرسول (انا اضمن رزقك من خبز الشام وزيتها)٠

وهاءنذا اصف لك مدينة القدس فهي قائمة على مرتفع وليس فيها غير ماء المطر ولئن كان في بعض القرى المجاورة عيون فليس لها أثر داخل المدينة ويحيط بها سور وثيق البنيان عمل من الحجر والملاط وابوابه من الحديد٠ واذا كانت المدينة مبنية على الصخر فليس في جوارها مباشرة شجر٠ وبيت المقدس بلدة عظيمة وكان فيها عندما زرتها عشرون الف رجل واسواقها جميلة وبيوتها عالية وتربتها ممزوجة بالحجارة وقد نحتت الطرق وعبدت بحيث ان الامطار تنظفها وتغسلها وارباب الصنائع فيها كثار ولكل اهل صنعة في السوق مكان خاص بهم٠

والمسجد الاعظم حيث تقام صلاة الجمعة هو الى الشرق .منجهة السوق واسوار المدينة عبارة عن حيطانه ومتى خرج المرء من المسجد يرى امامه سهلا عظيماً منبسطاً اسمه ساهرة وفي هذا السهل على ما يزعمون تقوم القيامة وتحسر الاجساد وينصب الميزان وبفضل هذا المعتقد يأتي من جميع اقطار العالم الى القدس جمهور كبير من البشر ينزلونها ليموتوا فيها وليكونوا على مقربة من المكان الذي عينه المولى تعالى وتتحقق فيه ارادته٠اللهم يا باريء النسم احفظ عبيدك واغفر لهم خطاياهم آمين يا رب العالمين اهـ٠"

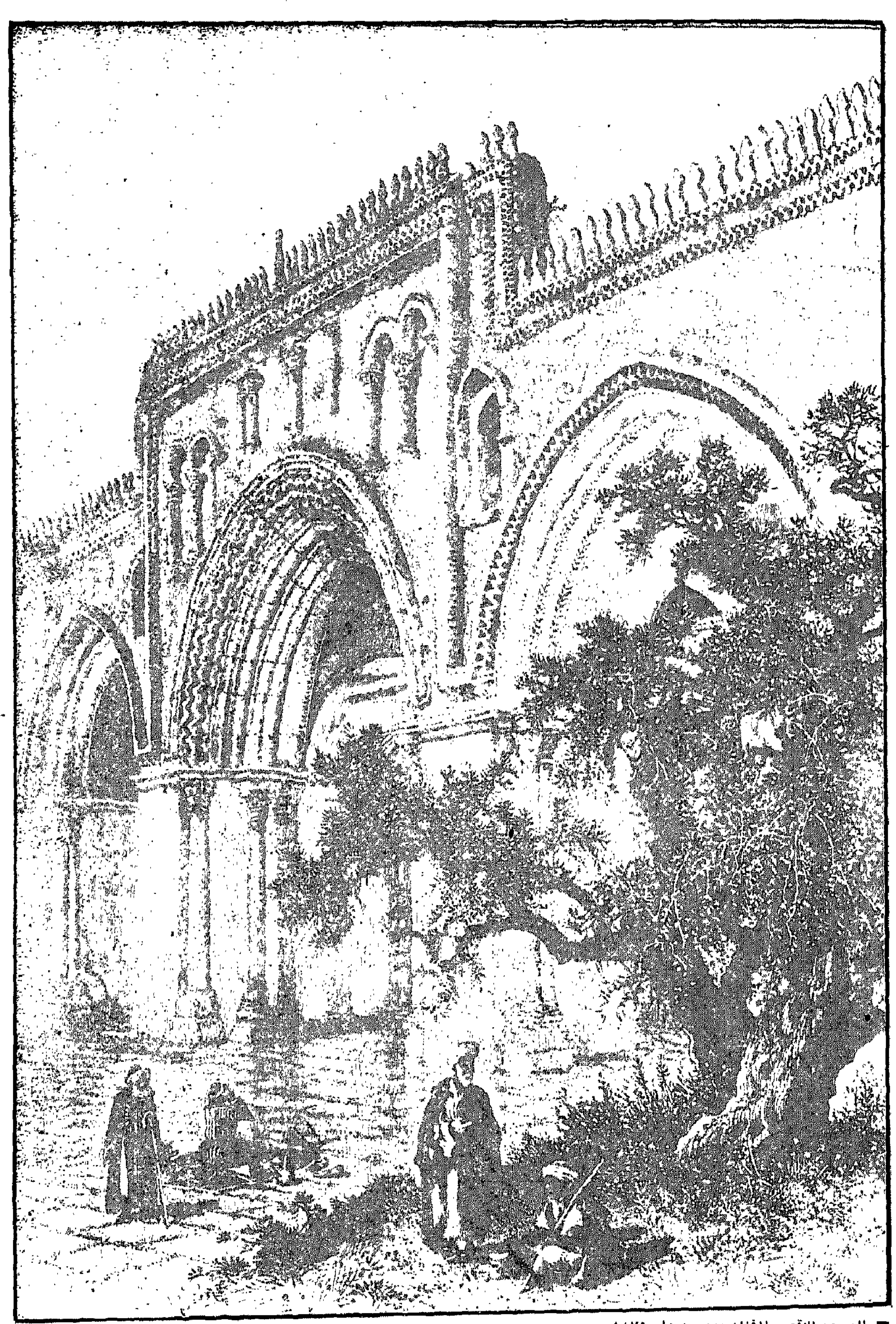
عبد الغني النابلسي

ويقول عبد الغني النابلسي في كتابه "الحضرة الانسية في الرحلة القدسية":

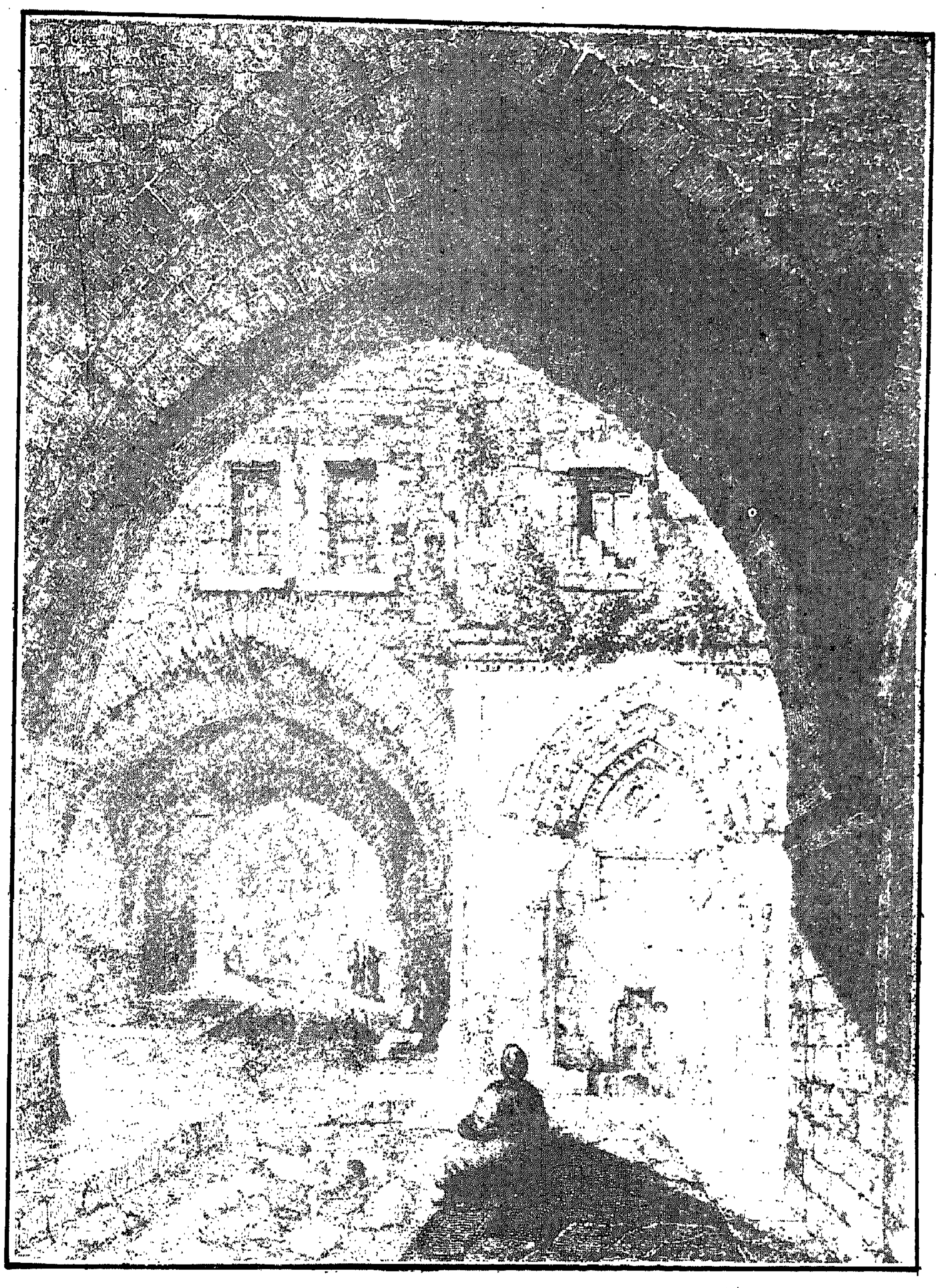
"ولم نزل سايرين وباجنحة الدواب طايرين٠ حتى صعدنا العقبة واشرفنا على القدس الشريف٠ فنسينا عند رؤيتنا ذلك ما قطعنا من العقبات والمهالك٠ ولله" در الحافظ بن حجر العسقلاني حيث قال:

الى بيت المقدس قد اتينا
جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا في مسافته عقاباً
وما بعد العقاب سوى النعيم

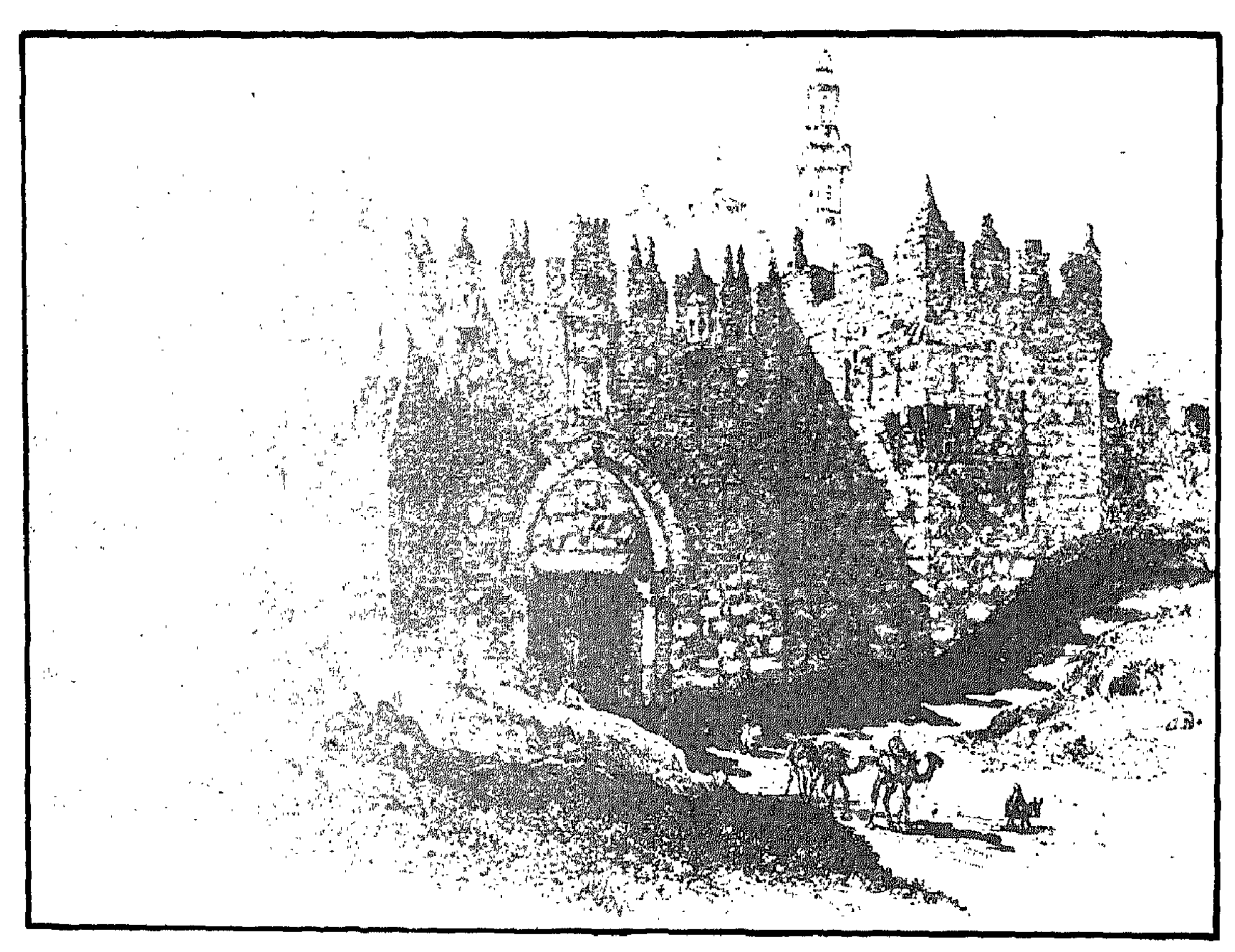
فوصلنا الى مزار الشيخ جراح وهذا في (المدرسة الجراحية)٠ قال الحنبلي وهي بظاهر القدس من جهة الشمال ولها وقف ووظايف مرتبة٠ نسبتها لواقفها الامير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي٠ أحد امراء الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب توفي في صفر سنة ٥٩٨ ودفن بزاوية بالمدرسة المذكورة٠ وقد خرج للقائنا في ذلك المكان جماعة من المشايخ الاعيان٠ وقد نشروا الاعلام على جهة الافهام بكمال الود والافهام٠يتلون البراءة الشريفة والصلوات الى ان اقبلنا على باب المدينة مع هاتيك الجماعات٠ ثم استقبلنا فقراء الزاوية الادهمية في ذلك الطريق وحصلت لنا البركة في لقائهم فنعم ذلك الفريق حتى دخلنا من باب المدينة الذي يسمى باب العمود٠ فاذا هو باب كبير عظيم واسع عال كأنه قطعة من جلمود وسور بيت المقدس سور جديد متين مشيد قوي الاركان عظيم البنيان يحيط بالبلد كلها وعرها وسهلها٠ مبني بالشيد والحجر المنحوت وفي داخله جميع الاماكن والبيوت٠ وقد اخبرنا انه من بناء السلطان الملك المظفر سليمان خان من ملوك آل عثمان ايدهم الله ونصرهم على ممر الازمان٠ ولمدينة القدس عشرة ابواب٠ منها هذا الباب الذي هو باب العمود وهو من جهة الشمال٠ ومن هذه الجهة باب آخر يسمى باب



■ المسجد الاقصى للفنان وودورد عام ١٨٧٥



■ باب السلسلة للفنان، ت.س.د.د، ب.ن، ١٨٤٠.

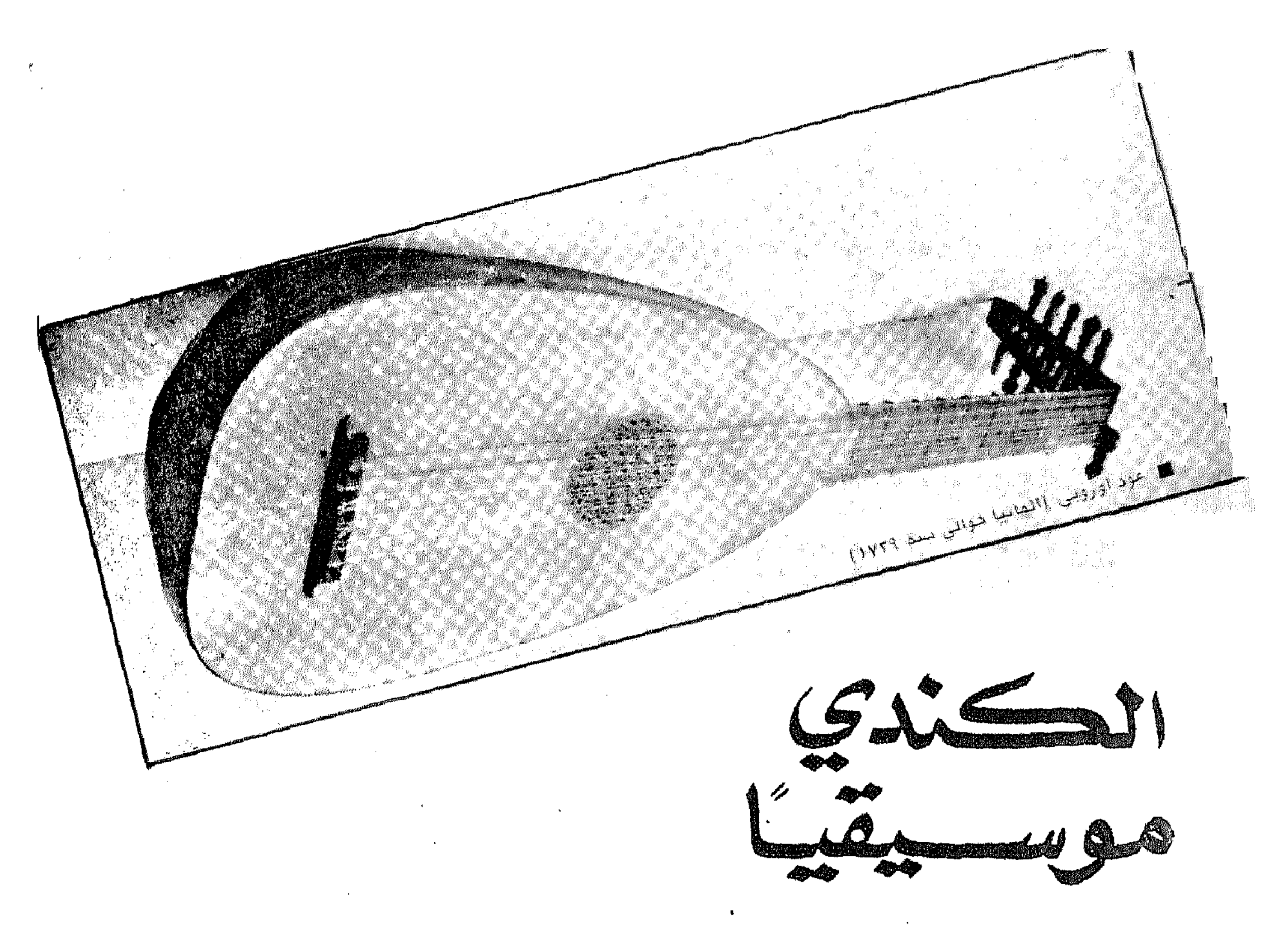


■ باب العامود للفنان هـ. فن عام ١٨٧٥

الداعية المتوصل منه الى حارة بني زيد، وباب يسمى باب دير السرب، وباب المساهرة، ومن جهة القبلة باب المغاربة، وباب داود، ومن جهة الغرب باب صغير بلصق دير الارمن وباب المحراب المعروف الآن بباب الخليل، وباب يعرف بباب الرحبة الواسعة والحضرة النوراتية الشاسعة، وللمسجد الشريف أربعة عشر باباً، منها ثلاثة مسدودة باب التوبة وباب الرحمة وهما بابان متحدان في السور الشرقي من داخل الحايط مما يلي المسجد والباب الاخر بالسور الشرقي بالقرب من البابين المذكورين من جهة القبلة، والاحد عشر من جهة الغرب، باب القطانين الذي دخلنا منه، وباب الغواغة، وباب الناظر، وباب الحديد، وباب المتوضاء، وباب السلسلة، وباب السكينة، وباب المغاربه ويسمى باب النبي، ومن جهة الشمال باب الاسباط، وباب حطه، وباب شرف الانبياء.

ورأينا ذلك الحرم الشريف والمسجد الذي هو غني عن التعريف، وذرعه كما ذكره الحنبلي في التاريخ طولا من حايط السور القبلي عند المحراب المعروف بمحراب داود الى صدر الرواق الشمالي عند باب الاسباط ستماية وستون ذراعاً بذراع العمل غير عرض السورين، وعرضاً من السور الشرقي الى صدر الرواق الغربي اربعماية وستة اذرع غير عرض السورين على التقريب واتفق لنا ان الذين كانوا يقرأون البراءة الشريفة قدامنا في حال دخولنا الى قوله فيها..".

■ جميع هذه اللوحات مأخوذة من كتاب "روائع الاراضي المقدسة" للملي وروال ...



■ عود اوروبي (المانيا حوالي سنة ١٧٢٩)

الكندي موسيقيا

ورائد نظرية تأثير الموسيقى على الصحة

د. اسامة عانوتي

يعرف أبو يوسف، يعقوب بن إسحق الكندي (١) بأنه "فيلسوف العرب". بل لقد طغت شهرته بالفلسفة على معارفه في الطب، والهندسة، والحساب وعلم الهيئة (الفلك)، وقبل هذا كله، الموسيقى، التي أولاها من همه وعنايته وعلمه ما أحلّها محلا منيعاً من مشاركاته الكثيرة.

ولا تعدو هذه العجالة أن تكون تعريفاً مقتضباً - أرجو أن يكون شاملا - لهذه الناحية من نواحي عبقريته، ومن آياتها أكثر من ثلاثمئة تصنيف في مواضيع متفرقة وضعها أو ترجمها. وكذلك لا تفوتني الاشارة الى أنه ليس من شأن هذه المقالة - وليس من حقي - أن تعرض إلى جوانب علمية، تقنية في هذا المجال.

■ د. اسامه عانوتي: ب.ع وم.ع في العلوم السياسية من الجامعة الاميركية في بيروت دكتوراه دولة في الادب العربي من جامعة القديس يوسف، استاذ مساعد للادب العربي في كلية الاداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية من مؤلفاته: ١ - الحركة الادبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر ٢ - الوان من الفكر العربي ٣ - هل اكتشف العرب رقاص الساعة؟ ٤ - روائع من التراث العربي

لمع من سيرته

اسمه كاملا: يعقوب بن إسحق الصباح بن عمران... بن يعرب بن قحطان. يمت بالنسب الوشيج إلى ملوك كندة. ومن هنا جاء وصفه في الأصول التي حكت سيرته بأنه "فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها": فجده الأشعث بن قيس كان من أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ملكاً على كندة كلها. وقبله كان أبو الأشعث هذا، قيس بن معد يكرب ملكاً على كندة جميعاً، عظيم الشأن، مدحه الأعشى الكبير بقصائد أربع طوال، مثلما كان جدوده الأعلون الآخرون ملوكاً على حضرموت، والمشقّر، واليمامة والبحرين. أما أبوه، إسحق، فولي على الكوفة للخليفتين: المهدي (١٥٨هـ/٧٧٤م – ١٦٩هـ/٧٨٥م)، والرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦هـ – ١٩٣هـ/٨٠٩م).

وهو – كما ترى – عربي صليبة (أي خالص النسب)، يرقى نسبه إلى يعرب بن قحطان. وفي بعض المصادر أنه "فيلسوف الاسلام" (٥)، "لم يكن في الاسلام فيلسوف غيره حذا في تواليفه حذو أرسطاطاليس" (٣)

نشأته

لم تفض كتب السير والتراجم في أنباء نشأته، وقصارى ما يتجمع لمطالعها: أنه نشأ في البصرة. أما ولادته، عند نفر، ففي الكوفة (واسط عند إبن أبي أصيبعة)، ثم قصد بغداد حيث تعلم فتألق نجمه، وقربه إليه الخلفاء: المأمون (١٩٨هـ/٨١٣م – ٢١٨هـ/٨٣٣م)، الذي أوكل إليه تأديب ابنه أحمد، إلى جانب الترجمة من السريانية واليونانية التي ندبه لها، فالمعتصم (٢١٨هـ/٨٣٣م – ٢٢٧هـ/٨٤١م)، فالمتوكل (٢٣٢هـ/٨٤٦م – ٢٤٧هـ/٨٦١م) (الذي ما لبث أن انتقض عليه إثر وشاية، فضرب، وصودرت كتبه، ثم ردت إليه. وتاريخا مولده ووفاته لم يحدّدا بالدقة المبتغاة. وهناك من المستشرقين والعلماء العرب من حدد السنة ١٨٥هـ/٨٠١م زمناً لمولده، والسنة ٢٥٨هـ/٨٧٣م زمناً لوفاته. ولم يفروا سمعته من إتهامه في دينه (٤)، مثلما عزوا إليه البخل الشديد. وقد روي عنه ما هو أخلق بأن يثبت ويذكر. (٥) من ذلك "أنه كان حاضراً عند أحمد بن المعتصم، وقد دخل أبو تمام، فأنشده قصيدته السينية، فلما بلغ إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء إياس.

قال الكندي: ما صنعت شيئاً! قال: كيف؟ قال: ما زدت على أن شبهت أبن أمير المؤمنين بصعاليك العرب! وأيضاً إن شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله، ألا ترى إلى قول العكوك في أبي دلف حيث قال:

رجل أبر على شجاعة عامر
بأساً وغبر في محيا حاتم.

فأطرق أبو تمام ثم أنشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه
مثلا شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس.

ولم يكن هذا في القصيدة، فتعجب منه (ومن بديهته)، ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل، فاستصغر عن ذلك، فقال الكندي: ولوه، فإنه قصير العمر، لأن ذهنه ينحت من قلبه، فكان كما قال، فلعل الكندي رأى من سجية أبي تمام في ذلك الوقت ما يدل على قرب أجله."

معارفه

شمل علم الكندي الفلسفة، والطب، وعلم الحساب، والمنطق، والهندسة وعلم النجوم والهيئة (الفلك)، ثم الموسيقى، التي [illegible] في هذا المقام. وله في كل فرع من فروع المعرفة هذه تصانيف ذرّفت على ثلاثمئة كما أسلفنا، أورد عناوينها ابن النديم في "فهرسته"، وابن أبي أصيبعة في "طبقاته".

قال عنه المستشرق CARDAN (وهو من فلاسفة عصر النهضة) أنه واحد من اثني عشر وهبوا أثقب العقول وأكبرها، وهو أحد ثمانية يعدون أساطين العلوم الفلكية في العصور الوسطى. (٢)

معرفته الموسيقية

لم يتفق أصحاب كتب السير الذين ذكروا الكندي على عدد تآليفه الموسيقية، وربما اختلفوا إختلافاً يسيراً في تسمية بعضها: فأقدمهم، وهو ابن النديم (٤٣٨هـ؟/١٠٤٧م) يورد له في "الفهرست" سبعة، يليه القفطي (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) يذكر في "إخبار العلماء باخبار الحكماء" أنها ستة. أما عند إبن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م – ١٢٧٠م)، فهي ثمانية، ولعل من الخير إثبات عناوينها هنا:

١ – رسالته الكبرى في التأليف.
٢ – رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الأشخاص العالية وتشابه التأليف.
٣ – رسالة في المدخل إلى صناعة الموسيقى.
٤ – رسالة في الايقاع.
٥ – رسالة في خبر صناعة الشعراء.
٦ – رسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى.
٧ – مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصنعة العود.



■ عزف من مقامات الحريري ينم على اصالة الموسيقى عند العرب

٨ ـ رسالة في أجزاء خبرية الموسيقى ٠

وقد عثر الأستاذ زكريا يوسف على رسالة تاسعة لم يرد ذكرها في مصدرها: "كتاب المصوّتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار"، فنشرها وأربع رسائل أخرى للكندي في كتابه: "مؤلفات الكندي الموسيقية" (سنة ١٩٦٢) وهي:

١ ـ في خبر صناعة التأليف (كان قد نشرها سنة ١٩٣١ الدكتور محمود الحفني وروبرت لخمن الذي ترجمها الى الألمانية، ولكنهما أعتمدا عنواناً آخر: "رسالة في خبر تأليف الألحان" ٠

٢ ـ في أجزا خبرية في الموسيقى ٠

٣ ـ مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصنعة العود ٠

٤ ـ الرسالة الكبرى في التأليف ٠

ومما يضفي على رسائل الكندي هذه أهمية أنها أقدم ما بلغنا من تأليف موسيقية بالعربية، ولا نقول أقدم ما ألف في هذا الموضوع ٠ وقد اضطلع بتحقيقها تحقيقاً تقنياً (Technical) وأفاض في تبيان القواعد والأسس العلمية التي أنطوت عليها ٠ وهذا كله لا ينهد إليه إلا متخصص ولسنا إياه ٠ وقصارى همنا في هذا المجال أن نبين شيئاً من معرفة الكندي الموسيقية، ونظهر ما كان لها عند المسلمين والعرب من قدر، أو ما حظيت به عندهم من رعاية ٠ فقد كان لها مكان مخصوص ملحوظ في التعليم عندهم ٠ وحسبنا أن نشير في هذا المقام، إلى أن العالم الرياضي، علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن مسافر، المعروف بتعاسيف الأسفوني (٦٤٩هـ/١٢٥١م) درس الموسيقى على الفقيه الشافعي، الرياضي، الموسوعي: كمال الدين موسى بن يونس الموصلي المعروف بابن منعة (٦٣٩هـ/١٢٤٢م) وقد سأل كمال الدين هذا تلميذه: بأي العلوم يريد أن يشرع ٠ فلم يقدم علم الدين على الموسيقى علماً ٠ قد نجد في قول الكندي جماع رأيه في الموسيقى: "الموسيقار الباهر الفيلسوف يعرف ما يشاكل من كل من يلتمس إطرابه من صنوف الأيقاع والنغم والشعر، مثل حاجة الطبيب الفيلسوف إلى أن يعرف من أحوال من يلتمس علاجه أو حفظ صحته" ٠

الموسيقى والمعرفة

فالموسيقى في نظر الكندي معرفة لا بدّ من إكتسابها بالدرس والتحصيل، وكما يتحتم على الطبيب أن يأخذ بنظر الاعتبار أموراً كثيرة قبل أن يهيىء العلاج، كذلك يتحتم على الموسيقار أن يفعل قبل أن يضع الألحان. لهذا يتناول الكندي موضوع الموسيقى من مختلف النواحي: النغمات ما يتفق منها وما يتنافر عند التأليف، الايقاعات وعدد نقراتها وما يوافق كل منها من الألحان، أثر الموسيقى في النفس وما تبعثه ألحانها فيها من سرور وحزن وشجاعة، أثر الألحان المختلفة في الصحة والأمزجة، المناسبة بين الأوتار والنغمات والأجرام السماوية وغير ذلك فيضع لكل هذه الأمور، الدساتير التي ينبغي أن يسير بموجبها الموسيقار الباهر، مؤيداً أقواله بالبراهين الرياضية، والأدلة المنطقية.

وهكذا يعتبر الكندي أول من أدخل الموسيقى إلى الثقافة العربية، فأصبحت من ضمن مناهج الدراسة العلمية، وجزءا من الفلسفة الرياضية. وكان هذا بطبيعة الحال نتيجة التأثر بالمدرسة الأغريقية، بما نقله العرب من العلوم اليونانية إلى العربية في مختلف نواحي المعرفة ومنها الموسيقى".

وكذلك يرى الكندي إلى أن لكل أمة مذهبها الموسيقي" (٧). وكأنه بذلك يبتغي إقامة البينة على أن موسيقى العرب ليست - كما يزعم بعض الزاعمين - صورة عن موسيقى اليونان أو الروم أو الفرس. يقول: "لكل أمة في هذه الآلة (العود) مذهب ليس هو لغيرهم. وإختلافهم في هذا شبيه باختلافهم في سائر الأشياء. ألا ترى أن بين العرب والروم والفرس والخزر والحبش، وجميع الناس، الاختلاف في خلقهم وعقولهم وآرائهم وشهواتهم وجميع مذاهبهم؟ ذلك لاختلاف بلدانهم واهوائها ومياههم وثمارهم... (٨)"

ويقول أيضاً: "والتعليم فنون كثيرة، أعني: عربي، وفارسي، ورومي، وغير ذلك..." (٩).

ومن طريف ما يروى عن الكندي ما أثبته القفطي من أنه كان في جواره "رجل من كبار التجار، موسع عليه في تجارته. وكان له أبن قد كفاه أمر بيعه وشرائه، وضبط دخله وخرجه. وكان ذلك التاجر كثير الازراء على الكندي، والطعن عليه، مدمناً لتعكيره والاغراء به. فعرض لابنه سكتة فجاءة فورد عليه من ذلك ما أذهله، وبقي لا يدري ما الذي في أيدي الناس، وما لهم عليه مع ما دخله من الجزع على أبنه. فلم يدع بمدينة السلام طبيباً إلا ركب إليه وأستركبه لينظر ابنه، ويشير عليه من أمره بعلاج. فلم يجبه كثير من الأطباء، لكبر العلة وخطرها، إلى الحضور معه. ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء. فقيل له: "انت في جوار فيلسوف زمانه، وأعلم الناس بعلاج هذه العلة، فلو قصدته لوجدت عنده ما تحسب". فدعته الضرورة الى أن تحمل على الكندي بأحد أخوانه، فثقل عليه في الحضور، فأجاب، وصار إلى منزل التاجر، فلما رأى ابنه، وأخذ مجسه (أي قاس نبضه) أمر أن يحضر إليه من تلاميذه في علم الموسيقى من قد أنعم الحذق بضرب العود، وعرف الطرائق المحزنة، والمزعجة، والمقوية للقلوب والنفوس. فحضر إليه أربعة نفر، فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه، وأن يأخذوا في طريقة أوقفهم عليها، وأراهم مواقع النغم بها من أصابعهم على الدساتين ونقلها. فلم يزالوا يضربون في تلك الطريقة، والكندي آخذ مجسّ الغلام، وهو في خلال ذلك يمتد نفسه، ويقوى نبضه، ويراجع إليه نفسه شيئاً بعد شيء، إلى أن تحرك، ثم جلس وتكلم، وأولئك يضربون في تلك الطريقة دائماً لا يفترون. فقال الكندي لأبيه: سل أبنك عن علم ما تحتاج إلى علمه. مما لك وعليك وأثبته. فجعل الرجل يسأله وهو يخبره، ويكتب شيئاً بعد شيء. فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضاربون عن تلك الطريقة التي كانوا يضربونها، وفتروا، فعاد الصبي إلى الحال الأولى، وغشيه السكات..." (١٠)

الموسيقى والطب

ومهما يكن من شأن الصنعة في هذه القصة، فالكندي قد أفاض القول، في أثر الموسيقى من الوجهة الطبية، وبيّن "أن الألحان تؤثر في الجسم فتساعد على الهضم، وتبعث في الكيموسات التلطيف والتنظيف".

على أن هذه القصة، الواقعة أو الموضوعة، تلفت إلى الرابطة التي جعلها الكندي بين الموسيقى والصحة. فقد قسم الألحان أقساماً في "كتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار" ("المقالة الثانية": في تأليف اللحون") (١١). وقال: إن منها ما يكون للطرب، أو إثارة الحماسة، أو يكون "للبكاء والحزن والنوح والرقاد ويسمى الشجوي"".

ويتناول النغمات والأوتار والايقاعات، فيورد تأثيرها على أعضاء الجسم:

فحركات الزير، مثلا، تورث "أفعال النفس: الفرحية، والعزّية، والغلبية، "وقساوة القلب والجرأة والاقدام والزهو والنخوة والتجبّر والتكبر، وهو مناسب لطبع الماخوري. ويحصل من فعل هذا الوتر (وهذا) الايقاع أن يكونا مقويين للمرة الصفراء، محركين لها، مع إجتماع الزمان الشتوي والنومي، وسن الموسيقاري وطباعه، وإذا قوي هذا

الطبع والمزاج أذاب البلغم وقطعه ورققه وأسخنه.

ومما يلزم المثنى من تلك الأفعال: للسرورية والطربية والفرحية والجودية والكرمية، والتعطف والرأفة والدقة... ويحصل من قوة هذا الوتر وهذين الايقاعين أن يكونا مقويين للدم وطباعه وحركاته ولطافته وسجياته، (١٢) ويكسران عادية السوداء ويقمعانها ويمنعان أفعالها. ومما يلزم المثلث من تلك الأفعال: الجبنية والمراثي والحزن وما يشجي، وذكر الغابر، وأشباه التضرع... ويحصل من هذا الوتر وهذا الايقاع: أن يكونا محركين للبلغم مطلقين له زائدين في اعتداله – إن كان معتدلا – أو معدلين له مسكنين للصفراء مانعين لتسليطها، مطفيين لحدتها. ومما يلزم البم من تلك الأفعال: الفرحية تارة، والسرورية تارة والتحبب والزهو.... ويحصل من هذا الوتر وهذه الايقاعات: أن تكون مقوية للسوداء زائدة في حركاتها مطفية للدم، ولها من الأغاني: النوح والشكوى وذكر حنين الالف والطير والابل، وبكاء الرسوم والآثار والدمن.... ومن طبع البم الحلم والزكانة والرصانة، ومن طباعه أيضاً السرور تارة، والحلم تارة، مع الأفكار الرديئة والكمد وانقطاع الطبع وانخذال النفس".

ثم يقول: "وقد يلزم حركات النفس وانتقالها من حال إلى حال بخواص حركات الأوتار على حسب ما قدمناه من طبعها أو مناسباتها ما يكون ظاهراً للحس، متطبعاً في النفس. فمما يظهر بحركات الزير في أفعال النفس: الأفعال الفرحية والعزية والغلبية، وقساوة القلب والجرأة وما أشبهها، وهو مناسب لطبع الماخوري وما شاكله. ويحصل من قوة هذا الوتر وهذا الايقاع: أن يكونا مقويين للمرار الأصفر محركين له، مسكنين البلغم مطفيين له. ومما يلزم المثنى من ذلك: الأفعال السرورية والطربية والجودية والكرمية والتعطف والرقة وما أشبه ذلك... ويحصل من قوة هذا الوتر وهذين الايقاعيين أن تكون: مقوية للدم، محركة له، مسكنة للسوداء مطفية لها. ومما يلزم المثلث من ذلك: الأفعال الحنينة والمراثي والحزن وأنواع البكاء وأشكال التضرع وما أشبه ذلك، وهو مناسب للثقيل الممتد. ويحصل من هذا الوتر وهذا الأيقاع أن يكونا: مقويين للبلغم محركين له، مسكنين للصفراء ومطفيين لها. ومما يلزم البم من ذلك: الافعال السرورية، تارة والترحية تارة، والحنين والمحبة وما أشبه ذلك. وهو مناسب للأهزاج والأرمال والخفيف وما أشبه ذلك. ويحصل من هذا الوتر وهذه الايقاعات أن تكون: مقوية للسوداء محركة لها، مسكنة للدم مطفية له".

الكندي الأبرز

وليس الكندي، الطبيب المسلم الوحيد الذي جمع بين الطب والموسيقى، وإن كان أبرز هؤلاء وأعظمهم. فالفارابي العظيم (٣٣٩هـ/٩٥٠م)) الذي طغت شهرته بالفلسفة على علمه بالطب، أو بسفره الضخم، الجليل: "كتاب الموسيقى الكبير"، الذي يقول فارمر عن مقدمته: إنها "تضاهي في الواقع، ان لم تبز، كل ما ورد في المصادر اليونانية".

ومن هؤلاء الأطباء – الذين يعنوننا في هذا المقام – مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش (٥٧٤هـ/١١٧٨م)، أحد أطباء البيمارستان النوري بدمشق: كان من أكابر أطباء زمانه، ومن طلابه: الطبيب المشهور رضي الدين الرحبي (٦٣١هـ/١٢٣٣م) . فقد تلقى عنه الطبيب الأندلسي أبو زكريا يحيى بن أسماعيل البياسي (كان حياً ٥٨٩هـ/١١٩٣م). علم الموسيقى. والبياسي هذا، بعد، كان بارع العزف على العود، صنع أرغناً أيضاً.

وبعد، فهذا الذي أهتدى إليه علم المسلمين والعرب قبل أكثر من ألف سنة، هو آخر ما انجاب عنه علم الطب في أواخر القرن العشرين! وانها لحلية من الحلي التي زانت بها الحضارة الاسلامية العربية جيد الانسانية.

الهوامش

(١) التمس سيرته في "الفهرست" لابن النديم، و"عيون الأنباء" لابن أبي أصيبعة، و"اخبار العلماء بأخبار الحكماء" للقفطي، و"تاريخ حكماء الاسلام" للبيهقي، و"طبقات الأمم" لصاعد، و"سرح العيون" لابن نباتة، و"دائرة المعارف الاسلامية" إلخ... وانظر:

(٢) ابن نباتة: "سرح العيون" (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٤): ٢٣١.

(٣) ابن جلجل: "طبقات الأطباء والحكماء" (تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥)٧٣.

(٤) قد يكون مناسباً هنا أن نورد أن ما قيل عن نصرانيته قد كفى مؤونة الرد عليه الأب أنستاس الكرملي في مجلة "لغة العرب" (ج٥ من السنة ٥ ص ٢٠٣ – ٢٠٥)، فاثبت أصالة إسلامه، وأنه لم يكن مسيحيا فاسلم.

(٥) ابن نباتة: "سرح العيون": ٢٣١ – ٢٣٣م

(٦) أنظر: –

T.J. De Boer: «AL KINDI». The encyclopaedia of Islam 1927. Sartom (George) Introduction of the history of Science I/559.

(٧) يوسف (زكريا): "موسيقى الكندي": ٣ – ٤

(٨) الكندي: "الرسالة الكبرى في التأليف": ١٣٦ – ١٣٧ (ضمن "مؤلفات الكندي الموسيقية" تحقيق: زكريا يوسف)

(٩) المصدر نفسه: ١٤٢

(١٠) "إخبار الحكماء بأخبار العلماء": ٢٤٦ – ٢٤٧ (ط – السعادة بمصر، ١٣٢٦هـ).

(١١) حققها زكريا يوسف ونشرها ضمن كتابه: "مؤلفات الكندي الموسيقية": ٦٩ – ٩٢

(١٢) كذا في النص والأفعال التالية المعطوفة، وصوابها طبعاً: ويكسرا، الخ...

عبد الرحمن ابن خلدون

هدى سكاكيني بربير


بريشة جبران خليل جبران

يصف المؤرخ ارنولد توينبي في كتابه "دراسة في التاريخ" ابن خلدون بأنه من العباقرة ويرى في مقدمته "دلائل ساطعة على سعة النظر وعمق البحث وقوة التفكير"، وذلك لان ابن خلدون في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام "قد ادرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه، خلقه اي عقل في اي زمان ومكان".

ويقول ماكدونالد "أن مقدمة ابن خلدون اساس التاريخ وحجر الزاوية فيه، وهي مقدمة تاريخية فلسفية لم ينسج احد على منوالها حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم".

اما روبرت فلنت فيقول: "من وجهة نظر علم التاريخ وفلسفته يتحلى الادب العربي باسم من ألمع الاسماء، فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيعان ان يقدما اسماً يضاهي في لمعانه اسم ابن خلدون".

وقد اتخذ ابن خلدون من المجتمع كله وما يعرف فيه من الظواهر مادة لدرسه، وحاول ان يفهم هذه الظواهر وان يعللها على ضوء التاريخ، وان يرتب من سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة. وهذا ما جعل الباحثين يقولون بتفوق ابن خلدون على "ميكافللي" تفوقاً عظيماً في التفكير ونوع النتائج وفي نظريات العصبية، واعمار الدول وخواصها ومعالجتها من النواحي الاجتماعية.

ولد عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) في تونس وقد تحدر من أسرة اسبانية عربية يرجع نسبها الى قبيلة كندة المشهورة. وكان جد هذه الاسرة الاكبر قد هجر اليمن في القرن التاسع و نزل اسبانيا وقد ازدهرت ذريته في اشبيليه وظلت معروفه حتى القرن الثالث عشر. اما عبد الرحمن نفسه فقد تقلد عدداً من المناصب الرفيعة في فاس ثم غضب عليه ولي الامر فهجرها الى غرناطة حيث انخرط في خدمة السلطان محمد الخامس سنة ١٣٦١. وأوكل اليه السلطان مهمة التوسط في الصلح بينه وبين بلاط الكاستيل. وبعد سنتين عاد ابن خلدون الى المغرب وشغل فيها وظائف مختلفة الى ان اعتزل اخيراً العمل وسكن قلعة ابن سلامة (تسمى اليوم توغزوت وهي شرقي تلسمان بشمالي الجزائر) حيث اخذ يضع مؤلفه في التاريخ. وقد ظل هناك حتى سنة ١٣٧٨. وقصد الحج سنة ١٣٨٤ وبعد سنتين عين لرئاسة القضاء في الازهر في القاهرة بأمر من السلطان المملوكي الظاهر برقوق. وفي سنة ١٤٠١ رافق ابن خلدون الملك الناصر خلف السلطان برقوق الى دمشق في حملته على تيمورلنك. وقد وفد ابن خلدون على تيمورلنك فاكرم وفادته، وهكذا تسنى لهذا المؤرخ ان يلعب دوراً مهماً في الامور السياسية بشمالي افريقية واسبانيا وساعده ذلك على كتابة مؤلفه العظيم.

كتاب "تاريخ العرب" لمؤلفيه: حتي، جبور وجرجي يعتبر أن شهرة ابن خلدون ترتكز على مقدمته اذ وردت فيها لأول مرة نظرية النشوء التاريخي المبنية على الأخذ بعامل المناخ والجغرافية وتأثير العوامل الخلقية والروحية في مجري حوادث التاريخ.

وقد قال ابن خلدون عن نفسه في مقدمته أنه مخترع طريقة مبتدعة في علم التاريخ والعمران وذلك من حيث سعيه للبحث عن قوانين التقدم والانحلال القومي.

ولقد درس المؤرخ ساطع الحصري المقدمة دراسة وافية وقارنها بمؤلفات "فيكو" و"مونتسكيو" وغيرها فجاء كتابه "دراسات في مقدمة ابن خلدون" من اروع الكتب الحديثة التي

■ هدى سكاكيني بربير: (م.ع) في العلوم السياسية والتاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لمن تنزه بعظمته وكبريائه وتعزز بصفاته
واسمائه وتنزه عن مشابهة خلقه بعزة كبريائه احاط
بكل شيء علما فلا يعزب عنه مثقال ذرة في ارضه وسمائه
ووسعت قدرته الممكنات فلا تبرح عن اختراعه وانشائه
ودل حدوثها وتخصيصها بوقت الايجاد على ارادته
وقضائه واصلي على اولي النبوة للبرية المختصين
بتشريفه واعتنائه خصوصا على سيدنا محمد المصطفى
خاتم انبيائه وعلى آله واصحابه وعترته واوليائه صلاة
دائمة اعدها ليوم لقائه وبعد فان العلوم
كثيرة والمعارف جمة غزيرة واشرفها العلم بالمعنى

نموذج من مخطوطات ابن خلدون بخط يده.

كشفت نقاطا كانت غامضة عن ابن خلدون وأثارت قيمته العلمية والتاريخية. ويرى الحصري ان نزعة ابن خلدون الفكرية كانت اقرب من نزعة "فيكو" الى مناحي البحوث العلمية بوجه عام والى اصول علمي التاريخ والاجتماع بوجه خاص.

كما يرى الحصري في القول "ان شرف ادخال عنصر الاقتصاد في علم التاريخ يعود الى مونتسكيو ما هو الا افتئات على الواقع والحقيقة وان هذا الشرف هو في حقيقة الامر يعود الى ابن خلدون الذي سبق مونتسكيو في هذا الشأن بمدة تزيد على ٣٥٠ سنة".

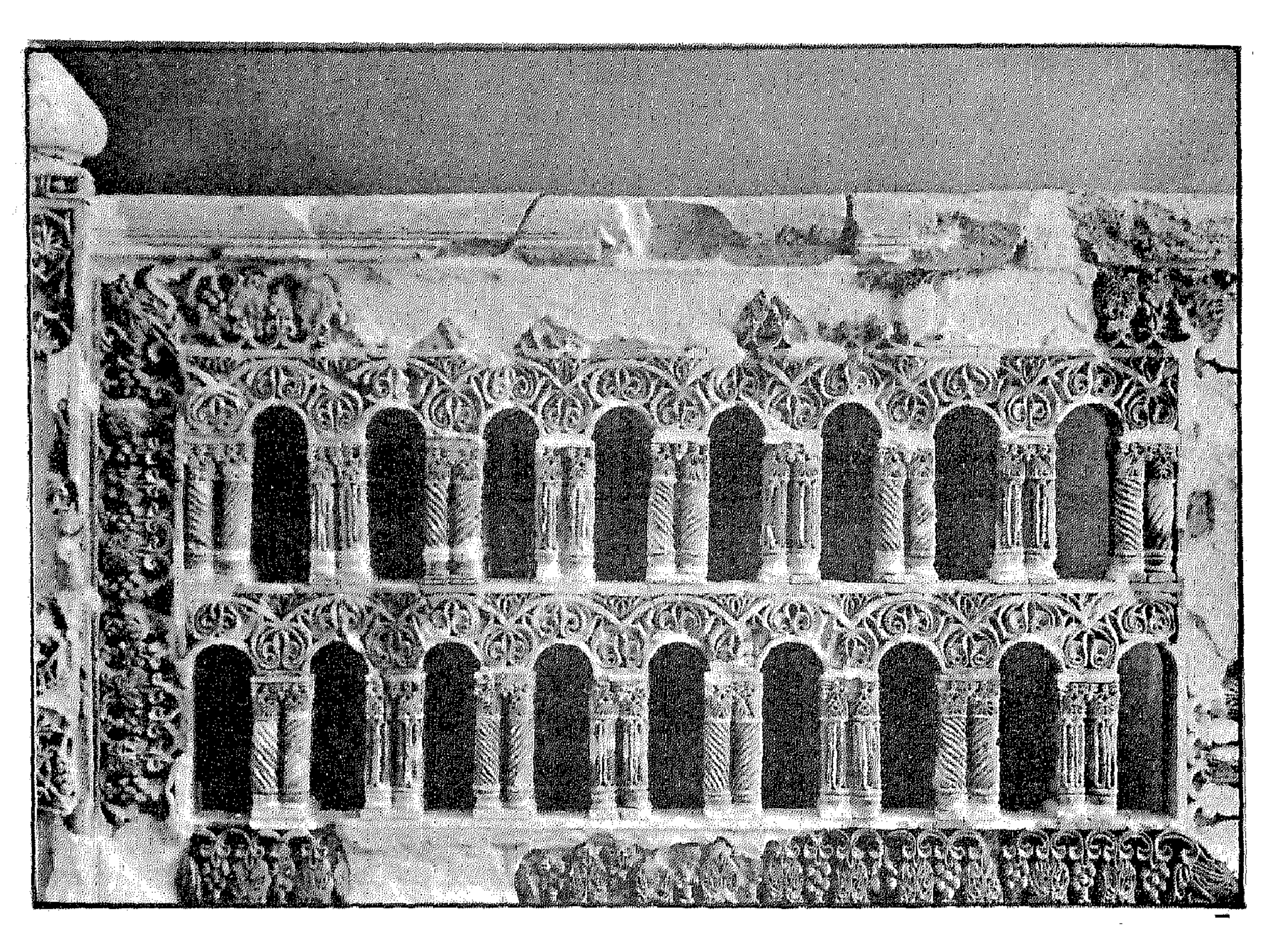
وقد وضع ابن خلدون "الاسلوب التاريخي" Historicai Method وهو يرى ان الاغلاط التيوقع فيها الذين سبقوه ترجع الى أسباب أهمها تشيع المؤلفين وتصديقهم لكل ما يرد دون الفحص، وجهلهم بطبائع العمران واحوال الناس. وهو لا يقف عند هذا الحد بل نراه يضع القوانين لدراسة التاريخ كربط الحوادث بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول وقياس الماضي بمقياس الحاضر ثم مراعاة البيئة واختلاف تأثيرها باختلاف الاقاليم كما سبق وذكرنا.

ويرى "دي بور" ان المؤرخين القدماء لم يورثونا التاريخ علماً من العلوم يقوم على أساس فلسفي على الرغم من جمال اسلوب بعضهم وان القدماء كانوا يعللون عدم بلوغ الانسانية منذ زمان بعيد درجة أعلى مما بلغته في المدنية بالاستناد الى حوادث اولية كالزلزال والطوفان والى أن المسيحية كانت تعتبر التاريخ بوقائعه تمهيداً لمملكة الله على الارض.

"اما ابن خلدون، والكلام لـ"دي بور"، فكان اول من حاول ان يربط بين تطور المجتمع الانساني من جهة، وبين علله القريبة مع حسن الإدراك لمسائل البحث وتقريرها مؤيدة بالأدلةالمقنعة.

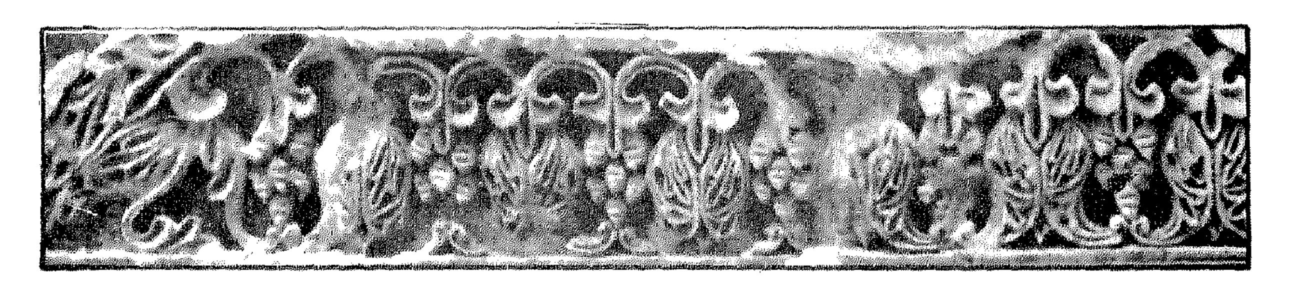
ويرى ابن خلدون التاريخ "في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول... تنمو فيه الاقوال، وتضرب فيه الامثال"،.. ولكنه "في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق، فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها خليق".

وينتقد ابن خلدون اكثر المؤرخين لانهم يقلدون من سبقهم او يقصرون كتبهم على سرد اسماء الملوكواعمالهم ويرددون اخباراً دخيلة لا يصدقها العقل بل يقوم على فسادها البرهان وقد وضع كتابه "كتاب العبر..." ووصفه بقوله: "فأنشأت في التاريخ كتاباً.. أبديت فيه لاولية الدول والعمران عللا وأسباباً وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً، واخترعته من بين المناحي مذهباً عجيباً وطريقة واسلوباً، وشرحت فيه احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الدراميةما يمتعك بعلل الكوائن واسبابها.. فهو (اي التاريخ) محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر."



القصور الاموية في سوريا وفلسطين

د. ديمتري برامكي



■ **الدكتور ديمتري برامكي:** مولود ١٩٠٩ في الاردن، حامل شهادة بكالوريوس آداب من جامعة لندن ١٩٣٤ ودكتوراه بالآثار من جامعة لندن ١٩٥٣؛ وكانت اطروحته بعنوان "ثقافة وهندسة العهد الاموي". أمين متحف الآثار بالوكالة في فلسطين ١٩٤٦ - ١٩٤٩ وأمين متاحف الجامعة الأمريكية في بيروت منذ ١٩٥١. مثل الجامعة الأمريكية في سبعة مؤتمرات للاثريين، في البلاد العربية وفي العالم، رقي الى درجة استاذ آثار في تموز ١٩٥٨.

عندما استولى معاوية على الخلافة اكتفى بالحياة البسيطة التي نشأ عليها بالحجاز ولم يأبه بحياة الرفاهية التي درج البيزنطيون عليها، والشاهد على ذلك ليس فقط عدم العثور على أبنية رائعة من عهد معاوية ويزيد فحسب وانما هناك القول المأثور لميسون زوجة معاوية:
لبيت تخفق الارواح فيه

احب الي من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عيني

احب الي من لبس الشفوف

الا أنه عندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة واستقر ملك العرب من الاندلس غرباً حتى نهر الانديس شرقا لم يكتف الامويون ببساطة العيش بل اخذوا يؤثرون رفاهية العيش كما الفوها عند الشعوب التي اصبحت من رعاياهم وشعروا بما للأبنية الفخمة الرائعة من تأثير عند المسيحيين منهم.

وأراد عبد الملك ان يبرهن لرعاياه ان بمقدور الامويين بناء الابنية الرائعة مثل الروم بل وأفضل. فبنى عبد الملك قبة الصخرة المشرفة في القدس مستعينا بمهندسين من الروم والفرس، فكانت هذه القبة من روائع الهندسة القديمة. كما وانه اقام قصراً يدعى الآن قصر "خرانا" في شرقي الاردن على بعد ٦٨ كيلومتراً شرقي عمان. ومشى في خطاه ابنه الوليد فاقام المسجد الاموي في دمشق والمسجد الاقصى في القدس بجوار قبة الصخرة. كما شيد ايضاً قصراً صغيراً يدعى الآن قصر "عمرا" في شرقي الاردن على بعد ٨٠ كيلومتراً جنوب شرقي عمان.

اما اهم الخلفاء في البناء فكان هشام بن عبد الملك الذي شيد عدة قصور مثل قصر الحير الغربي في بادية الشام على بعد ستين كيلومتراً جنوب تدمر ووضع تخطيطاً لقصر آخر يدعى الآن قصر الحير الشرقي انما لم يتم بناءه، واقام هشام قصرين في فلسطين احدهما يدعى قصر "المنيه" ويقع بجوار بحيرة طبريه والآخر قصر "المفجر" قرب اريحا. عدا ذلك شيد هشام عدة قصور في شرقي الاردن مثل قصر "المشتى" قرب "مأدبا" وقصر "طوبى" في البادية حوالي ٧٠ كيلومترا جنوب شرقي عمان عدا الحمامات العديدة التي اقيمت في بادية الاردن.

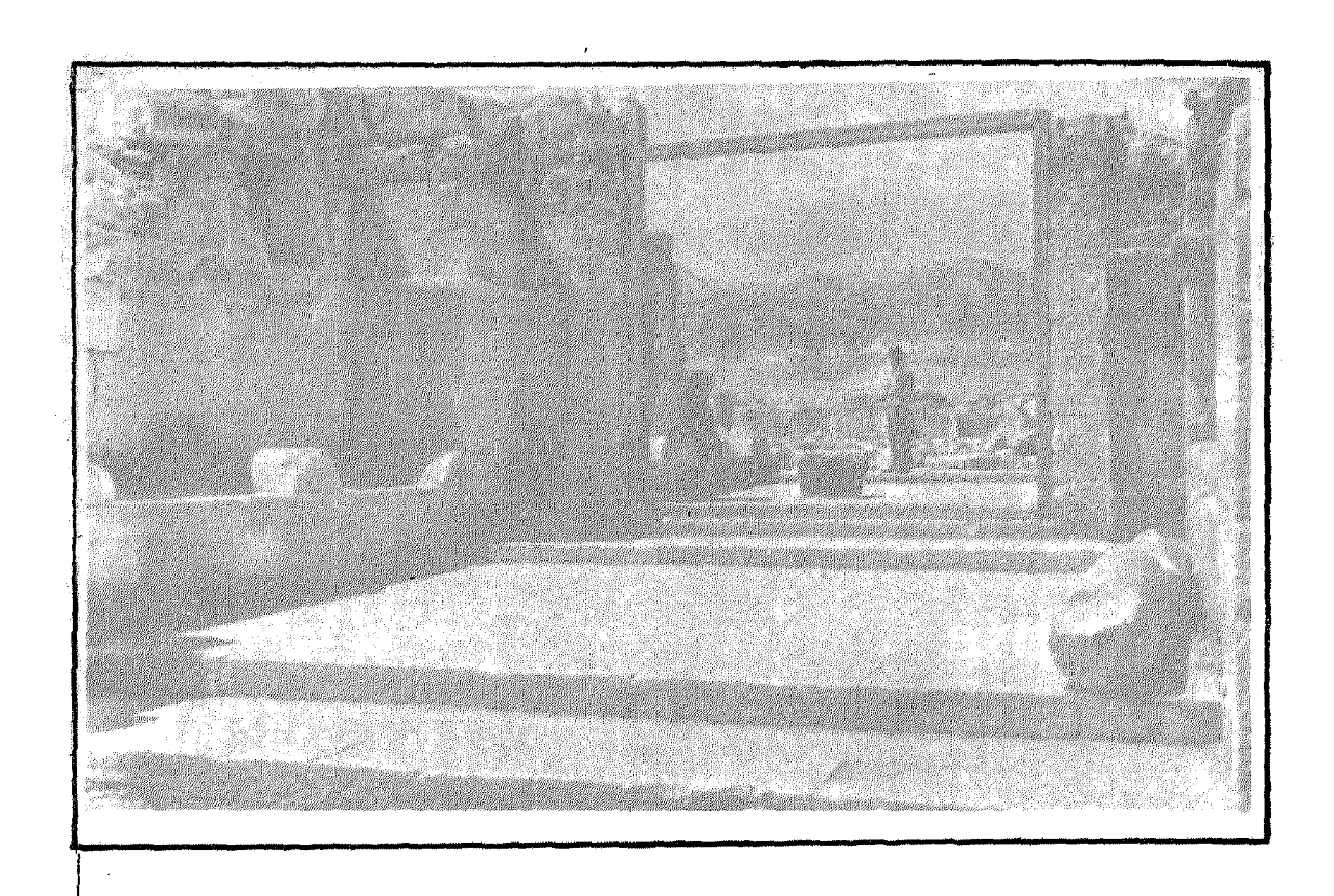
القصور الاموية

والقصور الأموية مبنية كلها على نمط واحد، وفي كثير من اقسامها منقولة عن القلاع البيزنطية التي اقيمت على الحدود بين مملكة الساسانيين والامبراطورية البيزنطية مثل قصر "وردان" بجوار "السلميه" في سوريا. ولكن تصميمها يختلف عن القلاع اذ ان القلاع بنيت محصنّة تحصينا عسكريا بينما القصور الاموية اقيمت للترفيه عن النفس، فكل قصر من القصور اقيم حول صحن واسع شاسع ومفتوح الى الفضاء. وكان الصحن الداخلي هذا محاطا بالاروقة القائمة على اعمدة من الحجر الصلب او المرمر تعلوها الاقواس والعقود المظللة. والاروقة هذه تؤدي بدورها الى غرف وأواوين على طابقين. والقصر محاط بسور عريض تدعمه الابراج المستديرة في زواياه الاربع وابراج نصف مستديرة في وسط كل حائط. اما مدخل القصر فهو في وسط احد الاسوار ومدعم ببرجين اما بشكل نصف دائرة او بشكل ربع دائرة. ومما يسترعي الانتباه الافراط في زخرفة القصر عند المدخل فاما ان يكون مزخرفا بالجبس المنقوش او بحجارة منقوشة بذوق سليم يثلج صدر من يشاهده. ويؤدي المدخل الى قاعة طويلة توجد على جانبيها عادة مقاعد ومتكآت حجرية.

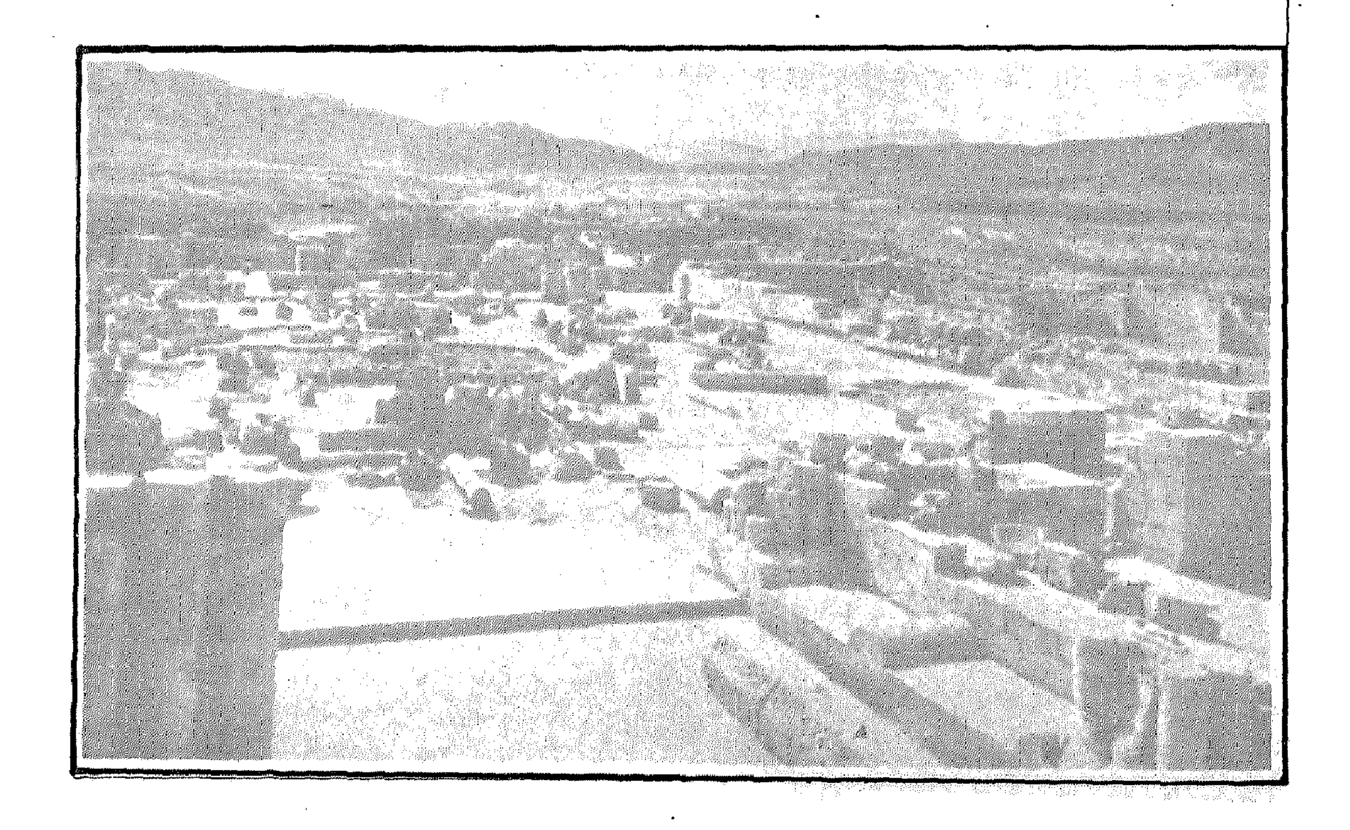
اما قصر "الحير الغربي" فأقيم بجوار حمام بيزنطي قديم دمج بالقصر الجديد. في وسطه صحن كبير واسع محاط بالاروقة على طابقين. وتؤدي هذه الاروقة الى غرف واواوين عديدة. واهمية هذا القصر تعود الى الافراط في زخرفته عند المدخل. فحجارته مغشاة بالجبس المنقوش من اسفله الى اعلاه بالاشكال الهندسية والنباتية التي تتخللها أشخاص وحيوانات. وهذه النقوش آية في دقة الحفر والرونق (شكل ١). وقد نقلت هذه النقوش برمتها واعيد تركيبها في جناح من اجنحة متحف دمشق. عدا ذلك، فجدران الغرف داخل القصر مزدانة بزخارف متعددة الالوان تطغو عليها الاشكال الهندسية ولكن تتخللها الاشكال النباتية وصور اشخاص وحيوانات (شكل ٢).

قصر "خربة المفجر"

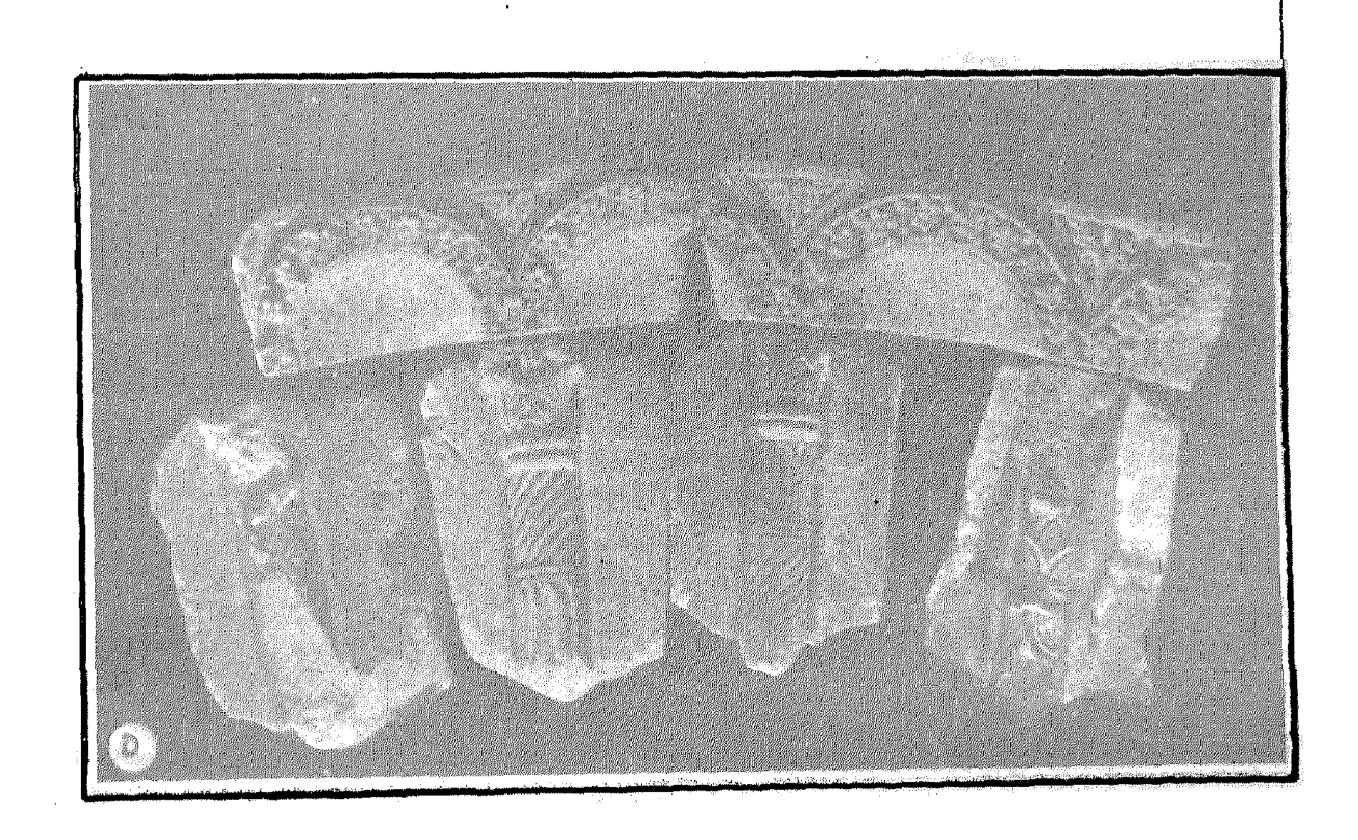
اما اهم قصر اقامه الخليفة هشام فهو القصر في "خربة المفجر" قرب اريحا. اذ أنه كقصر "الحير الغربي" مبني حول صحن داخلي مربع تقريبا تحيط به الاروقة المظللة بالعقود والمرتكزة على الاعمدة والاقواس على طابقين. انما زيادة على سائر القصور، فقد زود هذا القصر بصحن امامي طويل يبلغ طوله ١٠٠ متر وعرضه ٤٠ متراً. ويصل القصر بالصحن الامامي باب مبني ضمن برج مستطيل هائل. وعلى جانبي البرج اروقة على الطابق الاسفل ترتكز على اعمدة طابقين. والاقواس ضخمة كل منها مؤلف من اربعة اعمدة متلاصقة وفي الطابق الاعلى ترتكز الاقواس على اعمدة من الرخام يصل العمود بالاخر درابزين من الجبس المنقوش (شكل ٣).

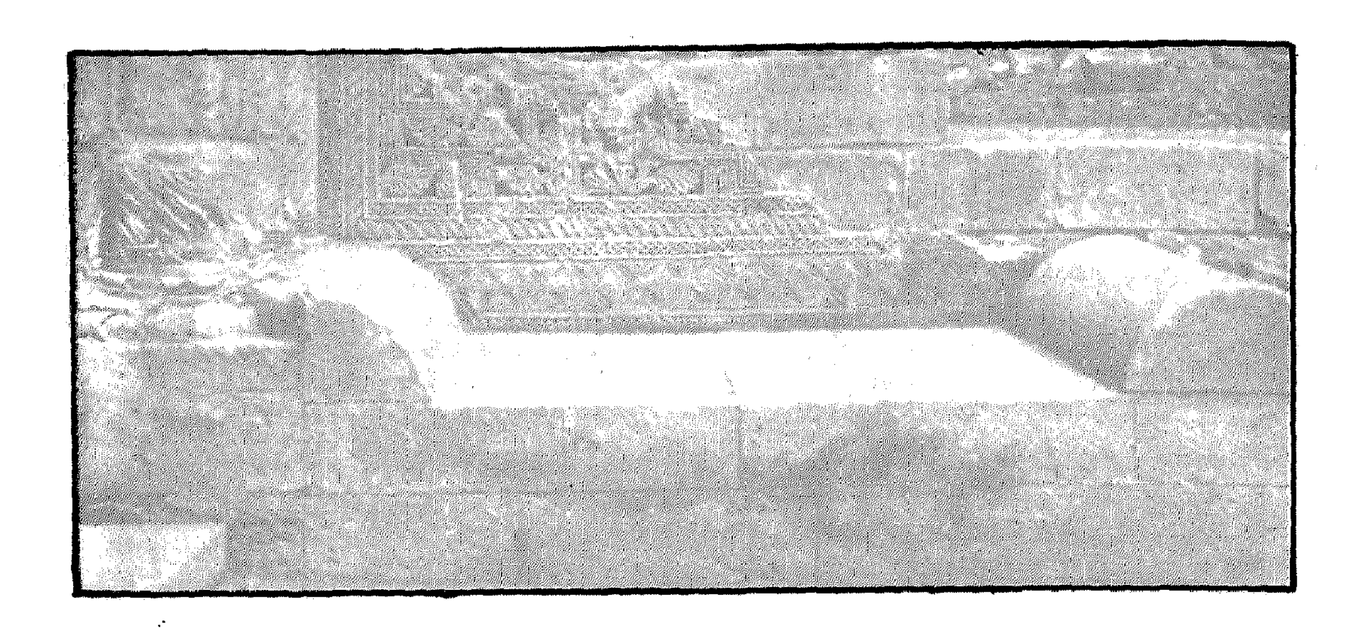


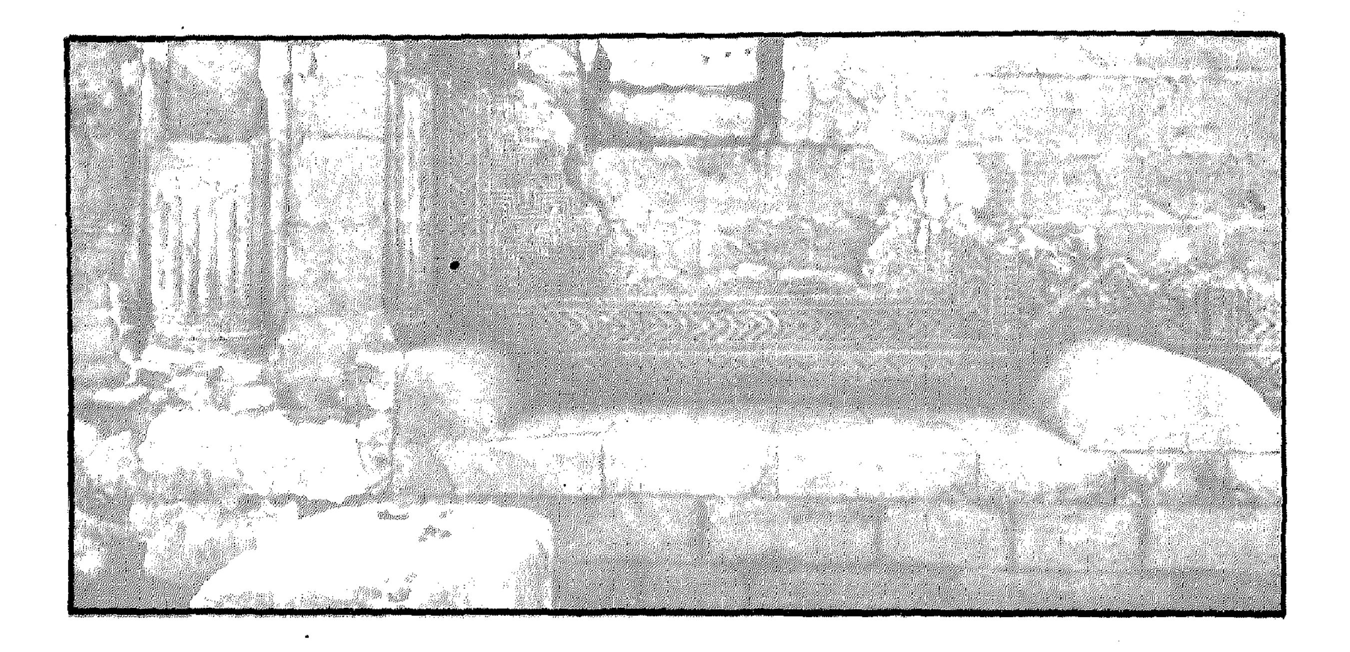
بوابة القصر والمدخل مع الصحن الداخلي

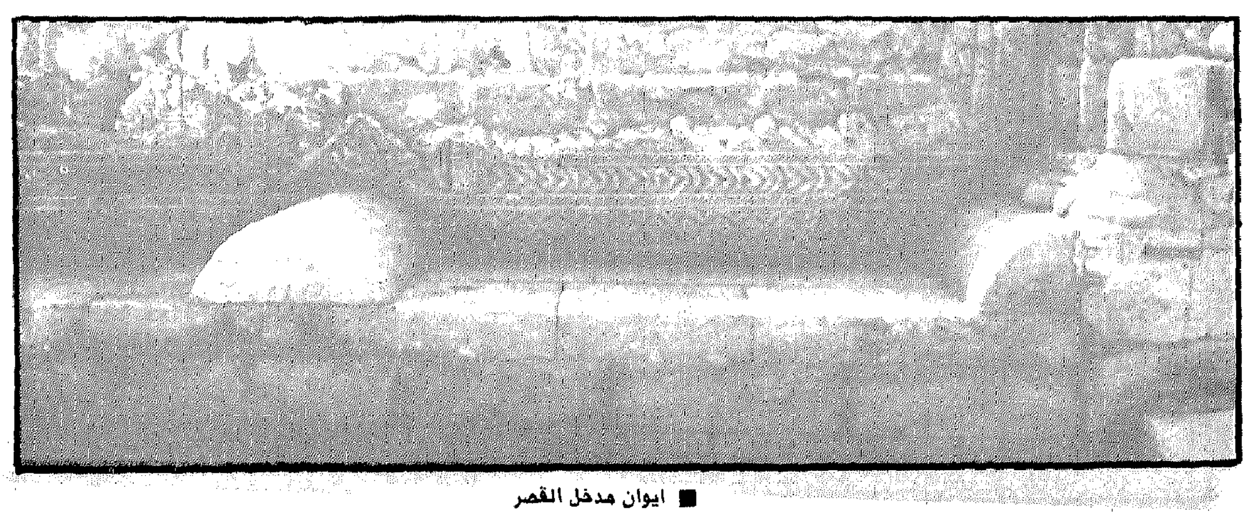


زخارف فوق مدخل القصر









■ ايوان مدخل القصر

على الباب رسوم مقاعد جانبية. وفوق المقاعد كنار مزخرف بالاشكال النباتية ترتكز عليه محاريب صغيرة مكللة برؤوس مزخرفة بالاشكال الهندسية والنباتية (شكل ٤). وعلى جانبي كل محراب عمودان صغيران مزخرفان بالنقوش النباتية. ويعلو المدخل قوس مزخرف بالمحاريب الصغيرة شكله مثل شكل الاقواس الاندلسية أي انه مقسم الى عدة اقواس صغيرة في داخله. (شكل ٥)

وعضادتا الباب مع القبة الفوقية مزخرفة ايضا بالاشكال النباتية والهندسية (شكل ٤). وداخل الباب ايوان مستطيل على جانبيه مقاعد. وجدرانه مكسوة بالجبس المنقوش باشكال هندسية ونباتية (شكل ٦) ورؤوس رجال وراقصات.

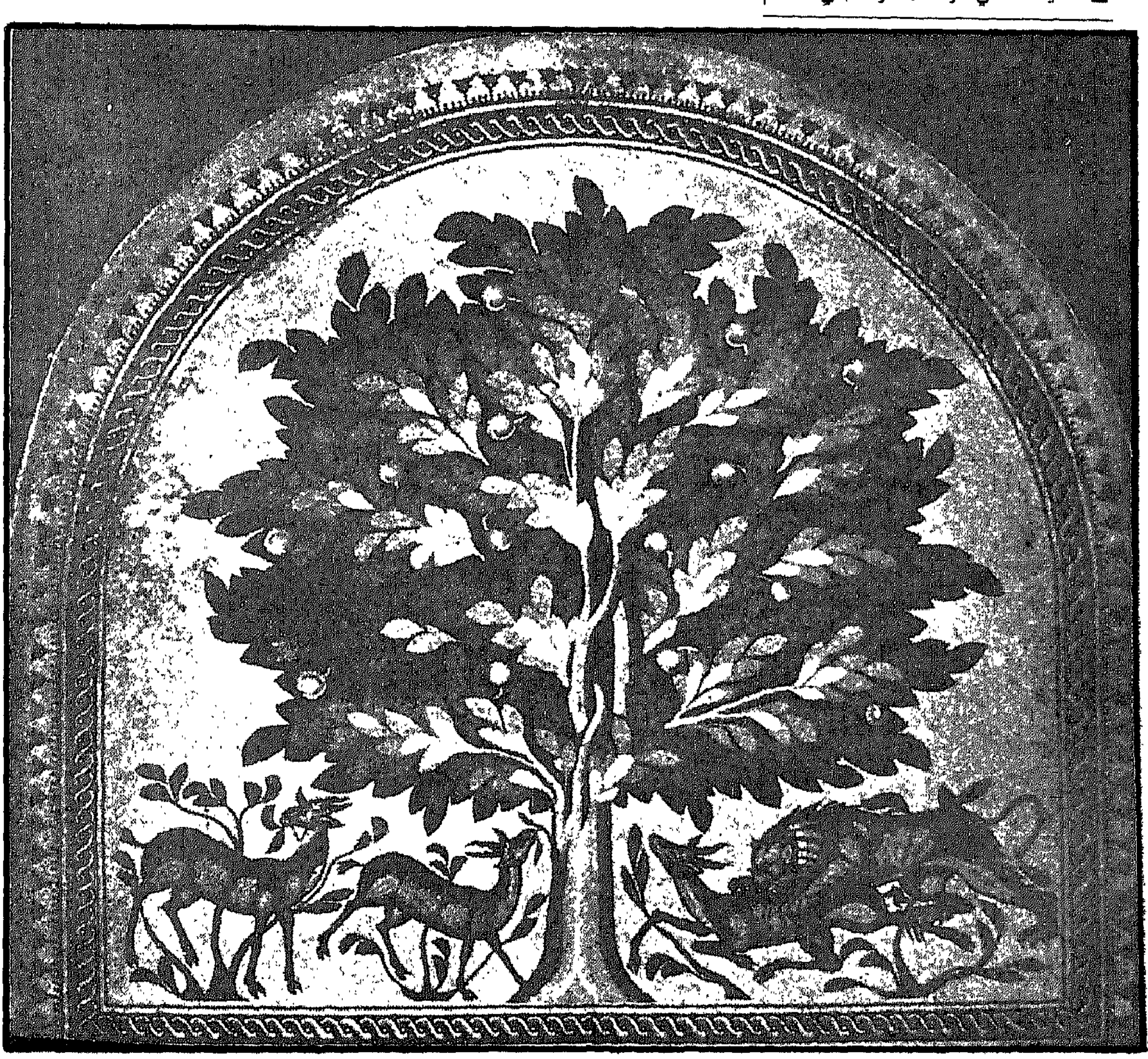
والصحن الداخلي مع الاروقة المحيطة به كلها مرصوفة بالبلاط الاسود. اما الابنية خلف الاروقة فيوجد بينها البناء الغربي حيث ديوان الخليفة تعلوه في الطابق الاعلى غرف سكن الخليفة واسرته. وهو مكون من ايوان في وسطه وايوانان على طرفيه، بينها عدة غرف صغيرة كلها مرصوفة بالمدة الحمراء. اما الاواوين والغرف في الطابق الاعلى فكانت مرصوفة بالفسيفساء (المزاييك).

وتحت هذا البناء يوجد حمام الخليفة الخاص يمكن الوصول اليه بدرجات تهبط تحت الارض. والحمام مؤلف من غرفة مستطيلة في آخره حاجز للاستحمام ومجهز باقنية لجلب المياه النظيفة واخرى لصرف المياه بعد الاستعمال. والقسم الامامي من الحمام مرصوف بالفسيفساء المتعددة الالوان من ابيض واحمر وبرتقالي وزهري واخضر واسود.

والبناء الشمالي مؤلف من ايوان واحد طوله ٣٠ مترا وعرضه ١١ مترا، يظهر انه كان ايوان الولائم فسقفه يرتكز على عدة اقواس. وهذه الطريقة التي كانت متبعة لسقوف الدواوين الكبيرة لدى الامويين اقتبسوها من الرومان.

والبناء الشرقي مكون من ١٦ غرفة تؤدي ثمان منها الى داخل القصر والثماني الاخرى الى خارجه

■ فسيفساء في غرفة الاستراحة في الحمام



فقط اذ ليس هناك اتصال بين الغرف الخارجية والغرف الداخلية . ويظهر ان الغرف الخارجية كانت معدة للخدم .

والطابق الاعلى في هذا البناء يشرف على البحر الميت والجبال خلفه عن طريق الاروقة امامه والتي تكلمنا عنها سابقا . وكانت جدران هذا الرواق والغرف خلفه مزدانة بالصور الملونة التي تمثل ابنية ومناظر قنص وحروباً الخ .

وفي وسط البناء الجنوبي مسجد صغير اعد للخليفة واسرته المقربة فقط وحواليه غرف للخدم والوضوء مجهزة بالاقنية لجلب المياه ومصارف لصرفها . وخلف المسجد مئذنة مربعة .

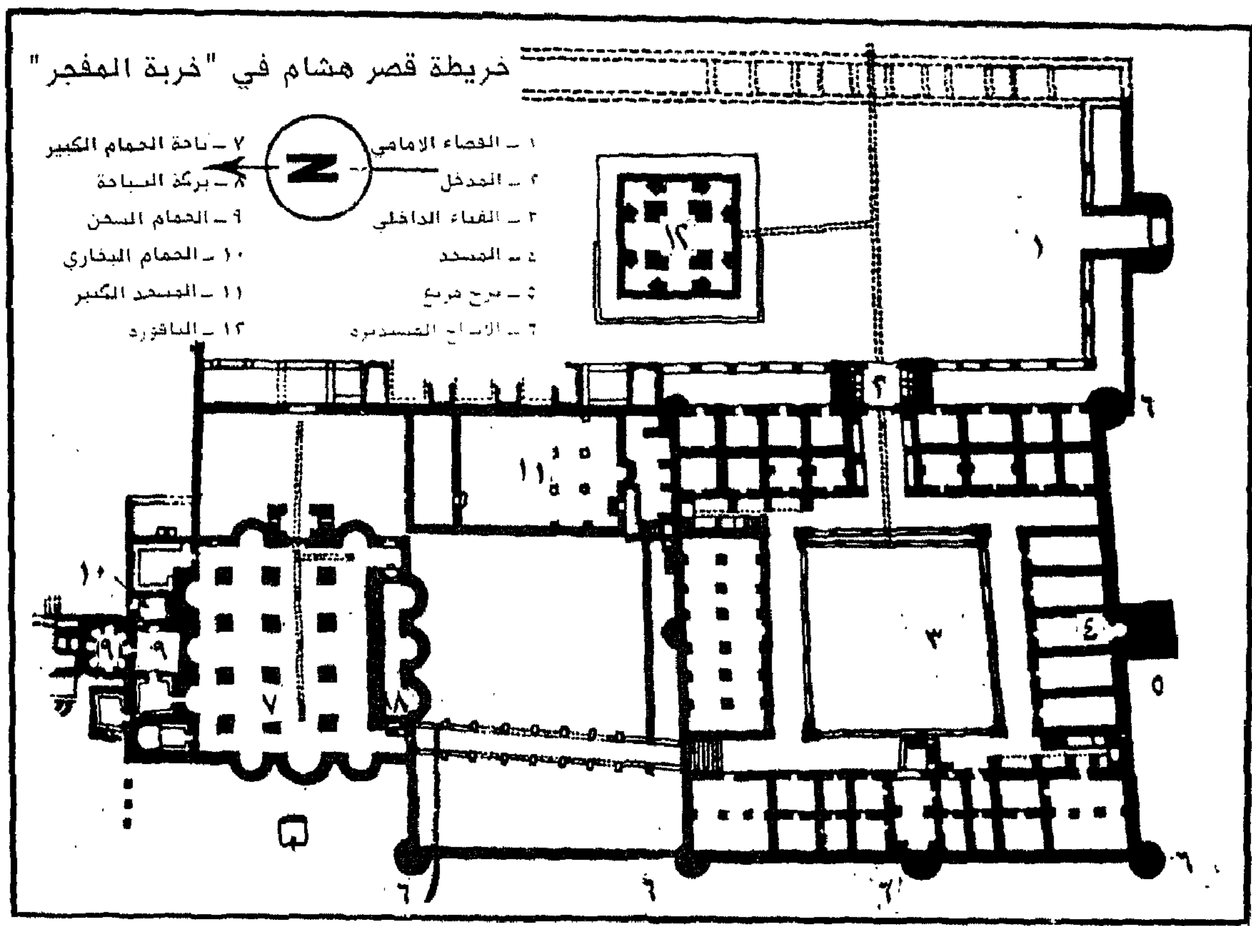
وكانت جدران القصر الخارجية محصنة بابراج مستديرة عند الزوايا ونصف مستديرة في الحائطين الغربي والشمالي .

المسجد الكبير

ويقع المسجد الكبير الى شمال القصر وله عدة ابواب ثلاثة منها في حائطه الشمالي وباب رابع خلف المسجد قرب المحراب لاستعمال الخليفة .



■ زهرة تتخلل اوراقها رؤوس بشرية كانت تزين سقف غرفة الاستراحة في الحمام



والمسجد كأول المساجد في مكة المكرمة والمدينة المنورة كان مسقوفاً نصفه فقط والنصف الاخر مفتوحاً للفضاء ويرتكز سقفه على الاقواس القائمة فوق الاعمدة.

اما الحمام الكبير فيصله بالقصر ممر مسقوف قرب الزاوية الشمالية الغربية من القصر. والحمام عبارة عن بناء مربع طوله ٣٠ مترا مجهز باحد عشر محراباً كبيراً ثلاثة منها في كل جهة من الجانب الجنوبي وثلاثة في الجانب الغربي وثلاثة في الجانب الشمالي واثنان في الجانب الشرقي يتوسطهما المدخل الرئيسي الى الحمام.

وفي آخر الحمام من الجهة الجنوبية حاجز خلفه بركة للاستحمام. وكان الحمام مسقوفا بقبة عالية في الوسط وحوله قبب وعقود ادنى منها جميعها. وهو يرتكز على اقواس ضخمة قائمة على اعمدة مربعة حجم كل منها متران و٣٠ سنتمترا. والحمام مرصوف بالفسيفساء المتعددة الالوان. وفي الزاوية الشمالية الغربية من الحمام غرفة مستطيلة مرصوفةبابدعفسيفساء وجدت في الشرق الادنى وهي تمثل شجرة رمان تحتها اسد يفترس ظبيا من جهة وظبيان من الجهة الاخرى (شكل ٧) وجدرانها مكسوة بالجبس المنقوش (شكل ٨).

ومدخل الحمام الرئيسي كان من الشرق وهو عبارة عن برج صغير مسقوف بقبة وجدرانه مزدانة بالمحاريب الصغيرة داخل كل واحدة منها تمثال لجارية شبه عارية او رجل يلبس وزرة في وسطه.

اما طريقة معرفة تاريخ القصر فتمت بالمقارنة مع قصور الامويين المعروفة في شرقي الاردن وسوريا وفلسطين وايضا بالعثور على رقعتين من الرخام وجد اسم هشام امير المؤمنين مكتوباً عليهما.

وفي القسم الشمالي من الصحن الأمامي بركة ذات نافورة ومسقوفة بقبة قائمة على اربعة أعمدة ضخمة تحيط بها منمنمة تماماً مثل قبة الصخرة المشرفة بالقدس.

قصر المنية

و"قصر المنية" اقيم على النمط ذاته انما غلب فيه استعمال المنحدرات بدلا من الادراج، وكثر فيه استعمال الفسيفساء المتعددة الالوان في اغلب الغرف. هناك بيت مؤلف من ايوان واربع غرف كلها مرصوفة بالفسيفساء.

عدا هذه القصور ففي شرقي الاردن عدة قصور اموية اخرى سنتحدث عنها في فرصة اخرى.

ويجدر اختتام هذه الكلمة بترديد ابيات للشاعر الفارسي الشهير عمر الخيام تنطبق على ما حل بهذه القصور من دمار:

وقصور زاهرات زاهية   عفر الصيد الجباه الحاليه

في ثراها لمليك طاغية   اصبحت مأوى حمام رتلا

حر في محيل متداع

قصة ورقة التبغ .. وتاريخ التدخين في العالم



د. عزيز قليلات

■ أحدث الدعايات الحديثة ضد التدخين ومضاره

د. عزيز قليلات: خريج جامعة شارل الرابع – براغ.

التبغ (كلمة إسبانية "تاباغو" مأخوذة أساساً من لغة مجهولة في أميركا الوسطى) هو اسم لنبتة حشيشية من فصيلة (Solanacées) وهذا الاسم يدل على مجموعة المستحضرات الناتجة عن تجفيف أوراق هذه النبتة، أحضر إلى أوروبا في بداية القرن السادس عشر واصبح احد مصادر تخدير الرجل (التدخين)٠

احد التقارير الصادرة عن المنظمة العالمية للصحة عام ١٩٧٤ أكد خطر التدخين على الوجه التالي:

"التدخين هو عامل خطر بأهمية كبيرة، فنسبة الوفيات بين المدخنين تتجاوز نسبتها بين غير المدخنين بـ٣٢٪، وهو يتحمل جزءاً كبيراً من مرض سرطان الرئة، النزلة الصدرية وضيق التنفس٠

"وتعود للتدخين نسبة كبيرة من الوفيات الـ Foetale ويمكن ان يتسبب في الـ Teratogene ٠٠٠ وبمقدار ما يزداد إنتاج واستهلاك هذه المادة، يجب الاهتمام بوسائل الحد من الانتشار"٠

يبدأ تاريخ التبغ مع اكتشاف كريستوف كولومبس لأميركا عام ١٤٩٢، وبالفعل فان هنود أميركا كانوا يتوارثون زراعته واستعماله جيلا بعد جيل في كل قطاعات "الارض الجديدة" وذلك إستناداً الى تاريخ الغليون المصنوع من التراب المجفف (الطين)٠

وتاريخ التبغ هذا وتاريخ استعماله أثارا مناقشات كثيرة، فالمخالفون لهذه النظرة قدموا اثباتين، وجود كتابات يونانية - رومانية واكتشاف أشياء كالغليون أثناء الابحاث عن الآثار (في فرنسا وسويسرا وايرلندا وإيطاليا)، وبالفعل فقد ثبت الآن ان هذه الأشياء كانت تستعمل لتدخين النباتات ذات الرائحة وأحياناً بهدف علاجي، وهذا النوع من الاستنشاق ينصح به الاطباء اليونانيون ٠

قبل وصول الأوروبيين إلى الأرض الجديدة، كانت أميركا مأهولة بالهنود الموزعين على شكل قبائل، أكثريتهم قرب الأطلنتيك، والبقية في الوسط وإلى الغرب،أهم هذه القبائل كانت: الايروكوا - الهررون - الابوا - الشيين - الاوتار - الوهاوكس والسيو٠

ولأن التبغ ينبت طبيعياً في السهول، اعتقد الهنود ان هذه النبتة هي هبة للاتصال بالأرواح، وأغلب الطقوس الدينية التي وضعها الهنود انفسهم اعطت التبغ صفة الرمز الديني، ومن الشكل البري انتقل التبغ الى نبتة جديرة بالعناية وذات قيمة مهمة٠

ففي قبائل السيو أصبح الرجل الطبيب (أو الساحر) هو "حارس الغليون"، وهو مقدس اعطى من روح الزلزال نفسه، وعادة الغليون المقدس انتقلت عند السيو بواسطة الفم من ساحر الى آخر وعلى مدى قرون عدة٠

ولعب التبغ دوراً مقدساً ومهماً وجرى استغلاله للاستعمال قبل حالات الولادة، كانت المرأة الحامل تزور الساحر: فاذا أرادت صبياً كان هذا يضع لها سهماً مزيناً بالتبغ، وإذا ارادت فتاة كان يقيم على الارض حلقة من أوراق التبغ مع شعر امرأة معقود٠

وكان التبغ ذا أهمية في تقوية معنويات الصبي الذي يريده أهله محارباً، وكانت الطقوس تجري بوضع الغليون المقدس في الوسط وبعدما تجري عملية تطهير الفتى من الأرواح كان عليه اشعال الغليون وتدخينه٠

★ ★ ★

لقي التبغ نجاحاً كبيراً في أوروبا عندما احضر إليها بواسطة البحارة البرتغاليين والإسبانيين والهولنديين، وعرف انتشاراً واسعاً مصحوباً بنجاح ملموس لكونه حل محل أدوية أكثر تخديراً وجسّد فكرة ان الطبيعة هي التي تساهم في شفاء المرض٠

وإذا كان التبغ قد وصل إلى المرافىء البريطانية بواسطة "جاك كارتيه" في سان مالو عام ١٥٣٦ فان ظهوره الرسمي في فرنسا يعود إلى تيفيه وإلى "جان نيكو"٠

كان تيفيه راهباً، وبعد عودته من رحلة على الشواطىء البرازيلية غرس في حديقته عدة شتلات كان قد أحضرها معه كنوع من الحشرية الزراعية، وبين هذه الشتلات كانت توجد شتلات تبغ، لم يكن يرى في هذه النبتة إلا نوعاً من التجميل ومر "اكتشافه" دون معرفة٠

أما نبتة "جان نيكو" فقد لقيت اهتماماً أكثر، فقد قرر هذا السفير الفرنسي لدى البرتغال والذي كانت وظيفته تدفعه الى الاهتمام بالتجارة الجديدة القادمة من "العالم الجديد"، وبعد أن شفي أحد المقربين إليه بواسطة التبغ قرر زراعة هذه النبتة وأصبح بستانه مقصداً لكل طالب للشفاء٠

أرسل "نيكو" نموذجاً من أوراق التبغ إلى شقيقه كاردينال اللورين، ودون شك كان هو الذي أدخل النبتة إلى القصر الملكي وعالج "كاترين دي مديسيس" وشفاها من أوجاعها وانتشر "النموذج الملكي" واتبع من كل انحاء المملكة - استعمل اولا للعلاج وبعد ذلك للذة التدخين، آنذاك صدرت عدة مؤلفات عن التبغ - العلاج٠

وفي القرن السابع عشر كان الغليون معروفاً في



■ "رقصة التبغ" التي [illegible] فرقعات من التبغ.

الاوساط الأرستقراطية والبرجوازية في المدينة وبيع التبغ في البداية في الصيدليات تحت إسم (كليستير بوم نازي) ثم انتقل إلى المؤسسات الرسمية ورغم إنشاء مزرعة التبغ عام ١٧٦٤ فقد بدأ تهريبه ومزجه بأنواع أخرى وبالماء من أجل زيادة وزنه عند البيع.

ولكن رغم كل هذا النجاح عرف التبغ بعض المقاومة. ففي هذه الفترة احتج بعض الأطباء بأنه يسبب أمراضاً ومنعته الكنيسة وبعض الحكومات (وفي تركيا كانوا يقطعون أنف وشفاه المدخنين).

التبغ والسرطان

في القرن الثامن عشر أصبح الغليون أكثر شعبية وأوحى بصناعة مكثفة لعلب التبغ من العادية الى الاكثر إناقة. كان الغليون في البداية يصنع من الطين في دنكرك وسان هومير وروان. وبعد ذلك بدىء بصنعه من الخشب في باريس وسان كلود. وعند إنشاء مزرعة التبغ احتفظ "كولبير" للدولة بحق بيعه (١٦٧٤) وبعد ذلك بصنعه (١٦٨١). وانتاجه كان حراً ولكن بقوانين صارمة.

ورغم قسوة العقوبات ـ الجلد واحياناً الاعدام في عام ١٧٨١ ـ لم تتوقف عمليات الغش والتهريب الا عند اندلاع الثورة.

وفي ١٨١٠ عدّل نابليون مرسوم صنع وبيع التبغ واستحدث "الريجي" التي ما زالت قائمة حتى اليوم.

في هذه الفترة بدأت الأبحاث العلمية. وفي عام ١٨٠٩ اكتشف "نيقولا فوغلان" مواد آزوتية في خلاصة احدى اوراق التبغ. وبعد عشرين عاماً وضحت معالم هذه المواد وعرفت "بالنيكوتين" بواسطة "بوسلت وريمان".

بعد سنوات أعلن أحد أطباء مونبلييه ويدعى بواسون أن بين المصابين بالسرطان عدداً كبيراً من مدخني الغليون.

وهكذا يربط العلماء بين التبغ والسرطان، وابحاث كثيرة تجري منذ عدة سنوات في هذا الاتجاه.

الدراسة الزراعية

لا ينتمي التبغ الى فصيلة النيكوتيانيا (والمعروف منها ستون نوعاً مختلفاً) من عائلة Solanacées والتي تضم البطاطا والبندورة والتوابل...... وأغلب انواع التبغ اميركية وتوجد أيضاً أنواع اوسترالية. وخلاف عدة أنواع تستعمل للزينة فالتبغ المعتنى به نوعان فقط:

(النيكوتيانيا تاباكوم) ويسمى بالتبغ الكبير (والنيكوتيانيا روستيكا) ويسمى بالتبغ الصغير.

التبغ الكبير والذي يسمى احياناً (بالتبغ الذكر) هو نبتة كبيرة سنوية يبلغ طولها مترين أحياناً وهي تحمل اوراقاً كبيرة متفرقة بشكل بيضاوي وتدعى (المتشعبة) ويصل حجمها أحياناً الى ٧٠ سم طولا و٤٥ سم عرضاً وأزهارها ذات لون زهري او احمر وأحياناً اصفر. وتحمل الثمرة عدداً كبيراً من البذور الصغيرة الحجم (من عشرة إلى ثلاثة عشر ألف حبة في الغرام الواحد) وتخرج من النبته رائحة قوية جداً.

التبغ الصغير او (التبغ الانثى) لا يبلغ طوله أكثر من متر واحد. اوراقه بيضاوية وطرية. زهرته صفراء اللون وتحتوي على بذور أقل من صنف التبغ الكبير ولكن بحجم أكبر.

أنتاج التبغ

قفز الانتاج العالمي للتبغ من ٢،٨٤١،٨٠٠ طن عام ١٩٤٨ إلى أكثر من خمسة ملايين في عام ١٩٧٤ ويتوقع أن يزيد عن الستة ملايين طن عام ١٩٨٠. وتأتي آسيا في الطليعة بنسبة ٤٥٪ من الانتاج وهي تتقدم أميركا الشمالية تنتج ٢٣٪ ولكن الولايات المتحدة تعطي الانتاج الاكبر في الهكتار الواحد (٢٣٢٤ كلغ).

ومنتجو التبغ الرئيسيون عام ١٩٧٢ في العالم كما يأتي:

١ ـ الصين	٨٠٣٠٠٠ طن
٢ ـ الولايات المتحدة	٧٩٣٢٢٣ طن
٣ ـ الهند	٤٠٩٢٠٠ طن
٤ ـ البرازيل تقديراً	٢٥٥٠٠٠ طن
٥ ـ الاتحاد السوفياتي	٢٤٠٠٠٠ طن
٦ ـ تركيا	١٤٢٠٠٠ طن
٧ ـ اليابان	١٤٢٠٠٠ طن
٨ ـ بلغاريا	١٤٢٠٠٠ طن
٩ ـ كوريا الجنوبية	٩٣٩٠٠ طن
١٠ ـ الباكستان	٨٦٩٣٠ طن

تأتي بعد ذلك اليونان وتنتج ٨٥٠٠٠ طن ثم ايطاليا وبولونيا واندونيسيا والمكسيك وكندا. ولا يتجاوز انتاج فرنسا الخمسين الف طن.

وبالنسبة للمساحات المزروعة فقد تحولت ثلاثة ملايين هكتار عام ١٩٤٨ الى أكثر من أربعة ملايين عام ١٩٧٢.

استهلاك التبغ في العالم

يجب التمييز بين استهلاك التبغ باشكاله المختلفة وعلى شكل لفائف والاستهلاك السنوي للمواطن الذي تجاوز الخامسة عشرة هو كما يأتي:

ويأتي في هذه الاحصائية استدراك هو أن نسبة الاستهلاك المذكورة أدناه اعتمدت على كمية المبيعات السنوية وعلى عدد السكان الذين تجاوزوا الخامسة عشرة. ولذلك فان الاحصاءات المتعلقة ببعض البلدان مغلوطة بعض الشيء نسبة الى الكمية المباعة للاجانب المارين بهذه البلدان. (المصدر: لجنة أبحاث التبغ انسكلوبيديا التبغ).



■ في القرن الثامن عشر اتقن المدخنون التدخين الى درجة انه تحول من وسيلة لعلاج الاوجاع الى وسيلة لهو. في الصورة المعدات الضرورية لكل مدخن في ذلك العصر.

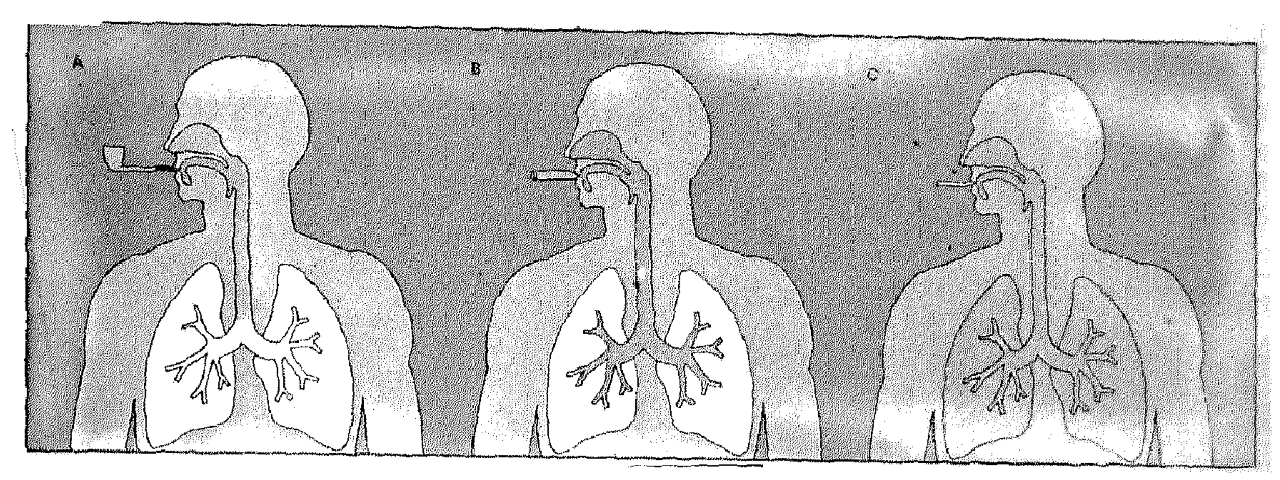
البلد	١٩٣٥	١٩٧٠
أفريقيا الجنوبية	١،٥	٢،٣
المانيا	٢،٢	٢،٣
المانيا الديمقراطية	٢،٢	٣،٠
الارجنتين	٢،٠	٢،١
استراليا	١،٨	٣،٣
النمسا	١،٧	٢،٥
بلجيكا	٣،١	٣،٤
البرازيل	١،٦	١،٧
كندا	٢،٢	٤،٤
اسبانيا	١،٦	٢،٤
الولايات المتحدة	٣،٥	٤،٣
فنلندا	١،٢	٢،٢
فرنسا	١،٧	٢،٦
اليونان	١،١	٢،٦
إيسلندا	١،١	٣،٩
إيطاليا	٠،٩	١،٨
اليابان	١،٤	٢،٨

والاستهلاك السنوي للمواطن الذي تجاوز الخامسة عشرة من اللفائف المصنوعة

البلد	١٩٣٥	١٩٧٠
أفريقيا الجنوبية	٥٢٠	١٣٦٠
المانيا	٧٢٠	١٣٦٠
المانيا الديمقراطية	٧٢٠	٢٥٠٠
الارجنتين	١٠٦٠	١٨٠٠
استراليا	٤٥٠	٢٩١٠
النمسا	٨٦٠	٢٣٣٠
بلجيكا	٧٩٠	٢٣٨٠
البرازيل	٦٠٠	١٣٥٠
كندا	٧٠٠	٢٣٤٠
الدانمارك	٤٧٠	١٦٩٠
اسبانيا	٣٩٠	٢١٠٠
الولايات المتحدة	١٤٥٠	٣٦٧٠
فنلندا	١٣٥٠	١٨٥٠
فرنسا	٥٣٠	١٨٣٠
اليونان	٩٦٠	٢٢٦٠
الهند	٨٠	١٩٠
ايرلندا	١٢١٠	٣٠٤٠
ايسلندا	٤٩٠	١٩٥٠
الهند	٠،٩	٠،٨
المغرب	٠،٤	٠،٨
المكسيك	١،٥	١،٦
النروج	١،٥	٢،٣
زيلندا الجديدة	٢،٠	٣،٥
هولندا	٣،٨	٤،٠
البرتغال	٠،٦	١،٣
المملكة المتحدة	٢،٢	٢،٧
السويد	١،٦	٢،٠
سويسرا	٢،١	٤،٧

٥ بلدان

إن كندا والولايات المتحدة وهولندا وايسلندا والدانمارك هي البلدان الخمسة التي يستهلك المواطن فيها أكبر نسبةمن التبغ ولكن في ايسلندا والدانمارك، يتم التدخين بواسطة الغليون أو السيجار، وذلك بعكس البريطانيين والايرلنديين الذين يعتبرون من أكثر مدخني السجائر،



■ رسم يوضح مدى مخاطر تدخين الغليون (A) والسيكار (B) والسيجارة (C).

وبالنسبة لطريقة استهلاك التبغ تأتي السيجارة في الطليعة وتتقدم على الغليون والسيجار. وتوجد طرق اخرى لاستهلاك التبغ بواسطة المضغ والاستنشاق. وإن عادة التدخين بواسطة السجائر الاكثر اتباعاً والاكثر خطراً في الوقت نفسه ونوع السجائر يختلف بالنسبة للبلد وبالنسبة للجنس، وللمهنة ولنفسية المستهلك:

– إن الفرنسيين يفضلون السجائر السوداء ولكنهم يميلون الى الشقراء اكثر فأكثر. (١٣٪ عام ١٩٧٤).

– الالمان الذين كانوا من أكبر مدخني السيجار، يميلون اكثر فأكثر الى السجائر ذات النكهة الاميركية.

– البريطانيون يفضلون تبغ "فرجينيا" والاميركيون يفضلون مزيج التبغ الاشقر.

ان نسبة السجائر ذات الفلتر تزداد باضطراد وهي الاكثر استهلاكاً في بلاد الانكلو – ساكسون.

نسبة السجائر ذات الفلتر في بعض البلدان عام ١٩٧٣

	٪
سويسرا	٩٦
اليابان	٩٦
المانيا الديمقراطية	٨٥
الولايات المتحدة	٨٥
ايطاليا	٧٤
بلجيكا	٦٨
فرنسا	٥٠
هولندا	٥٠
بولونيا	٤٣
روسيا	٤٠
المملكة المتحدة	٨٣

الفلتر

وفكرة زيادة رأس فلتر الى السيجارة تعود الى حوالي قرن. ففي البداية كانت بشكل اسفنجة أو من القطن لمحاولة امتصاص النيكوتين والنفايات.

والسجائر ذات الفلتر ظهرت للمرة الاولى مع الحرب العالمية الثانية وذلك في سويسرا ثم انكلترا. ولم يتخذ الفلتر الموافقة العلمية إلا عام ١٩٥٠ ومنذ ذلك الوقت تجري الابحاث لمحاولة تحسينه وتطويره.

ففي فرنسا تزداد نسبة إستهلاك السجائر ذات الفلتر بسرعة كبيرة: ١٠،٥٪ عام ١٩٦٠، ٢٥٪ عام ١٩٦٥، ٣٧٪ عام ١٩٧٠، ٥٤٪ عام ١٩٧٤.

وطريقة عمل الفلتر مثلثة وتختلف حسب نوع الفلتر المستعمل: فالمرحلة الاولى تحاول (حصر) بعض الاوساخ التي تذهب مع الدخان. في المرحلة الثانية يقوم الفلتر بايقاف المادة الغازية وهكذا يمتص نفايات اخرى.

وأخيراً فان بعض المواد التي تستطيع ان تتجزأ جزئياً مثل النيكوتين والفينول والتي تتجمع كحبيبات مائية صغيرة جداً يمكن امتصاصها بالفلتر.

التدخين ونتائجه

يقصد بالتدخين كل عملية تسمم او اختناق سببها التبغ إن كانت بشكل صوري اوعملي. وهي عملية تسمم قاتلة للجسد بنسبة ما يكون هذا قد احتوى على كمية من الأوساخ، على مدى السنين، من دخان التبغ، وبالأخص دخان السيجارة، أما الغليون والسيجار فان دخانهما لا يبلغ إلا بنسبة ٤٪. أما السيجارة فدخانها كله تقريباً يبتلع.

وهكذا نرى أن نسبة خطر التدخين هي متساوية مع نسبة تدخين السيجارة.

فمن حوالي عدة ملايين عام ١٩٠٠ أصبح بيع السجائر اليوم في فرنسا إلى أكثر من سبعين مليارا: ٦٤٪ من الرجال و٤٣٪ من النساء يدخنون. ولناحية المرض فان التدخين يتسبب بحوالي ٦٠٪ من النزلات الصدرية وبأغلبية حالات ضيق التنفس وبنصف الذبحات القلبية الخطرة.

عوامل التدخين في أسباب الوفاة

إن التجارب المتعددة التي اجريت في انحاء العالم تثبت بدون شك ارتفاع نسبة الوفيات لدى المدخنين. وكل سيجارة تجعل مدخنها يخسر ١٥ دقيقة من عمره وهذا ما يعادل حسب الدراسات ثماني الى تسع سنوات لدى احد كبار المدخنين.

واستناداً لذلك فان أمل الحياة لشاب في الخامسة والعشرين يكون كالتالي:

- لغير المدخنين أمل ٤٨ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٧٣).
- لصغار المدخنين أمل ٤٢ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٦٧).
- لكبار المدخنين (أكثر من علبتين يومياً) أمل ٤٠ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٦٥).

إن ارتفاع نسبة الوفاة للمدخنين تزداد مع عمق الابتلاع وأيضاً حسب عمق استنشاق الدخان. وهكذا نجد أن نسبة ازدياد الوفاة تبقى معدومة لدى مدخني الغليون والسيجار الذين لا يستنشقون ابدا الدخان تقريباً.

وعلى سبيل المثال فان سرطان الرئة وهو احدى نتائج التدخين، يتسبب بوفاة أكثر من ٣٠٠،٠٠٠ إنسان سنوياً، وأكثر الدراسات تؤكد أن هذه الوفاة تأتي من السيجارة بنسبة ٩٠٪ وان عملية إستنشاق الدخان هي مهمة مثل عدد السجائر او كمية التبغ الكلية.

إن دراسات "هاموند" تثبت الوفاة بسرطان الرئة نتيجة لعدد السجائر المدخنة ولطريقة التدخين، وتظهر النتائج في نسبة الوفيات (عدد الوفيات لدى المدخنين نسبة لغير المدخنين) والنسبة تساوي واحد لدى غير المدخنين.

التبغ والحمل

لقد تأكد ان التدخين يزيد من خطر الاجهاض لدى المرأة الحامل. ويوجد أيضاً خطر النقص في وزن المولود الجديد. وقد نسب إلى التبغ إنه يتسبب في بعض حالات الوفاة عند الولادة.

ان تسمم Foetus بدخان السيجارة عند الام الحامل له عدة عوامل بينها:

- ■ انخفاض في حجم البيوضات المنوية للنمو.
- ■ على النمو بانخفاض الوزن والطول للمولود الجديد بالنسبة للمتوسط للسنين القادمة.
- ■ وفوق ذلك كله هنالك عاهات لدى المدخنات أكثر من غير المدخنات بنسبة الضعفين.

لماذا ندخن؟

إن التبغ ليس بالعلاج، هل هو لذة؟ يبدو أن عاملين أساسيين يدفعان إلى التدخين:

- ■ عوامل نفسية خاصة بالمدخن نفسه، اولا التقليد ثم التحرر لدى الشبان ثم العصبية أو الضيق.
- ■ عوامل البيئة التي تؤثر بشدة على العوامل السابقة (الاعلانات المشوقة التي تضع التبغ الى جانب الجمال، القوة، السفر والنجاح، وأسلوب العيش خاصة في المدن الكبيرة الصعبة احياناً والتي تخلق حاجة الى الهروب والى لذة الفرار من الضيق، فتكون السيجارة احد الاعذار لكل هذه الاسباب.

مصدر الدراسة:

Encyclopédie alpha de la médecine V. 8. N. 118

الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني

من وضع الميثاق الوطني؟
وماذا كان يحتوي؟

في القسم الاول من "الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني" عالج الدكتور باسم الجسر تاريخ النضال من أجل الاستقلال ومحاولات فرنسا لعرقلته ثم لاستبداله بمعاهدة مع سوريا ولبنان، وفي هذا القسم يعالج موضوع الميثاق الوطني والتعايش بين المسلمين والمسيحيين ثم المحاولات المختلفة لتفسيره واعادة عجلة البلد الى الوراء... ليخلص الى احدى صور هذه المحاولات وهي الحرب المستمرة في لبنان منذ عام ١٩٧٥.

د. باسم الجسر

■ ان فكرة ايجاد ميثاق وطني بين اللبنانيين يساعدهم على تجاوز التناقض الوطني والطائفي الذي قام بعد اعلان دولة لبنان الكبير (١٩٢٠)، بدأت تظهر منذ السنوات الاولى التي تلت قيام الميثاق الجديد، ولكنها لم تبدأ تبلورها إلا في الثلاثينات، ولم تبين معالمها إلا بعد ١٩٣٦.

ذلك أن انقسام اللبنانيين الى فريقين وطنيين ـ سياسيين ـ طائفيين، احدهما "كياني ـ لبناني" ـ مسيحي ـ مؤيد للانتداب والثاني "كياني ـ عربي" ـ مسلم ـ رافض للانتداب، لم يكن أمراً طبيعياً أو منطقياً بالنسبة لشعب واحد يعيش في ظل دولة موحدة ويشترك ممثلوه في مجلس نيابي واحد وحكومة وادارة واحدة..

من هنا كان عدد الوطنيين من سياسيين ومثقفين من الذين يرفضون هذا التناقض، يزداد يوماً بعد يوم، وتبرز محاولات دائمة، حزبية او انتخابية او نقابية أو فكرية، هدفها تجاوز الانقسام الطائفي والتضاد الوطني.

من ابرز تلك المحاولات التي جرت بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٣٦ نشوء احزاب عقائدية: (الحزب القومي، الشيوعي) حزب الاستقلال الديمقراطي ومنها محاولة انتخاب مسلم ـ هو الشيخ محمد الجسر ـ رئيساً للجمهورية اللبنانية (١٩٣٢) ومنها ثورة البطريرك عريضة على الانتداب الفرنسي وتزعمه لحركة مقاومة الاحتكارات الاجنبية ومنها بروز صحافة وطنية مستقلة عن الطائفية (الاحرار، المعرض).

إلا ان الاسباب الحقيقية التي ساعدت على تعجيل بروز الصيغة الوطنية المؤلفة من التناقضات، كانت تتعلق بمصير الكيان اللبناني بعد ان اقتنعت فرنسا باستبدال الانتداب بمعاهدة صداقة تعقد بينها وبين كل من سوريا ولبنان.

فالمسلمون في لبنان أدركوا ان اتفاق الحركة الوطنية في سوريا مع فرنسا على بلوغ الاستقلال سوف يتركهم وجهاً لوجه مع المسيحيين والفرنسيين في لبنان. ولذلك فان بلوغ الاستقلال كان يتطلب الاتفاق مع المسيحيين.

كذلك المسيحيون، بدورهم، ادركوا ان انتهاء الانتداب في سوريا ولبنان سوف يتركهم وجهاً لوجه مع المسلمين، ولذلك فان تدعيم الكيان اللبناني لا بد له من اعتراف المسلمين اللبنانيين والحركة الوطنية السورية به.

ثم ان الاخطاء التي ارتكبتها السلطات الفرنسية المنتدبة كتعليقها للدستور اللبناني وكتسلط موظفيها وكمنحها للامتيازات الاقتصادية الاحتكارية، كل ذلك ادى الى نمو الحركات الوطنية المناهضة للانتداب وبالتالي الى قيام عدة محاولات سياسية وفكرية وعقائدية للتقريب بين المسلمين والمسيحيين من جهة وبين "اللبنانيين" و"العروبيين" من جهة ثانية.

وكانت أبرز المحاولات الفكرية تلك التي قام بها كاظم الصلح، إثر انعقاد مؤتمر الساحل في دار آل سلام في بيروت عام ١٩٣٦، ولخصها اصدقاؤه في كتيب بعنوان "بين الانفصال والاتصال". فلاول مرة ارتفع صوت من صف المسلمين العروبيين في لبنان يقول بأن الاستقلال يجب أن يتقدم على الوحدة وأن الاعتراف بكيان لبناني مستقل، شرط ارتباطه بالعروبة، هو خير من رفض الكيان وابعاد المسيحيين عن العروبة.

ثمة محاولة فكرية ثانية قام بها يوسف السودا وشاركه فيها عدد من الشباب المثقف من بينهم تقي الدين الصلح ونصري المعلوف والدكتور أدريس إذ اصدروا بعد اجتماعات استغرقت عدة اشهر بياناً سمي "بالميثاق الوطني" يتضمن الخطوط الكبرى لصيغة وطنية جديدة تدور حول مبدأين أساسيين هما: استقلال لبنان والاعتراف بكيانه من جهة وتعاونه مع محيطه العربي من جهة ثانية.

واكبر دليل على ان هذه الصيغة الوطنية كانت "في الاجواء" منذ عام ١٩٣٨، ان المؤتمر الوطني الذي اعد في بكركي يوم عيد الميلاد ١٩٤٢ واشترك فيه عدد كبير من السياسيين والزعماء من مختلف الطوائف، قد انتهى باصدار بيان يؤكد فيه على تلك المبادىء التي سبق لميثاق يوسف السودا ورفاقه ولبيان كاظم الصلح ان اشارا إليها..

الصيغة وترجمتها

لا شك ان بشارة الخوري ورياض الصلح كانا مطلعين ومتقبلين لاسس هذه الصيغة عند وصولهما الى الحكم. ولكن كيف تم لقاؤهما وكان اتفاقهما على ترجمة هذه الصيغة إلى مواقف وافعال وسياسة وحكم.

لم يكن رياض الصلح شديد الحماس لانتخاب بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. ولعل السبب يعود الى الصداقة الشخصية التي كانت تربطه باميل اده. ولكن زعماء الكتلة الوطنية في سوريا والدبلوماسية البريطانية وفوز اللوائح الانتخابية المدعومة منهما، ما لبثت ان اقنعته بتأييده.

يقول الجنرال كاترو في كتابه "في معركة المتوسط" ان انتخاب الشيخ بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية، كان ثمرة اتفاقه مع الوطنيين السوريين والعرب، لا نتيجة "لاتفاقه مع الزعماء المسلمين في لبنان".

ويقول كاظم الصلح في حديث اجرته معه جريدة "النهار" في "العدد الخاص الصادر في نهاية عام ١٩٧٤"، ان الاجتماع الاول بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح عقد في مكاتب جريدة "النداء" التي كان يديرها وذلك عشية انتخاب

الدكتور باسم الجسر:
دكتور في الحقوق من جامعة باريس (والسوربون)، ـ محام في الاستئناف في بيروت ـ استاذ القانون الدستوري وقانون الاعلام في كليتي الاعلام وادارة الاعمال في الجامعة اللبنانية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٤).



الشيخ بشاره الخوري يخطب من على شرفة قصر الرئاسة في القنطاري

الشيخ بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على الخطوط الكبرى لما سمي، في ما بعد، بالميثاق الوطني.

أما المؤرخ يوسف إبراهيم يزبك. فانه روى قصة لقاء الرجلين في مقال نشرته مجلة "الاسبوع العربي" عام ١٩٥٩ ووافق عليه الشيخ بشارة الخوري قبل نشره. ولا ريب في ان ما جاء في مقال المؤرخ يزبك يعبر اكثر من أي مرجع آخر عن الروح التي سادت الجو الذي سبق ولادة الإستقلال، يقول يوسف يزبك: عقد اجتماع اول بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح في عاليه، خلال صيف ١٩٤٣. بدأه الشيخ بشاره الخوري بقوله:

"أنت يا رياض، تجاهد منذ ثلاثين سنة في سبيل القضية العربية، ولكنك لم تتنكر لوطنك الصغير لبنان. فلقد آمنت بوجوده وكنت فخوراً بالانتماء إليه. وبالدور الذي قام به في خدمة القضية العربية ايام العثمانيين. ولقد صرّحت مراراً بان لبنان قادر أن يصبح وطناً عربياً مستقلاً، له طابعه الخاص، يتمتع المسيحيون فيه بالحرية والاطمئنان والكرامة. واعرف انك قادر، مع رفاق جهادك ان تكتبوا صفحة جديدة من حياتنا الوطنية تمحو الصفحة التي أراد الاجنبي ان يفرضها علينا. فما رأيك في اتفاق بيننا على مبادىء أساسية واضحة ترضي الجميع وتطبق على كل اللبنانيين، وتتفق مع النهضة العربية التي نصبو اليها جميعاً" فأجاب رياض الصلح قائلا:

" ـ ان نضالي من اجل القضية العربية كان نضالا من اجل لبنان ايضاً. وانت تعرف ان بعض رفاق جهادي قد انتقدوني من اجل بعض المواقف واتهموني بان سياستي هي لبنانية واقليمية. ولقد اجبتهم آنذاك بأن من يعمل لحرية لبنان يعمل لحرية العرب كما ان من يناضل من اجل القضية العربية يناضل من اجل لبنان. كنت أنت اول من صفق للخطاب الذي القيته وجاء فيه قولي: "افضل ان اكون مواطناً مستقلا من كفرذبيان على أن اكون مواطناً في امبراطورية عربية يحكمها الاستعمار".

"هذا موقفي الذي لم يتغير وآنا سعيد بأن اسمع زعيماً مسيحياً، واعياً لمسؤولياتــه ومحترماً، كالشيخ بشاره الخوري يوافق على قولي بأن لبنان هو وطن عربي له وضعه الخاص. فهذه يدي امدها واعطني يدك لنتفق".

وهنا طرح الشيخ بشاره الخوري السؤال التالي:

"هل تعتقد يا رياض، ان اتفاقنا يمكن ان يحظى بتأييد المسلمين في لبنان فيعتبروا لبنان وطناً نهائياً لهم لا مرحلة انتقالية؟ هل تعتقد بأنهم لن يتطلعوا من جديد نحو دمشق ليروا فيها محط آمالهم وآمانيهم؟"

وقاطعه رياض الصلح قائلا:

ـ "اذا كان اتفاقنا واضحاً وصريحاً وشريفاً وبدون غبن لاحق بأحد، وضامناً لكرامة المسلمين والمسيحيين معاً ومحترماً لمشاعر الفريقين وموزعاً الحقوق بين الجميع بالمساواة. أي إذا كان النظام الذي نسعى إليه يضمن العدل للمسلمين فانني لا أتعهد بتأييد المسلمين في لبنان له فحسب، بل باقناع كل الحكام العرب ولاسيما السوريين، بالاعتراف باستقلال لبنان وبحدوده الراهنة، اعترافاً أبدياً. وهكذا نطوي صفحة الماضي المرير، ونضع حداً لمعزوفة "الام الحنون" والانضمام الى سوريا وندشن عهداً جديداً من الوطنية".

ويقول يوسف يزبك: ان مضمون هذا الحوار لم يبق سراً، بل اطلع عليه كل رفاق الرجلين، ولاسيما رجال الحركة الوطنية في سوريا (شكري القوتلي، سعد الله الجابري، وجميل مردم) كذلك زعماء المسلمين في لبنان (عمر بيهم، عبد الحميد كرامي وأبو علي سلام).

ثمة اجتماع آخر عقد بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح ـ بعد انتخاب الاول لرئاسة الجمهورية وتأليف الثاني للحكومة. يروي يوسف يزبك تفاصيله فيقول: خلال هذا الاجتماع الثاني تم الاتفاق على المبادىء الاساسية لما سمي بالميثاق الوطني وأهمها:

"١ ـ ان لبنان جمهورية مستقلة ـ سيدة، لا ترتبط

بأي معاهدة أو اتفاق مع اي دولة اجنبية.
٢ ـ لبنان ذو وجه عربي لغته هي اللغة العربية، وهو جزء لا يتجزأ من العالم العربي. ولكن له وضعه الخاص. كما ان عروبته لا تلزمه بقطع علاقاته الثقافية والحضارية مع الغرب.
٣ ـ يجب توزيع الوظائف العامة بالعدل والتساوي بين الطوائف".
ويعلق يوسف يزبك على ذلك بقوله: ان هذه المبادىء تفترض، ضمناً، ان يتخلى المسيحيون عن مطلب الحماية من الغرب وبنوع خاص من فرنسا وعلى ان يتخلى المسلمون عن مطلب الانضمام الى كيان سياسي عربي.
ويختتم يزبك مقاله بقوله: لقد عرضت هذه الوقائع قبل نشرها على الشيخ بشاره الخوري، فقرأها ووافق عليها واضاف عليها ما يلي:
" ـ أريد ان اضيف عليها أن الغاية من هذا الاتفاق كانت:
ـ بلوغ الاستقلال التام والناجز للبنان، عن الشرق والغرب.
ـ لا حماية ولا وصاية ولا امتيازاً ولا مركزاً ممتازاً لمصلحة اي دولة.
" ـ التعاون الى اقصى حدود التعاون مع الدول العربية.
ـ الصداقة مع كل الدول التي تعترف باستقلالنا وتحترمه".
واضاف الشيخ بشاره:
" ـ ان الميثاق الوطني لم يكن مجرد مصالحة بين طائفتين فحسب، بل انه صهر عقيدتين في واحدة. عقيدة اولى كانت تدعو الى دمج لبنان في كيان وطني اكبر، وثانية كانت تؤمن بضرورة ابقاء هذا الكيان محمياً من الغرب. جاء الميثاق ليلغي هذين الاتجاهين بالتفهم والتفاهم، وليحل محلهما عقيدة واحدة، وطنية لبنانية،"
وختم الشيخ بشاره الخوري حديثه قائلا:
" ـ حتى اذا افترضنا ان الميثاق الوطني كان تسوية بين طائفتين أو بين بيئتين، أو بين الطوائف اللبنانية، فكيف يمكن تجاوزه قبل ان نجد صيغة جديدة للتعايش والوئام تحل محله؟"

تقييم احداث عام ١٩٣٧

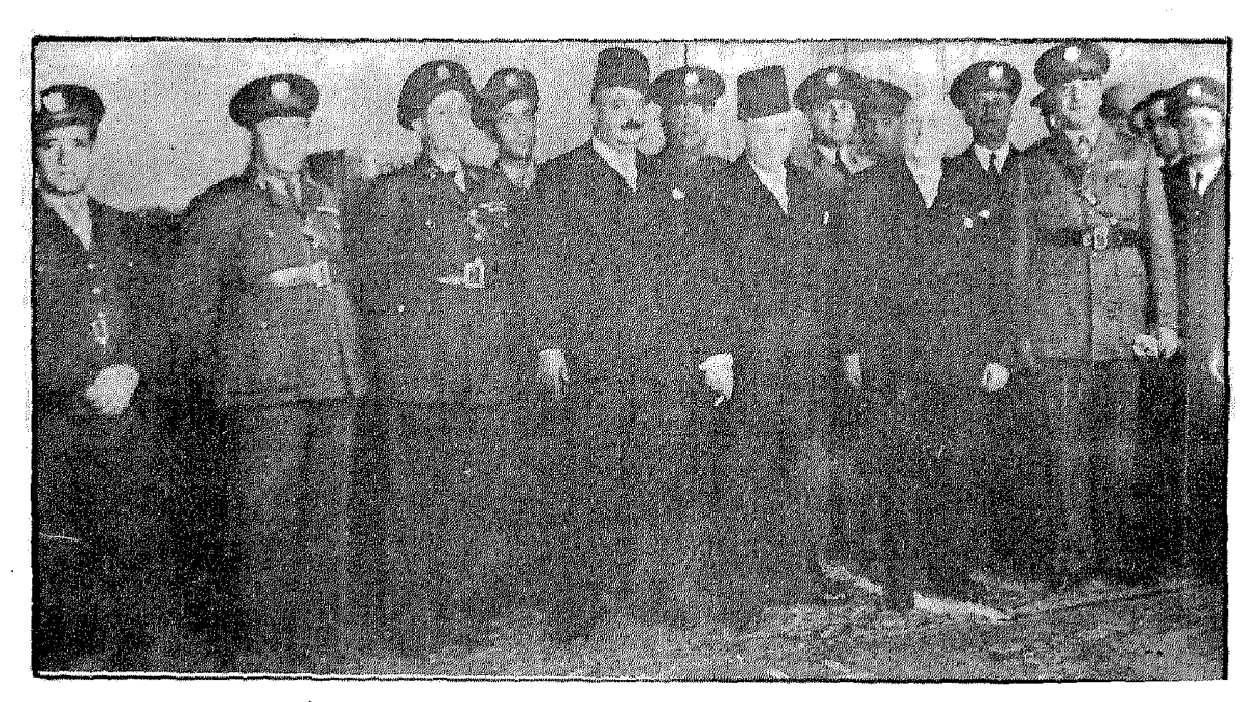
إن من يستعرض الاحداث التي تعاقبت على "جبل لبنان" ثم على لبنان الكبير أو يتبصر في التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تتابعت منذ منتصف القرن التاسع عشر مستكشفاً القوى النابذة التي باعدت أو قربت بين ابناء هذه البقعة من الأرض قبل ان تصبح وطناً موحداً ودولة مستقلة يجد نفسه مضطراً الى التوغل بعيداً في التاريخ، ليصل الى القرن السابع (ظهور الاسلام والفتح العربي) أو إلى القرن السادس (ظهور المارونية وتدرجها الى جبل لبنان).
ولدى استعراض هذه الاحداث والتطورات ومجرى تنابذها يتوصل الانسان الى خلاصة اولى وهي انها أحداث وتطورات، كان من شأنها تبرير ولادة الميثاق الوطني وتبرير نقضه في آن واحد.
فالذين "قدسوا" الميثاق واعتبروه نهائياً يجدون في تاريخ لبنان أكثر من مبرر لموقفهم. كذلك الذين انتقدوا الميثاق أو انكروه.
ان تقييم الميثاق الوطني وما حدث عام ١٩٤٣، يمكن ان ينظر اليه من زوايا مختلفة.

١ ـ النظرة التاريخية

يقول اصحاب هذه النظرة ان الميثاق الوطني هو "تجسيد لآمال ومعاناة اللبنانيين خلال قرون. فلقد ناضل اللبنانيون ضد العثمانيين في عهد الامارة المعنية والامارة الشهابية، ثم ناضل موارنة الجبل منذ مطلع القرن التاسع عشر وطوال عهد المتصرفية للحصول على مزيد من الحكم الذاتي والاستقلال كما ناضلوا لايجاد كيان وطني وسياسي. فكانت ولادة لبنان الكبير عام ١٩٢٠. ولم يكف السياسيون اللبنانيون اثناء عهد الانتداب عن المطالبة بالاستقلال التام. ولذلك فان بلوغ الاستقلال عام ١٩٤٣ جاء تتويجاً لهذا النضال الطويل من اجل انشاء وطن واستقلاله.
والجدير بالذكر ان "القوميين العرب" ايضاً يشاطرون "القوميين اللبنانيين" هذه النظرة التاريخية لاحداث ١٩٤٣ ولكن من منطلق مختلف. إذ يعتبرون الميثاق الوطني تتويجاً لنضالهم طوال ربع قرن ضد الانتداب الفرنسي. ولعل كمال جنبلاط اصاب في قوله: ان"الميثاق الوطني هو محور التأليف بين الفكرة العربية والفكرة اللبنانية".

٢ - النظرة الاقتصادية ـ الاجتماعية

اصحاب هذه النظرة من العقائديين، يقولون بان الميثاق هو النتيجة الطبيعية لتطور البنيات الاجتماعية ولارادة العيش المشترك، فالطائفية السياسية لم تكن موجودة في لبنان قبل القرن التاسع عشر. ولو كانت موجودة لما استطاع الموارنة الانتشار من شمالي لبنان الى جنوبه. ولما تقبل سكان المناطق الدرزية والشيعية الهجرة المسيحية. أما إرادة الاستقلال عن الاجنبي والتحرر السياسي فقد عبرت عنها عامية انطلياس (١٨٤٠) وثورة طانيوس شاهين في كسروان (١٨٥٨). وما اعدام الشهداء اللبنانيين في ٦ أيار ١٩١٧ وانتفاضة الشعب في تشرين ١٩٤٣، إلا دلائل على



■ في الصورة الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح ومجيد ارسلان وحولهم بعض الضباط بينهم اللواء فؤاد شهاب واميل بستاني·

وجود الارادة الشعبية الداعية لحقها في الاستقلال·

القائلون بهذه النظرة يرون ان انتشار الوعي بين الفلاحين اللبنانيين في القرن التاسع عشر وتجارة الحرير مع فرنسا هما ما اديا الى خلق طبقة وسطى كان من مصلحتها ازالة حكم الاقطاع· كما ان نضال الطبقات البورجوازية دفاعاً عن مصالحها الاقتصادية ضد الفرنسيين هو مّا ولد الضمير الوطني ووحد المسلمين والمسيحيين في جبهة نضال واحدة· كذلك وعي رجال الاعمال واصحاب المهن الحرة لما يوفره المجال الحيوي العربي من امكانيات هو ما حملهم على الاتفاق مع الحركة الوطنية العربية ضد الانتداب الفرنسي·

٣ ـ النظرة السياسية:

اصحاب هذه النظرة يقولون ان الميثاق الوطني وما حدث عام ١٩٤٣، لم يكن الاّ "تسوية" أو "صيغة سياسية" للتوصل الى الاستقلال، وهو لا يخرج عن كونه "صيغة التعاون" بين سياسيين ينتمون الى ايديولوجيتين مختلفتين·

يدعم اصحاب هذا التفسير السياسي مقولتهم هذه بحجج عديدة منها ان الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح لم يجتمعا ويتفقا الا في صيف ١٩٤٣، وان التباين العقائدي بين المسيحيين والمسلمين وبين "القوميين العرب" و"القوميين اللبنانيين" كان لا يزال قائماً بل ومحتدماً الى حد ما حتى اواسط عام ١٩٤٣·

يقول هؤلاء انه لو لم ينتخب الشيخ بشاره الخوري لرئاسة الجمهورية ويأت رياض الصلح الى رئاسة الوزراء لتغيرت سيرورة الاستقلال فتأخر سنتين او ثلاثاً· ويؤكد هؤلاء ان الاتفاق بحد ذاته، كان أقرب الى التسوية منه الى ايجاد قواعد واضحة· فالميثاق في نظر اصحاب النظرة السياسية كان مجموعة حلول وسطية بين العروبة واللبنانيين، بين الوحدة والحماية، بين الشرق والغرب، بين اماني المسلمين واماني المسيحيين·

إن من يستعرض الاحداث التي عاشها لبنان عام ١٩٤٣ لا يستطيع الا الاعتراف بأن السياسيين كانوا مضطرين الى الاتفاق على تسوية وطنية وسياسية لبلوغ الاستقلال الذي كانت الظروف الاقليمية والدولية مؤاتية له· كما كان من الطبيعي ان تكون التسوية مستوحاة من محاولات تأليفية وطنية جرت قبل ذلك واشترك في صياغتها مسلمون ومسيحيون، عروبيون ولبنانيون·

٤ ـ النظرة الطائفية

اصحاب هذه النظرة سواء كانوا ينتمون الى اليسار الماركسي أو إلى اليمين المسيحي، يقولون أن الميثاق كان "اتفاقاً طائفياً" أو "اتفاقاً يكرس الطائفية"· فالشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح اتفقا على ابقاء دستور ١٩٢٦ ولاسيما المادة ٩٥ منه التي تكرس النظام الطائفي· كما انهما الفا أول حكومة استقلالية على أساس توزيع المقاعد الوزارية بين الطوائف الست الكبرى· وإن كل العهود التي تعاقبت بعد الاستقلال سارت على هذا المنوال·

بعض المعلقين على هذه النظرة الطائفية

LE GENERAL D'ARMÉE GEORGES CATROUX.

BEYROUTH, le 20 Novembre 1943

Monsieur le Président,

Mon dessein était de vous rendre à la liberté ainsi que vos compagnons d'internement Dimanche 2I courant.

Une complication subite et indépendante de ma volonté m'empêche, à mon vif regret, de donner suite à ce projet. Je pense cependant que votre libération ne subira qu'un léger retard.

Agréez, je vous prie, Monsieur le Président, l'expression de ma haute considération ./.

Catroux

S.E. le Président Béchara EL KHOURY

-:-

■ رسالة الجنرال كاترو الى الرئيس بشارة الخوري

يقولون ان الغاية الاساسية للميثاق كانت تقضي بتجاوز الطائفية يوماً (يستشهدون ببيان رياض الصلح الوزاري الذي ادان فيه الطائفية وتمنى الغاءها) ولكن رجال السياسة والاقطاع والبورجوازية الذين حكموا باسم الميثاق، قد طيّفوه باضافة التوازن الطائفي إلى محتواه، وذلك من اجل المحافظة على امتيازاتهم السياسية ومصالحهم الاقتصادية..

٥ ـ النظرة الشخصانية

هنالك اخيراً اصحاب النظرة الشخصانية، اي هؤلاء الذين يقولون بأن ميثاق ١٩٤٣ ليس إلاّ اتفاقاً شفوياً شخصياً، تم بين الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح أو "كلمة شرف" اتفقا عليها، بعد وصولهما الى الحكم، واتفاقهما على بلوغ الاستقلال التام.

يستند اصحاب هذه النظرة الى ظروف لقاء الرجلين والاحاديث التي تبودلت بينهما، وإلى فشل الصيغة بعد تركهما الحكم. واستناداً الى تلك اللقاءات والاحاديث يمكن القول بأن سوريا كانت الطرف الثالث في ميثاق ١٩٤٣، باعتبار ان الشيخ بشاره الخوري اتفق مع الزعماء الاستقلاليين السوريين على الصيغة الوطنية للاستقلال اللبناني، وان رياض الصلح والزعماء المسلمين ما كانوا لينضموا الى هذه الصيغة لولا قبول الحركة الوطنية السورية بها.

إستناداً الى هذه النظرة الشخصانية للامور يمكن القول أيضاً بأن بشاره الخوري ورياض الصلح لم يبتكرا ميثاق ١٩٤٣ بل تبنيا صيغة كان قد اشترك في بلورتها واخراجها سياسيون ومفكرون آخرون قبلهم أبرزهم: ميشال زكور، يوسف السودا، عزيز الهاشم، كاظم الصلح.

خلاصة

حتى اواخر عام ١٩٤٣، لم تكن عبارة "الميثاق الوطني" قد لفظت. ولم ترد في الادب الرسمي أو السياسي إلاّ في عام ١٩٤٥ عندما اخذ الشيخ بشاره الخوري يرددها في خطبه اثناء الجولة التي قام بها في المناطق اللبنانية.

إلا ان ما اتفق عليه الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح في صيف ١٩٤٣ لبلوغ الاستقلال التام الناجز والتعاون مع الدول العربية وضع موضع التنفيذ ابتداء من عام ١٩٤٣ عندما عدل الدستور ودخل لبنان في جامعة الدول العربية ورفض عقد معاهدة مع فرنسا.

وفي عهد الشيخ بشاره الخوري، طبق هذا الاتفاق بدقة. فرفضت الدولة اللبنانية دخول الاحلاف العسكرية الغربية وحارب لبنان مع الدول العربية في فلسطين ورفض مشاريع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى.

والحقيقة ان ما حصل عام ١٩٤٣ لم يكن عملا بطولياً قام به رجلان ولا لعبة انكليزية، غايتها اخراج فرنسا من الشرق كما لم يكن تتويجاً لنضال اللبنانيين التاريخي من اجل الاستقلال والتحرر، ولا كان نتيجة طبيعية لتطور البنيات الاجتماعية والاقتصادية بل كان خلاصة كل هذه العوامل مشتركة أو على الاصح لعبت كل هذه العوامل والعناصر في تكوينه أو صيرورته

فبشاره الخوري ورياض الصلح كانا مؤهلين اكثر من غيرهما شخصياً ونفسانياً وسياسياً للقيام بهذا الدور. والسياسة البريطانية لم تكن تعكس آراء الجنرال سبيرس الخاصة بمقدار ما كانت تتلاءم مع مصالح الحلفاء قبيل انتهاء الحرب. ومنها أن تبلغ الدول العربية استقلالها وان توحد كلمتها في جبهة موالية للعرب.

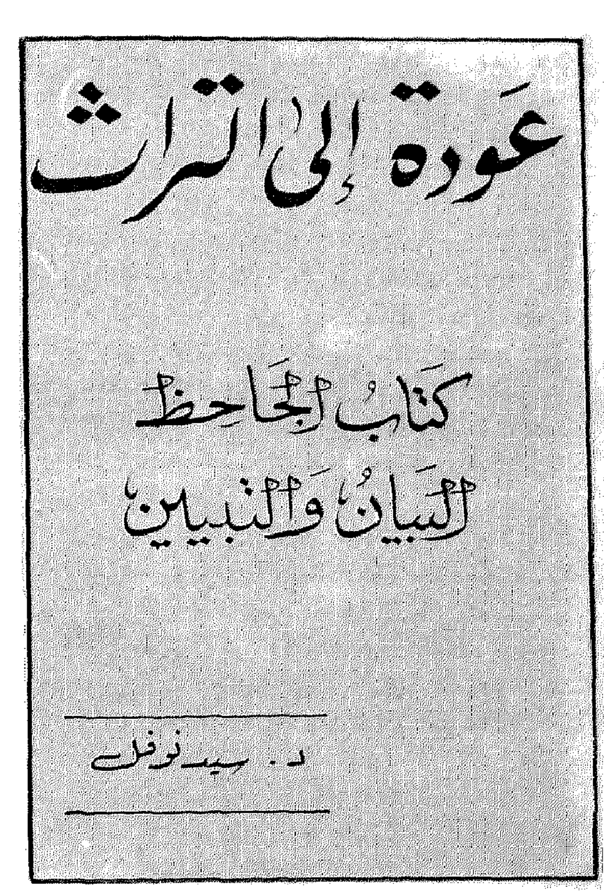
كذلك لا يمكن اهمال التطور الاجتماعي والاقتصادي في لبنان خلال السنوات العشرين التي سبقت الاستقلال. والذي افرز اجيالا جديدة، ليس للاعتبارات الطائفية التأثير الاول على تفكيرها. ولا ريب ايضاً في ان الاستقلال كان امنية اقوى من ان تقاوم أو ترفض.

غير ان شكلية ما حدث عام ١٩٤٣، بدأت بعد الاستقلال. فما ان نعم اللبنانيون بهذا الاستقلال حتى وقع اخطر حدث عرفته هذه المنطقة منذ ٣ آلاف سنة الا وهو قيام دولة اسرائيلية ـ عنصرية، توسعية، يساندها الغرب على حدود لبنان. وتلى ذلك ظهور النفط العربي، كأهم مصدر للطاقة في العالم للنصف الثاني للقرن العشرين، الامر الذي حول الشرق الاوسط الى ميدان للحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية.

إن اسرائيل والنفط والصراع الاميركي ـ السوفياتي، جعلت الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني اشبه بريشتين في مهب المصالح الدولية.

وكان ان تحول الاستقلال والميثاق من قاعدتين لبناء مستقبل الشعب اللبناني، الى وسيلتين لتفكيك وحدة لبنان شعباً وكياناً.

ولسوء الحظ، ساعد السياسيون اللبنانيون تلك القوى الخارجية في بلوغ غاياتها وما الحرب اللبنانية الحالية الا شاهد ودليل على ذلك.





في تاريخ العرب تراث أدبي، خصوصاً في ما يتعلق بالكلام، ضخم وزاخر بكل ما يلقي الضوء على تطور اللغة العربية وآدابها على امتداد العصور.

بين هذه الكتب، كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ "ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" موجه الفكر والأدب العربيين لعدة قرون منذ نهاية القرن الثاني الهجري. وبينها ايضاً كتب في النحو والصرف والعروض لأئمة في هذه العلوم.

و"تاريخ العرب والعالم" ستحاول أن تقدم عرضاً لبعض كتب هذا التراث في اعدادها المقبلة. وأول مقال في هذا المجال للدكتور سيد نوفل عن كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ.

الجدل وعلم الكلام أوضح ما يكونان في جميع كتب الجاحظ، مع روعتها الفكرية والعلمية والادبية.. فهو يفتتح "البيان والتبيين" بجدل طويل بارع مفيد حول البلاغة والخطابة، والاحتجاج لرأي صاحبهما على رأي صاحب الصمت والسكوت، وايراد واف أمين لما يمكن ان يقال ترجيحا لكلا الرأيين...

وكتاب "الحيوان" يتألف من مناظرات شتى بين صاحب الكلب او صاحبته وصاحب القط، أو بين صاحب الديك وصاحب الكلب، او بين صاحب الحمام وصاحب الديكة، أو بين صاحب الديكة وصاحب الغربان، أو بين غيرهما من كل محتج لحيوان، مفضل له على ما عداه. وكذلك النملة تجد لها صاحبا متحمسا، يؤثرها على غيرها، ويطنب في ذكر مزاياها وفضائلها، ويستشهد بآي الذكر الحكيم من سورة النمل في القرآن الكريم...

وكتاب "المحاسن والاضداد" ابرز كتب الجاحظ دلالة على جدله، يعرض محاسن الشيء ومساوئه... بل ان الجدل، والقصد الى تعليمه للناس، ظاهر في رسائله الادبية. ففي رسالة "التربيع والتدوير" التي يهجو فيها الوزير احمد بن عبد الوهاب يداعبه برفعه وخفضه، وان كان الخفض والرفع معا للسخرية.

ومن فتنة الجاحظ، واقتناعه بطريقة المتكلمين وفكرهم، تمنى اجتماع العلم والكلام عنصرين متكاملين في فكر المتكلم والعالم معا.. وقال: "وما احوجنا واحوج جميع المرضى الى أن يكون الاطباء متكلمين، والى ان يكون المتكلمون علماء. فان الطب لو كان من نتائج حذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له، لم نجد في الاصول التي يبنون عليها من الخلل ما نجد"، ومن هنا صح وصف ابن العميد لكتب الجاحظ بأنها "تعلم العقل اولا والادب ثانيا".

اغراض الكتاب واثره

ومن اواخر مؤلفات الجاحظ الكثيرة كتابه: "البيان والتبيين"، وقد قصد به التعريف بالبيان والبلاغة والخطابة، وذكر محاسنها ومساوئها وشرح فنونها والوانها، وان يعين الوزراء والكتاب وسائر المثقفين لذلك العصر في ما ينشدون من تفوق في فن الادب...

وفي هذا الكتاب عناية بالناحية التطبيقية من عيوب النطق، وارتفاع الصوت وانخفاضه، ومظهر الخطيب والشاعر، ومن الايجاز والتكرار والاطناب، ومن الاشارة والتلميح.. كما عنى بتعريف البيان والبلاغة وفنونهما، واللفظ والمعنى، والنظم والاعجاز. ووجه عنايته الاولى الى ايراد الشواهد والامثال من الادب المعاصر له والسابق لعهده.

ومعاصرو الجاحظ من تلاميذه، وممن اتوا بعده من الكتاب والادباء والمؤلفين، قد تأثروا به وبكتابه: "البيان والتبيين" اعظم تأثير..

ويكفي ان نشير الى كتاب "الكامل" للمبرد، "وأدب الكاتب" لابن قتيبة "وأدب الكتاب" للصولي، و"كتاب الكتاب" لابن دروستويه. ويكفي ان نذكر "الصناعتين" لابي هلال العسكري، و"العمدة" لابن رشيق و"سر الفصاحة" لابن سنان..

وليس أبو هلال الا شارحا للجاحظ، جامعا للمتفرق عنده. وقد تحدث عن كتاب "البيان والتبيين" بعد ان أورد طرفا من تخليط بعض المتحدثين في علم البلاغة فقال: "ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل، ومكانه من الشرف والنبل. ووجدت الحاجة اليه ماسة، والكتب المصنفة فيه قليلة. وكان اكبرها واشهرها كتاب "البيان والتبيين" لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع".

البيان ومسائله عند الجاحظ

وعرف الجاحظ البيان تعريفا عاما فقال: "انه اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته ويلم بما فيه".

وشرح هذا بأن "غاية القائل والسامع، انما هي الفهم والافهام. فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان:"

وعرفه في هذا الموضع نفسه تعريفا اخر، فقال: "انه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، وان البيان بهذا المعنى هو الذي دعا اليه الله، ونطق به القرآن. وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت وأصناف العجم.."

ومهد لهذا التعريف بذكره "ان المعاني مستورة



كتاب "الحيوان" للجاحظ، زوجة تعيسة تشكو لصديقتها جهل روحها، نادر من مكتبة الامبروزيانا بميلانو.

مكنونة وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الانسان ما في ضمير اخيه الانسان منها، وحياتها في ذكر الناس لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها، وبهذا تقرب من الفهم وتظهر وتؤلف. واقدار المعاني وظهورها متصلة باقدار الدلالات ووضوحها، والاشارات وصوابها، والايراد وحسنه.."

وبعد ان يورد هذا وذاك، يذكر اصناف الدلالات من "لفظ واشارة وعقد وخط وحال، اذ جميعها تدل وجميعها تبين".

وفي هذا، نرى نزعة الجاحظ الى تمام الافهام وحسن التجلية للمعاني كما ان حديث الجاحظ لا ريب عن المعاني وموتها وحياتها، وحظ الالفاظ بخاصة والدلالات بعامة في البيان عنها - فيه تفكير وعمق.

وذكر الجاحظ مسائل بعيدة عن علم البيان المتأخر. فعرض لتنافر الالفاظ والحروف والغرابة وما اليها مما يذكر في باب البلاغة. ومعروف ان هذه المسائل وضعت أخيراً في باب الفصاحة، وجعل البيان علما خاصا ببحوث التشبيه والمجاز والكناية

ويلاحظ كذلك أن الجاحظ جعل عنوان كتابه "البيان والتبيين"، وأورد فيه أمورا متنوعة متصلة بالبلاغة والخطابة، وضمنه نثرا ونظما.. وهذا كله من البيان عنده. وعقد بابا خاصا للبيان تحدث فيه عن البلاغة...

ومن هنا يتأكد ان الفرق بين البلاغة والبيان لم يكن ظاهرا حينئذ بل ان الترادف بينهما ظل موجودا الى العصور المتأخرة. فيسمون العلوم الثلاثة علوم البلاغة أو البيان ويسمون البلاغة براعة وبيانا وفصاحة أيضا.

على أن بعض بحوث البيان بالمعنى الاصطلاحي كانت معروفة عندهم، وكان يطلق عليهم اسم "البديع".

فالجاحظ يقول: وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين اصوب بديعا من بشار وابن هرمة. والبديع هنا اسم شامل للعجاز وما اليه من الصور البيانية. ويتبين هذا من ايراد الجاحظ لابيات منها:

هو ساعد الدهر الذي يتقي به
وما خير كف لا تنوء بساعد

وتعليقه عليه بقوله: "قوله هم ساعد الدهر انما هو مثل، وهو الذي يسميه الرواة "البديع"، وقد قال الراعي:

هموكاهل الدهر الذي يتقى به
ومنكبه ان كان للدهر منكب

وقد جاء في الحديث "موسى الله احد، وساعد الله أشد" والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان.. والراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب شعره في البديع.

وكذلك تحدث الجاحظ في اسهاب عن التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والمثل بمعنى المجاز أو مقابل الحقيقة والكناية بمعنى عام.

الايجاز عند الجاحظ

ورأى الجاحظ في الايجاز يمثل حقاً فكره المتطور وعقله الرائد. فقد عنى العرب في الجاهلية بالايجاز واعتبروه البلاغة الحقة. وأتى الاسلام فامتدحه الكتاب وتفننوا فيه، حتى ود بعضهم لو أن الكلام كله توقيعات. واغلب الظن ان الامية في الجاهلية والاعتماد على الذاكرة كان من دواعيه، كما اقتضاه تدوين الرسائل في الاسلام، اذ يتطلب قراطيس كان الحصول عليها شاقاً. يروى ان عمر ابن عبد العزيز كان اذا طلب منه كتابه قراطيس، امرهم بالايجاز والاكتفاء بما عندهم منها، ففي الايجاز بلاغة وقصد. ويضاف الى هذا انقطاع طائفة من الادباء للكتابة، وما يؤدي اليه الانقطاع والتخصص من التفنن في الايجاز المطلوب بل والاسراف فيه احياناً.

اما الجاحظ فقد ورد الايجاز عنده بمعنى حذف الفاضول. واحترز مما قد تدل هذه العبارة عليه من ان الايجاز يعني قلة اللفظ على الاطلاق، فنص على "أنه لا يعني الاختصار ولا قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه في ما يسع بطن طومار فقد أوجز. فالحذف لما لا يكون سببا في اغلاق المعنى وما يحدث التكرار بذكره، والخطل في ايراد ما لا حاجة اليه لوضوحه".

وشرح هذا في صدر الجزء السادس من كتاب الحيوان، فقال بعد ان عدد ما ذكره من انواع الحيوان والطيور والحشرات: "وقد بقيت ابواب توجب الاطالة وتخرج الى الاطناب. وليست باطالة ما لم تجاوز مقدار الحاجة... وانما الالفاظ على اقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ الى اقل مما تحتاج اليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة. ولو جهد جميع اهل البلاغة ان يخبروا من دونهم عن هذه المعاني بكلام وجيز، يغني عن التفسير باللسان والاشارة باليد والرأس، لما قدروا عليه. وقد قال الاول: اذا لم يكن ما تريد

فأرد ما يكون. وليس ينبغي ان يسوم اللغات ما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في جبلتها. ولذلك صار يحتاج صاحب كتاب المنطق الى أن يفسره ممن طلب من قبله علم المنطق، وان كان المتعلم رقيق اللسان حسن البيان. الا أني لا اشك على حال أن النفوس اذا كانت الى الطرائف أحن وبالنوادر اشغف، والى قصار



■ العبد يطلق الطير من القفص. بأذن من مكتبة الامبروزيانا بميلانو.

الاحاديث أميل وبها أصيب، انها خليقة لاستثقال الكثير وان استحقت تلك المعاني الكثيرة، وان كان ذلك الطويل أنفع، وذلك الكثير أود".

ثم فسر الايجاز تفسيرا واسعا بمعنى أداء حاجة المعنى، سواء أكان ذلك الاداء في الفاظ كثيرة أم قليلة. ثم قرر ان هناك معاني مشتركة مبهمة تحتاج الى ايضاح واسهاب في التعبير عنها، كما ان هناك معاني مفردة يكفيها قليل اللفظ، وهو يعتذر عن البسط والاسهاب، ويقول انهما أمر لا مناص منه "ولا سبيل الى ما سوى الرضا عنه"، ثم يتحدث عن اللغة وطبيعتها، والنفس وجبلتها، حديثا يناسب ما عهد فيه من الربط بين الادب وحال النفس.

والاسهاب عنده انما "يكون خطلا وهذرا حين يفضل عن مقدار الاحتمال ويدعو الى الملال، اذ للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية".

وبعد، فان الجاحظ بكتابه "البيان والتبيين" يعتبر مؤسس علم البلاغة العربية وما يتصل بها مما سمي بعد: البيان والمعاني والبديع...

لقد جمع ما ينطق بفنونها من كلام سابقيه ومعاصريه، واضفى عليه من شروحه واضافاته وقدمه في بيانه الفذ البارع...

وقد زالت بعض الموضوعات التي اثارها في هذا الميدان، وعدل بعض ما أورده تعديلا كليا أو جزئيا. لكنه فتح بابا لم يسبق اليه، وظهرت اثاره واضحة في مناهج المؤرخين لهذا العلم من بعده، وظلت المسائل التي تحدث عنها، والامثلة التي اوردها مناط البحث ومدار الشرح والتأويل...

ولو قدر لنهج الجاحظ الادبي أن يسود دون منازع، ما انتكس علم البلاغة العربية على يد السكاكي واضرابه من الاعاجم، الذين اثقلوا كاهله بالفلسفة والايغال في الابواب والاقسام، وجردوه من روحه الوضاءة الملهمة...

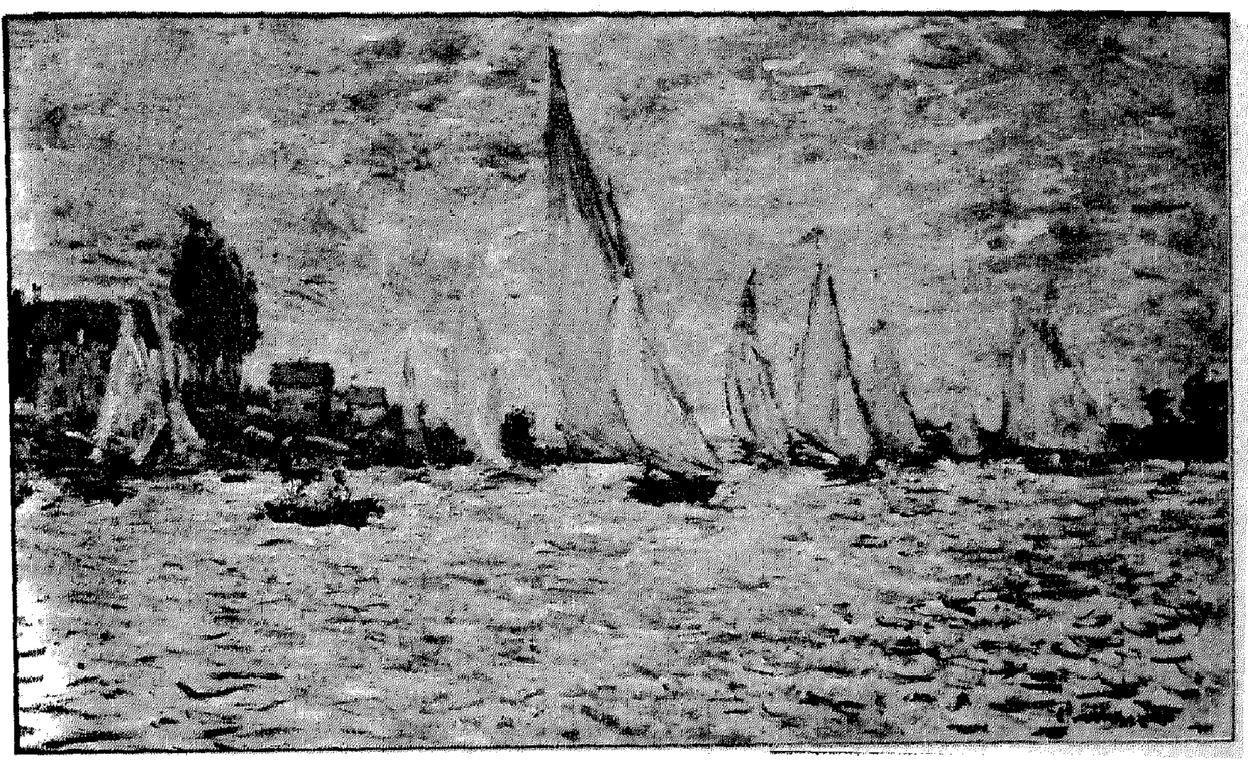
ولهذا لم يجد المحدثون بدا، حين اتجهوا الى تطوير علوم اللغة، من الرجوع الى الجاحظ، يطلبون منه العون لاحياء علم البلاغة. وقد وجدوا عنده نعم العون، ونعم المصدر الفياض الخصيب.

حضارة الصّورة

... في اللوحة والطبيعة والواقع؟

رينيه هويغ

عضو الاكاديمية الفرنسية



"القارب ـ المعمل" للرسام كلود مونيه ١٨٦٦

"قوة الصورة" هو عنوان كتاب للكاتب الفرنسي رينه هويغ عضو الاكاديمية الفرنسية وهو من كبار الفنانين المعاصرين المختصين وله كتب كـثيرة مترجمة الى معظم اللغات الحية اهمها: "حوار مع المرئي"، "الفن والروح"، "الفن والانسان".

في كتابه هذا يعرض خلاصة تجربة حية عاشها سنوات طويلة، كمدير متحف وكأستاذ يدرس الفن. فيحاول ان يقدم تحليلا نفسياً للفن، جديداً واسعاً، فيتوغل في عالم الانسان الداخلي، بدءاً من المرئي الظاهر، وفي هذا يحقق ثلاثة اهداف: الاول تحديد عصرنا ومشكلاته، والثاني تحديد مركز الفن كصلة ضرورية بين الذات المعزولة والكون، والهدف الثالث ايضاح كيفية النظر الى اللوحة الفنية، والنفاذ الى اسرارها، ومعرفة رسالتها.

* رينيه هويغ: عضو الاكاديمية الفرنسية ومؤلف العديد من الكتب الفنية

وفي ما يأتي فصل من الكتاب بعنوان "حضارة الصورة":

اثار الفن اهتمام الانسان في مختلف العصور، لكن هذا الاهتمام صار ولعاً وهياماً في عصرنا الحاضر.

هذا عائد الى اننا لم نعد اليوم اشخاصاً يعيشون في التأمل والعزلة، منقطعين الى عالمهم الداخلي، بين الكتب والموسيقى. ان صدمات العالم الخارجي، المحسوس، الصارخ تهزنا وتسيطر علينا. وتهاجمنا الحياة الحديثة بالعين والاذن وشهوة الجسد.

من هنا سيادة الصورة. تحاصر الانسان، تثير انتباهه وتستولي عليه، تغنيه عن القراءة أو تصرفه عنها.

سمى بعض الباحثين حضارة العصور التي تلت عصر النهضة "حضارة الكتاب"، وقد تخطى الزمن هذه التسمية، وصار من الضروري في هذا القرن أن تستبدل بتسمية جديدة هي "حضارة الصورة".

هذا الولع بالصورة الى درجة الانبهار والعبودية أحياناً هيأ للوحة الفنية مجدها الحالي. فهي كالصورة الفوتوغرافية تخاطب العيون التي تزداد، يوماً بعد يوم، نهماً وشراهة الى غذاء بصري دائم.

لكن اذا كان نجاح اللوحة الفنية يعكس ظاهرة انتشار الصورة، وبات اليوم سبباً ونتيجة، فانه في الوقت نفسه عنصر تعويض وتلطيف.

سرطان اجتماعي

وقد وصف احد الباحثين سيطرة الصورة بأنها "سرطان اجتماعي"، ذلك انها تقود الانسان الحديث الى السلبية والاستسلام، حيث يستعيض عن التأمل الواعي، بآلية الفعل المنعكس.

وعبر عن هذه الحالة، في استفتاء خاص، احد الشبان المأخوذين بالتلفزيون، فقال: "أنا مدمن على الصور، بحاجة دائمة الى جرعة شافية منها. لم اعد اشتري أي كتاب، فقد اغناني التلفزيون عن الكتب. ومنحني، فوق ذلك، الراحة، والكأس، والكرسي... انه وسيلتي للقضاء على الضجر، لقتل الوقت.. لا يهمني شيء في الحياة. لا هدف لي. والتلفزيون يخلص الانسان من الانشغال بالهدف".

غير ان الفن الذي يستخدم الوسيلة ذاتها، أي الصورة، يقدم لنا الترياق ضد ذلك السم التلفزيوني. ذلك ان الصورة في الفن هي، في آن واحد، علامة وخميرة. هي الحرية.

فهي العلامة، لأنها تعكس قدرة الفنان على خلق رؤيا جديدة تغني العالم بتنويعه، بدل ان تفقره بنسخة.

وهي الخميرة لأنها تؤثر في المشاهد وتحركه، على نقيض ما يفعل الاعلان والتلفزيون والسينما، فهذه، جميعاً، تخدر طاقة الرقابة وتوقظ الانفعال ووداعة الانتباه، واستسلامه.

الصورة في الفن توقظ الوعي، وتستلزم الانتباه الحاد، لكي يمكن النفاذ الى اسرارها، ونقدها، وتقييمها. وهذا يتطلب من المشاهد أن يرتفع بحساسيته الى مستوى حماسته.

والاثر الفني يخضع لايقاع الملاحظة الذي يقرره المشاهد، بحيث يطيل النظر والتأمل كما يشاء. هكذا يبقى المشاهد، مهما تأثر وانفعل، سيد نفسه.

والواقع ان الفن يقوي سيطرة الانسان على نفسه وعلى الطبيعة معاً.

فمنذ ما قبل التاريخ، في الحياة البدائية، كان الفن ممارسة للشعور بالسيطرة على العالم الخارجي، وتوكيداً لهذا الشعور. من هنا، كان الفن، منذ نشأته، مرتبطاً بالسحر. ولقد طور السحر علاقة الانسان بالطبيعة. فلم تعد، معه، الصورة اثراً تتركه يد الانسان على الواقع الطبيعي، بل اخذ الفن يهدف الى نسخ صورة هذا الواقع، ليؤلف منها "واقعاً ثانياً" اي ليجعل المفرد مثنى، يمتلك واحداً منهما. في حين ظل المثنى، الاصل والصورة، واحداً. لهذا كان لهما، بالضرورة، مصير واحد. كان التمثال الذي يقيمه النحات امام الله، في المدنيات الاولى، يقوم مقام الشخص الذي يمثله، فيحقق بذلك تأدية الصلاة المستمرة، تأدية العبادة التي لا يسمح الموت باستمرارها، وقد لا تسمح الحياة.

وها نحن، في العصور الحديثة، نسير خطوة ثانية: الرسام القادر على أن ينسخ بريشته المظاهر الانسانية أو الطبيعية، يشعر انه "سيد الطبيعة ومالكها".

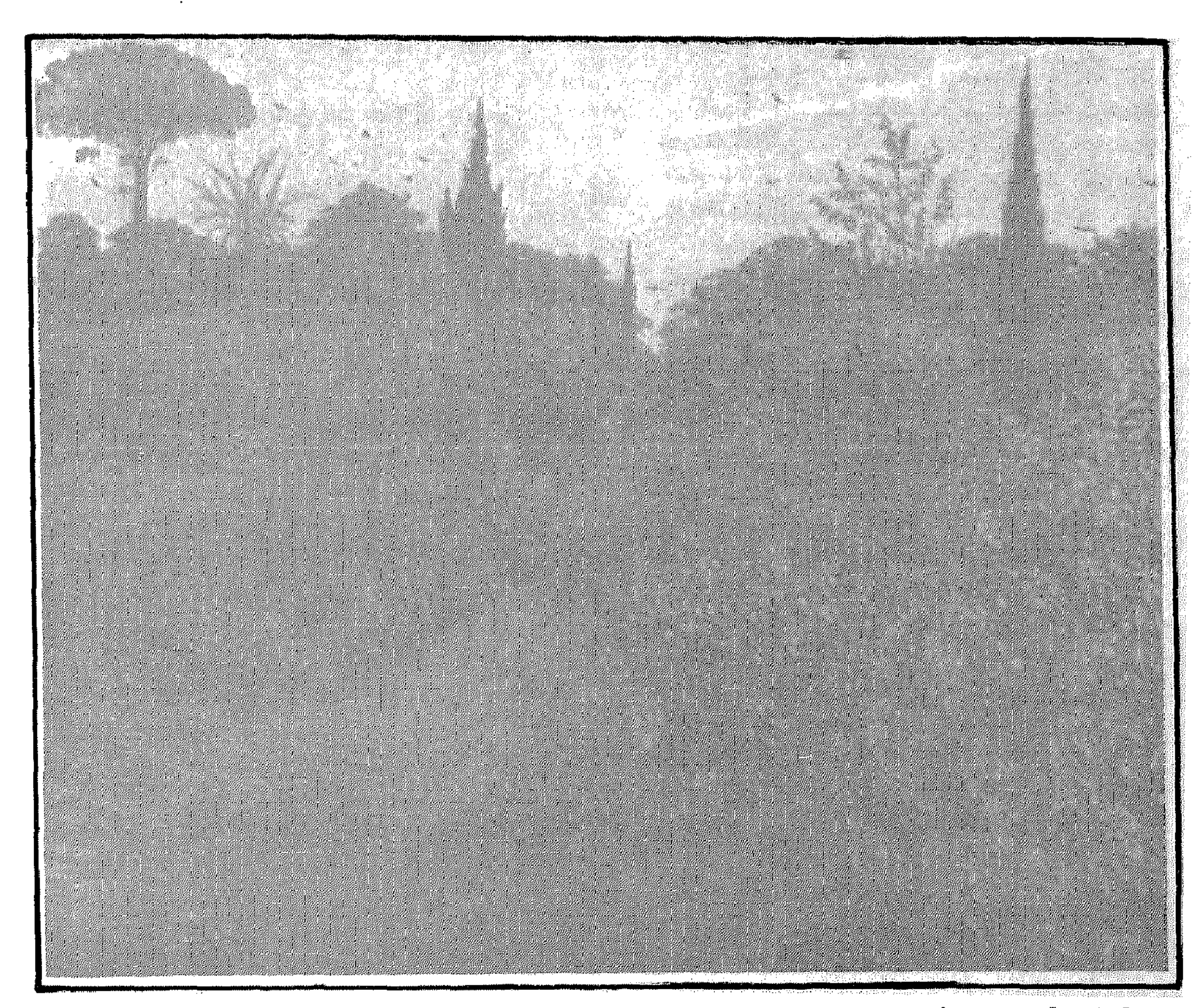
الواقعية والاكتشافات

هكذا لعبت الواقعية التصويرية الدور نفسه الذي لعبته الاكتشافات التي حققها رواد العالم، أو حققها العلماء.

ان صورة العالم المرئي التي يلتقطها الفنان والتي اوصلتها الانطباعية الى حدها الاقصى، تولد في نفسه الشعور بأنه سيد العالم الذي تمرد عليه: فهي لا تؤكد له ازدواجية المظاهر وحسب، وانما تحقق له، كذلك، الانتصار على اعظم قوة يجابه ضغطها وهجومها، والتي تغلبه اخيراً وترميه في هاوية الغياب. هذه القوة هي قوة الزمن.

بالفن يشعر الانسان انه غالب، وان قدرته لا تنحصر في تثبيت ما يراه حوله، وانما تثبت عوالمه الداخلية. والفن يتيح له، ولمن يأتي بعده، أن يستملك الجزء الذي تناوله من العالم، ويربطه الى الابد بالافكار والمشاعر والعواطف التي ايقظها هذا التناول في نفسه.

لقد سجن الفن الحديث في هذا القفص الذي



■ "الطبيعة" للرسام فان أيك

تنسجه خيوط الديمومة اكثر الاشياء افلاتاً: تسجن حتى الاحلام الغامضة، والتلعثمات الاولى على عتبة الشعور، والحركة العصبية التي تفجر خطوط الريشة على القماش.

★ ★ ★

يواجه الفن بديمومته وخلوده، هرب الزمان الهائم، فيما يبدو ان التلفزيون والسينما يزيدان دوامة هذا الهرب تحت أعيننا، وهذا الدوار الهائم فينا. هنا، كذلك، يؤكد الفن قوة الانسان ازاء العالم: يعارض قانون الكون بقانون الانسان، يعيد الى الانسان الثقة التي تهددها الايام الجارية، الى درجة الرعب. واذا كان الفن يمنح انسان اليوم سلاحاً ضد ما يهدده، فانه يمنحه، الى ذلك، التوازن. فهو اذ يسمح للحساسية أن تعبر عن نفسها عفوياً، كما هي، يحول التمزق الداخلي من مأساة الى منظر.

وقد ادرك ارسطو قوة الفن هذه، حين رأى فيه قوته المطهرة، القوة التي تطرح الى الخارج ما يعذب الروح في الداخل.

هذا التأثير المطهر يتلقاه المشاهد كذلك. فبقدر ما يحركه الاثر الفني ويرى فيه نفسه، يخرج من عزلته، ظافراً، يقاسم الآخر عواطفه ويرى فيها، كما يخيل اليه، سر الفنان وسره في آن واحد.

هذا التوازن الذي يوفره الفن، يتجاوز الى هذا كله، مجال الذات والشخصية الفردية. انه يحل مشكلة اكثر اتساعاً وشبه ميتافيزيقية تضطرب في اعماق كل منا: فنحن، منذ ولادتنا نواجه ثنائية نعيشها بالضرورة. هناك، من جهة، ما نعرفه عن انفسنا، عن طريقة شعورنا، عن كيفية سلوكنا، بفضل الوعي والتأمل. لكن، هناك من جهة ثانية، واقع آخر يحاصرنا. وليس جسمنا وشعورنا واحساسنا الا وسائط له. الاول يسميه الفلاسفة الأنا، والثاني يسمونه اللاأنا، أي الذات من جهة، والعالم من جهة ثانية.

والاثر الفني يقدم لنا واقعاً جديداً يختلف عنهما، في ما يعكسهما، ويمثلهما، ويعبر عنهما. انه واقع ثالث مزيج مركب مما نراه في الخارج وفي نفوسنا. وبفضل هذا الواقع الثالث يبطل التناقض بين العالمين، الداخلي والخارجي.

الاثر الفني

والاثر الفني، بعد هذا كله، يقدم لنا ما هو ابعد واغنى، فالاثر الفني الذي هو توازن دائم من نوع ما، حتى عندما يستلهم القلق والحيرة ويغوص فيهما، هو في الوقت نفسه، علامة الاندفاع الى الامام، الاندفاع الذي يعطي معنى للحياة.

ففيه، وعبره، يحاول الفنان (والمشاهد على مستوى آخر) أن يحول ما يراه وما يحسه في داخله... يخلص الاشياء من وظائفها الطبيعية، لكي يجعلها غاية بحد ذاتها، وهذه الغاية هي الجمال.

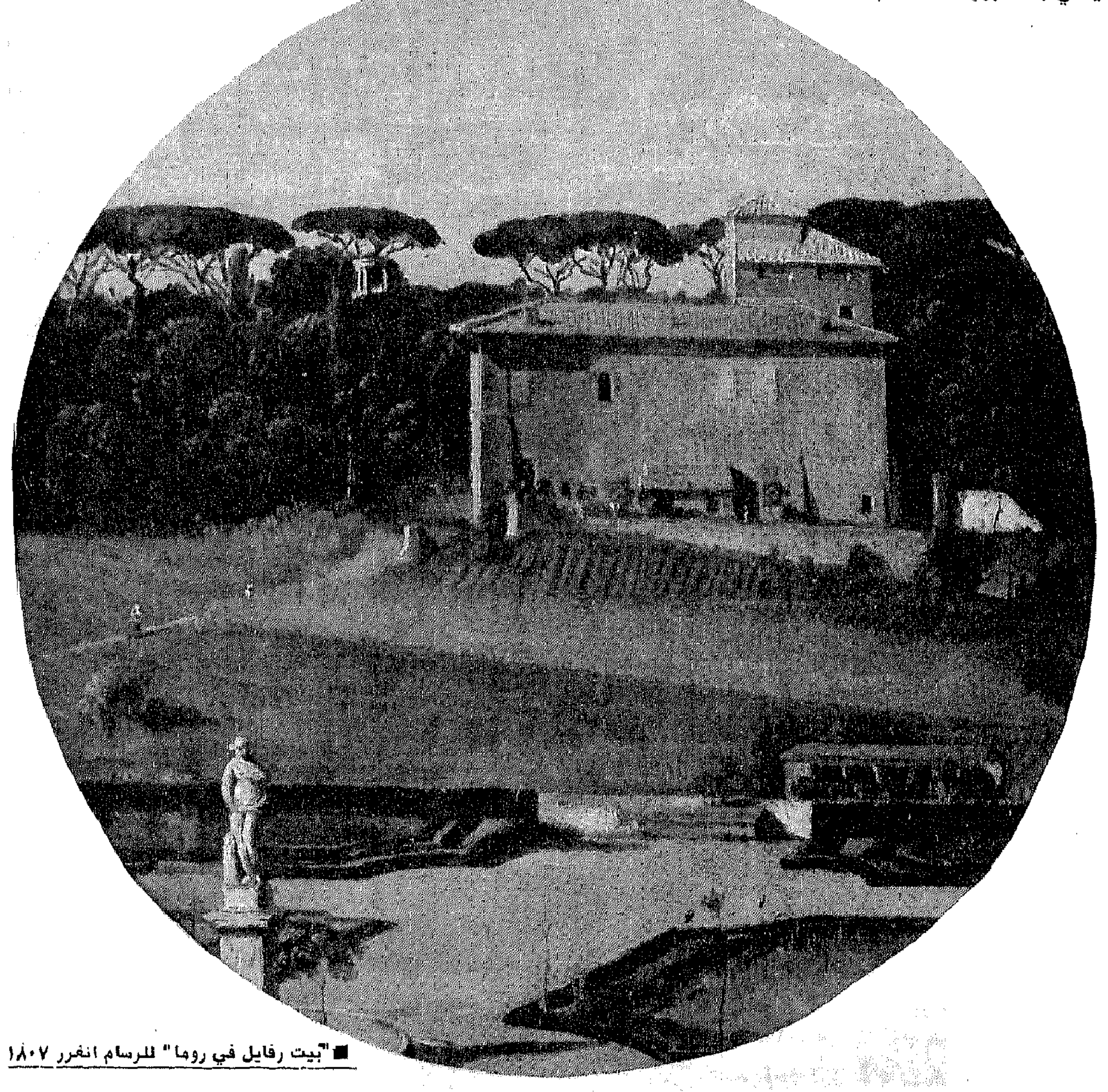
حتى حين يقبض الفن على الحسرة والقبح والرعب، يدلل على أن لهذه أيضاً جمالها الخاص.

فما يتناوله الفن، يتناوله من اجل غاية اساسية هي أن يدفعه الى الامام والى الاعلى في اتجاه يعني بالضرورة، التقدم.

يعرف الانسان، بالتجربة المريرة، أن التوازن الذي ينشده ولا يستغني عنه، يتطلب السير الدائم، لأنه يعرف أن التوقف هنا سقوط. فان شئنا ألا نسقط ونفشل، علينا أن نسير متقدمين، مندفعين حيث يقودنا خيط الوجود.

هذا هو المفهوم الذي يقدمه علم النفس عن الفن ودوره الموقت والأبدي. وهو، في هذا، لا يتعارض مع تاريخ الفن أو علم الجمال، بل انه يكملهما، فيما يستند اليهما. ينطلق من الاول الذي يقدم له المعلومات الضرورية عن الاثر الفني ومبدعه، ويتجه نحو الثاني الذي يقدم له بدوره تجربة حية.

فاذا كان الاثر الفني شهادة الفنان عن واقعه الداخلي والخارجي، فان الناحية النفسية من هذه الشهادة بالغة الاهمية. فهي اذ تتجاوز حدود الفكر الواضح، تكشف عن الطبيعة الانسانية بجميع ابعادها: تكشف عن هذا اللاشعور الذي يشغل القرن



■ "بيت رفايل في روما" للرسام انغرر ١٨٠٧



■ "افطار على الحشيش" للرسام كلود مونيه ١٨٦٥

العشرين، وعن هذه الدعوة التي توجه الانسان، لكي يتكامل ويجابه مصيره، ويتخطى نفسه، حتى ان المغامرة الانسانية قد تتجلى بأوضح مظاهرها، في الصور الكاشفة الموحية التي يقدمها لنا الفن.

هكذا يتيح لنا الفن أن نفهم مصير الانسان وبداياته المستمرة في محاولاته الدائمة. فالفن اكتناه لطاقة التنوع غير المحدودة في الانسان والعالم.

في هذا كله، في فهم دور الفن ووظيفته، تبدو السيكولوجية الفنية الخيط الاوثق الذي يقود من تاريخ الفن، اساسها الوحيد الراسخ، الى نتيجتها: علم الجمال.

★ ★ ★

لم تكن هناك مشكلة أمام الجمهور في الماضي. كانت اللوحة، بالنسبة اليه، تمثل شيئاً ما، وكان هذا كافياً. أما جمهور اليوم فقد تعلم أن من حقه وواجبه أن يطلب من اللوحة شيئاً اخر. وأدى هذا الى اعتقاد البعض أن هناك تعارضاً بين الفن والواقع، يجب أن يبقى.

هذا الاتجاه، شأن الاتجاه في الماضي، تبسيطي الى درجة الافراط. الفن يستحق وجهة نظر أكثر تنزهاً عن الاهواء الحاضرة والبدع التي تنتج عنها. وهو يستلزم نسيان الجدل بين التجريديين واللاتجريديين، فهذا الجدل سيصبح، بعد حين، جدلا باطلا، كالجدل في الماضي بين الرومنطيقيين والكلاسيكيين.

٣ عناصر

هناك ثلاثة عناصر يقوم عليها الفن: الطبيعة، والتشكيل، والفنان.

تقدم الطبيعة المادة الاولية. وهناك من يقلدها تقليداً أعمى بحيث لا يكون فن، بل عمل تقني.

لكن هناك آخرون مثل فان ايك Van Eyck أوصلوا نقل الطبيعة الى كماله، مدفوعين بحاجة كيانية الى القبض على العالم وجعله فريسة بين ايديهم.

العالم يحاول أن يأسر قوانين الطبيعة لتكون طيعة، كذلك الفنان الواقعي يحاول أن يصطادها، كالطريدة، بشباك رؤيته.

وهناك التشكيل، وهو مجموعة الوسائل السلبية والايجابية، بين يدي الفنان. السلبية: القماش، الجدار، اللوح وغيرها. والايجابية: الخطوط والالوان.

بالتشكيل تخطى الفنان الواقعية.

في لوحات انغر Ingres، تلاقى النسخ العالي وغريزة التشكيل، فانتقل التصوير معه من التمثيل الى التشكيل. واخذ البحث البلاستيكي، خطوطاً والواناً، يسيطر على البحث الواقعي.

أما العنصر الثالث الرئيسي الاول فهو الفنان.

الفنان يخضع لمشيئته الواقع ووسائل الابداع معاً. هو الذي يغزو مقلع الطبيعة وراء الحجر الذي سيصير تمثالا.

وهو الذي يوجه، البقع والاشكال، الخط واللون وفق حساسيته وارادته، وذلك من اجل التعبير عن فسه، ونقل هذا التعبير الى الآخرين ٠

لغة الفن

فالفن لغة: كما تلجأ الكتابة الى مفردات اللغة، يلجأ الفن الى اشكال الحياة ٠ وكما يستخدم الشاعر للغة بطريقة تغاير استخدامها العادي، يستخدم لرسام ألوانه وخطوطه بطريقة تغاير الطبيعة، لتخلق الجمال وتجعل منه احياناً غاية كافية ذاتها ٠ وهذه هي طاقة التشكيل ٠

هذه العناصر الثلاثة تتآلف أو يتراجع بعضها امام الآخر بحسب الزمان والمكان والافراد ٠ وتظهر قوة الابداع في عنصر أو آخر بحسب النتاج ٠ غير ان هذه العناصر كانت متآلفة في الآثار الفنية العظيمة التي تركها لنا الماضي ٠

فالفن يشبه كياناً إلهياً بثلاثة وجوه ينعكس فيها الواقع الخارجي، والابداع التشكيلي، والواقع الداخلي ٠

وقد سادت الواقعية الخارجية عصوراً طويلة ٠

بدأت بالمحاولات الأولى التي قام بها الانسان في ما قبل التاريخ، حين رسم على جدران المغاور والكهوف أشكالا جانبية لبعض الحيوانات ٠ بهذه الجانبية كان يرسم المظاهر التي تهمه ٠ وبقي الفن أجيالا يكتفي برسم هذه الخطوط الجانبية، وكان يتجاوزها احياناً الى الايحاء بكتلة الاحجام التي يرسمها ٠

وتطورت الخطوط في رسوم الجدران، بتطور النظر الى السطوح ٠ فأخذ الفنان يكتشف ان القسم الاقرب الى عينه من حجم ما، هو الاكثر وضوحاً، وان الاقسام الاكثر بعداً يغمرها ظل يتكاثف بحسب بعدها ٠ واصبح الظل مرادفاً للعمق ٠ ومن هنا صار بامكان الرسم أن يفيد من النحت ٠

ثم لاحظ الفنانون ان انعكاس الضوء على المعدن والجلد ليس واحداً وان كل معدن، حديداً، أو فضة، أو ذهباً، يعكس الضوء بطريقة خاصة ٠ واستخدم الزيت الذي اتاح للفنان كشوفاً جديدة في استخدام الضوء الذي يوقظ اللوحة ويحركها، ويثير النظر ويحركه ٠

لكن قبول الاضاءة أدى الى استبدال قانون المادة بقانون الضوء ٠ وكان هذا القبول بداية لتشويه الشكل، أي بداية التمرد على الواقع ٠

وفي الانطباعية انتصر الضوء على الواقع المحسوس، واقع الكتل المتينة الصلبة ٠

وفي بداية القرن العشرين ماتت نهائياً مع مونيه Monet الواقعية القديمة ٠ وصار كل شيء خاضعاً للضوء، شكلا وتعبيراً، وتخلص الرسام من الخط والنموذج ٠ ولم يعد يعرف غير انطباعاته البصرية واهتزازات شبكة عينيه ٠ وصارت المادة الجامدة سائلة بين يديه ٠

لكن هذا السائل سرعان ما صار ضباباً يرقص في خضوع لآلية التيارات التي تحرك الهواء، ضباباً يغطي الاشياء كلها، يمحوها، ولا تخترقه الا الشمس حيث تجعله شفافاً هنا، رقراقاً هناك، متموجاً هنالك ٠

هكذاكانت الانطباعية ذروةالواقعية وكمالها الاقصى ٠ لكنها في عنادها للقبض على اكثر الاشياء هرباً وافلاتاً، هيأت للقضاء على المادة الصلبة التي هي، وحدها، نقطة الارتكاز الثابتة ٠ بهذا جردت الواقعية من الفكر الواضح النير الذي تقوم عليه، وهو مدلول الاشياء والاجسام، واستبدلته بواقع صوفي، يتبدل كالحلم، وتتحد فيه الرؤية بالتوهم ٠

الجمال والحقيقة

واذ صار واقع الرؤية متغيراً، يتبدل ويتحول، لم يعد امام الفن الحديث الا ان يتجه نحو اسس أخرى ٠ فبعد أن استنفد التصوير امكانيات الواقعية، اتجه الى اكتشاف الامكانيات الشكلية واللونية، اتجه الى البحث البلاستيكي ٠

هكذا، حل البحث عن الجمال محل البحث عن الحقيقة ٠ أو، بتعبير آخر، حل الجمال الذي تقدمه وسائل الابداع، محل الجمال الذي تقدمه وسائل الطبيعة ٠

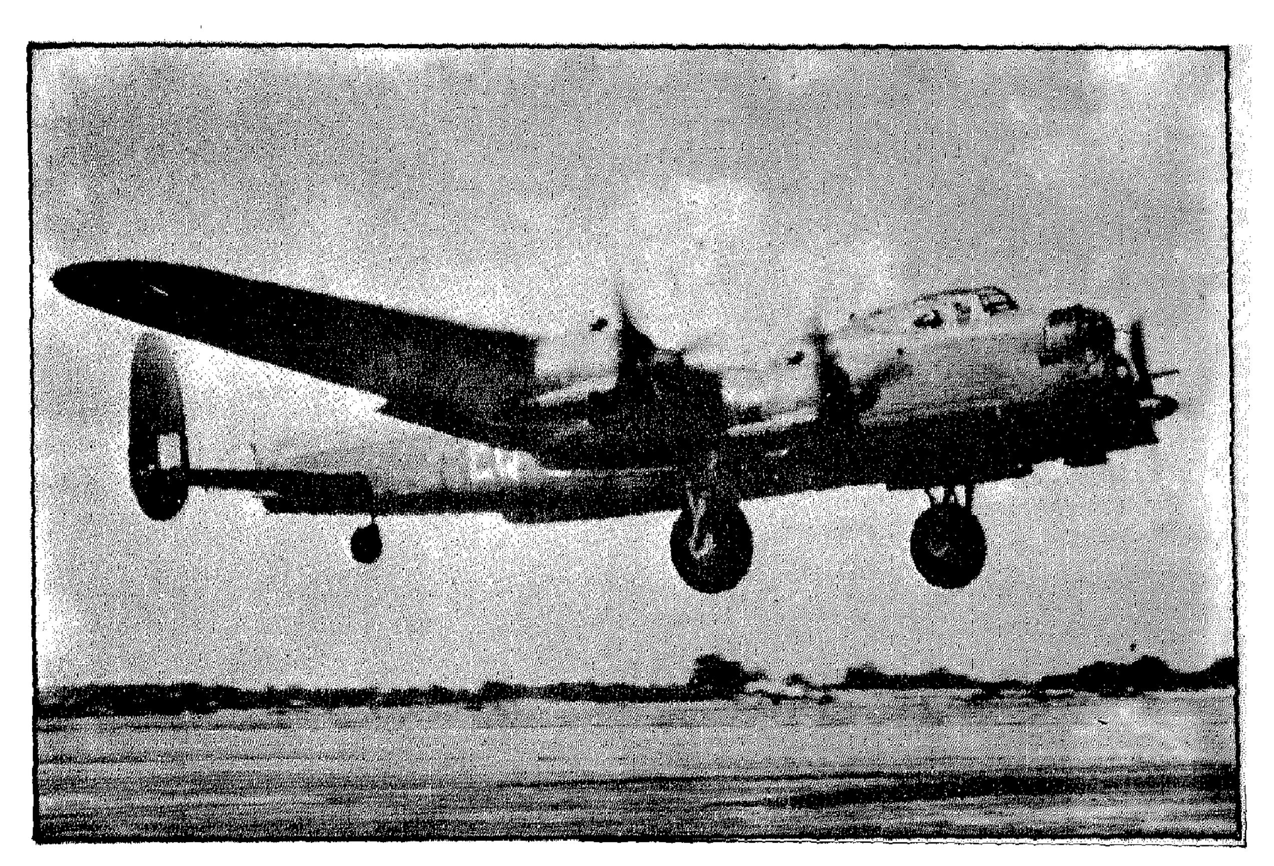
غير ان البحث البلاستيكي يتشعب في طرق كثيرة لولا انه يجد محوره في التكوين ٠ والتكوين يكشف عن طاقة التعبير، فيما هو يؤالف بين عناصر اللوحة ٠

وسواء كان الاثر الفني واقعياً أو تعبيرياً، فلا يوجد الا حين يستقل عن مصدره، كالثمرة لا تنضج الا حين تترك الغصن الذي غذاها ٠ والتكوين هو الذي يحقق هذا الاستقلال، فبغيره لا تنضج اللوحة ٠ لا تكون ٠

والتكوين يقود الى الوحدة أبسط المبادىء واقدمها ٠ غير انه لا يؤكد الوحدة وحسب، بل التنوع كذلك ٠

وقد وجد الفنان الغربي مبادئه التكوينية الأولى في النزعة الهندسية التي تسيطر على الحضارة المتوسطية ٠ وهذه الروح الهندسية المأخوذة بالنظام والدقة والثبات والتناسق والتي نشأت في ما بين النهرين ومصر، استمرت في الفن الايطالي الكلاسيكي وقد وصلت اليه بواسطة الفسيفساء البيزنطية ٠

ولا يجمع التكوين بين الشكل واللون وحسب، وانما يؤكد، الى ذلك، تأليفها التركيبي في وحدة الاثر الفني ٠ لهذا يجيء تكوين اللوحة مركباً معقداً، بقدر ما يكون الفنان كبيراً ٠



■ طائرة "لنكستر" الانكليزية.

من ارتفاع ١٨ ألف قدم... إلى الارض بدون مظلة!

نيكولاس ستيف الكيماد

من قصص الحروب الغريبة (والحروب هي في الغالب قصص غريبة) هذه القصة التي كتبها نيكولاس ستيفن الكيماد وهو ضابط صف سابق في القوات الجوية الملكية البريطانية عن نفسه.

فقد القى الكيماد نفسه من طائرة "لنكستر" حربية، بعد ان اصيبت الطائرة واحترقت مظلته، من ارتفاع ١٨ الف قدم. وسقط الى الارض من دون ان يصاب بأذى بسبب سقوطه في منطقة حافلة باشجار الشربين... التي شكلت اوراقها المتساقطة على الارض بكثافة مع ندف الثلج نوعاً من العازل بينه وبين الارتطام بعنف بالارض الصلبة.

... وهكذا عاش نيكولاس، بينما مات زملاؤه الآخرون من طاقم الطائرة احتراقاً لانهم لم يستطيعوا القفز مثله من مثل هذا العلو الشاهق.

وفي ما يأتي القصة:

البرج الخلفي لقاذفة القنابل "لنكستر" بارد ومعزول، اذ تفصلـه عـن بقيـة اعضاء الطاقـم مجموعتان من الابواب و١٢ ياردا من جسم الطائرة. انه مكان ضيق لا يكاد يتسع لاكثر من جسم المدفعي بثيابه الضخمة. وليست له حتى فسحة ليلبس مظلته فيها. فحمائل المظلة موضوعة في جسم الطائرة داخل الباب الثاني.

وعلى المدفعي، في اية حالة طارئة، ان يغادر البرج الخلفي ليأتي بحمائل المظلة ويرمي بنفسه آملا بان لا يقطع الهوائي الخلفي للراديو جسده الى قسمين.وهذا العمل ينطوي بلا شك على مخاطرة.

باقتراب طائرتنا فوق برلين في ليلة ٢٤ ـ ٢٥ آذار ١٩٤٤ رأينا اشعة الانوار الكشافة تلمس السماء. أخذ المستطلعون أمامنا يحددون لنا الاهداف بعلامات حمراء وخضراء لتقوم قاذفة بعد اخرى من سربنا بقصف ادى الى اشعال الحرائق فيها. عندئذ بدأت المدافع المضادة للطائرات توجه نيرانها الى قاذفاتنا، فحولنا اتجاهها نحو قواعدنا ونحن نراقب بيقظة مقاتلات العدو الليلية التي كانت تعمل عن بعد. في هذه الاثناء رأيت وميضاً ينطلق فجأة على شكل كرات نارية تصيب بعض طائراتنا.

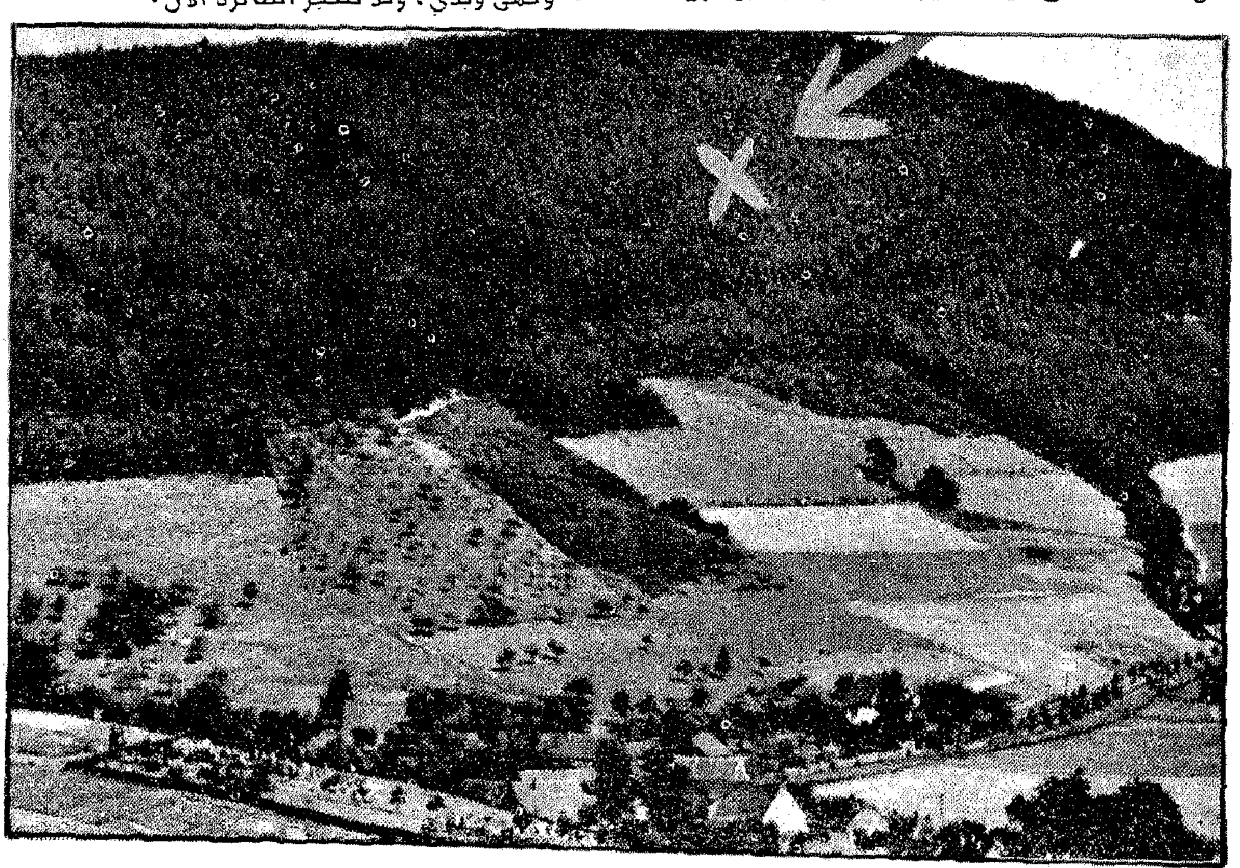
عندما اصبحت قاذفتنا فوق منطقة الرور ارتجت من مقدمتها حتى ذيلها نتيجة لانفجار قنبلتين فوق برجي الخلفي، حطمت شظاياهما الزجاج واصابت شظية ساقي اليمنى.

انزلت مدفعي بسرعة ونظرت الى الخارج لارى عن كثب ظلال مقاتلة (يونكرز ٨٨) تطلق النار بسرعة على طائرتنا المصابة. سددت الى الهدف وضغطت على زناد مدافعي الاربعة، فانطلقت النيران في واقت واحد لتصيب منفذ محرك المقاتلة. لم اكترث لمشاهدة مصيرهـا لانـي كنـت مهتمـاً بمصيـري الشخصي.

وامامي كانت النار المتقدة تندفع من خزان الوقود في طائرتنا بسرعة البرق. اتصلت بقائد الطائـرة بواسطـة "الانتـركـوم" ـ وهـو نظـام لتبادل الاتصال الداخلي ـ وابلغته ان ذيل الطائرة يحترق. ولكنه اختصر الجواب بقوله: "عليك ان تقفز".

ضربت ابواب البرج بقوة لفتحها، ففتحت. ثم فتحت باب جسم الطائرة وكانت النار تشتعل فيه والدخان يعمي عيني.عدت بسرعة الى برجي. ولكن على ان آتي بمظلتي! عاودت الكرة، ففتحت الابواب واندفعت الى الامام نحو حمائل المظلة.

لقدت فات الاوان! الحمائل تحترق وتتحول الى سحابة من دخان. عدت ثانية الى برجي وبدأت اقوم وضعي فهاانذا في الحادية والعشرين من عمري، وهذه هي آخر الطريق.. في هذه اللحظة اخذ الوقود في برجي الخلفي يشتعل واللهيب يصفع وجهي ويدي، وقد تنفجر الطائرة الآن.



■ ... المكان الذي سقط فيه.. غابة من التنوب (شجر شبيه بالصنوبر موجود في اوروبا).



■ نيكولاس ستيف الكيماد

كان لابد من ان اتخذ قراراً سريعاً. فاما ان احتمل هذا الجحيم واما ان اقفز من الطائرة. وان كنت ساموت فمن الافضل ان القى حتفي سريعاً وبلا الم وذلك بقفزة نحو الارض.

فتحت الباب، وفي حالة من اليأس الشديد القيت بنفسي في الفضاء المظلم. فاستمتعت ببرودته بعد ان كادت حرارة النار في برج الطائرة ان تقضي علي". ولم يكن لدي اي احساس بالسقوط، اذ كنت اشعر ان رحلتي من السماء الى الارض هي بمثابة راحة لي. وقبل ثوان من وصولي الى الارض فكرت: "هل اسقط على رأسي اولا؟ واذا كانت القفزة هي الموت بحد ذاته فيجب الا اخشى شيئاً". ولكني أسفت لعدم توديع اصحابي ورؤية حبيبتي "بيرل" مرة أخرى في "لوفبورو". وكان من المقرر ان تبدأ اجازتي يوم الاحد القادم.

ومن ثم لا شيء ـ فلا بد من ان اكون قد فقدت الوعي.

وخلال مراحل بطيئة استعدت احساسي وشعرت بادىء ذي بدء بان هناك ضوءاً فوقي يتحول تدريجياً الى قطعة من سماء مضاءة بالنجوم. كان الضوء محاطاً باطار تبين لي في النهاية بانه ثقب في اغصان متشابكة من اشجار الشربين. ووجدت نفسي ملقى داخل هضبة عميقة من غابة مغطاة بالثلج.

بدأ قلبي ينبض ورأسي يرتج من شدة البرد. وبعد ان لمست جسمي وجدت بامكاني ان احرك ساقي. حمدت الله على بقائي حياً في قفزة من علو ثلاثة اميال وخمسي الميل. (١٨ الف قدم) بلا مظلة.

حاولت الوقوف فحال بيني وبين الالم الشديد. مددت عنقي فرأيت ثيابي ممزقة وقدمي عاريتين. خفت ان اتجمد من البرد حتى الموت. مددت يدي الى جيب سترتي القصيرة فوجدت فيها علبة مسطحة وملتوية وكنت قد وضعت فيها سجائري وقداحتي التي لم يلحقها اي اذى. وساعة يدي لم تزل تعمل بانتظام وعقاربها المضيئة كانت تشير الى ٣:٢٠ صباحاً. اذن، عند منتصف الليل اصيبت طائرتي.

ووجدت كذلك ان حول ياقة السترة لم تزل صفارتي التي استعملها في حال هبوط الطائرة اضطرارياً فوق سطح الماء من اجل الاتصال باعضاء طاقمها.

قلت لنفسي: "اكون سعيداً ان اصبحت اسير حرب". أخذت اصفر من وقت لآخر لعل احداً يعلم بوجودي هنا. وبعد ساعات قليلة سمعت صوتاً ينادي من بعيد "هولو"!

صفرت بشدة وسمعت الاصوات تقترب. تمكنت من رؤية مشاعل كهربائية تقترب نحوي. وبعد قليل رأيت رجالا واولاداً يقفون فوقي ويقولون لي "راوز" ـ انهض. وعندما تأكدوا بأني غير قادر على النهوض وضعوا قماشاً مشمعاً تحتي وجروني على ارض جليدية الى كوخ صغير حيث قدمت لي سيدة عجوز شراباً لذيذاً من البيض المخفوق مع السكر والقشدة والخمر.

وفي هذه الاثناء سمعت هدير سيارة يقترب ثم يتوقف في الخارج، واذا بشرطيين من التحري يدخلان الى الكوخ ويسوقانني الى داخل السيارة. سارت السيارة بنا في طريق وعرة نحو المستشفى حيث ادخلت الى غرفة العمليات. وعلمت بعد ساعات ان معظم ما لحق بي من حروق في ساقي والتواء في ركبتي اليمنى وجرح في فخذي وارتجاج خفيف في المخ وحروق في وجهي ويدي لم يكن نتيجة للقفزة التي قمت بها.

واخيراً، وضعت على فراش نظيف ولكن لا لانام، لاني فوجئت بقدوم شخص طويل القامة في لباس "فيرماخت". بدأ يستجوبني بواسطة مترجم عسكري: ما هي الاهداف التي هاجمتها؟ اين هي قاعدتك؟ كم عدد الطائرات في قاعدتك؟.. ذكرت له اسمي ورتبتي. وبالنسبة للاسئلة الاخرى قلت له: "لا يجوز ان اجيب".

ثم سألني عن مظلتي، لان الجواسيس عادة ما يخبئون مظلاتهم عندما ينزلون في اراضي العدو. قلت له: "لم استعمل المظلة"!

وقد تواصل التحقيق معي لمدة ثلاثة ايام متتالية. وفي النهاية ابقيت بمفردي.

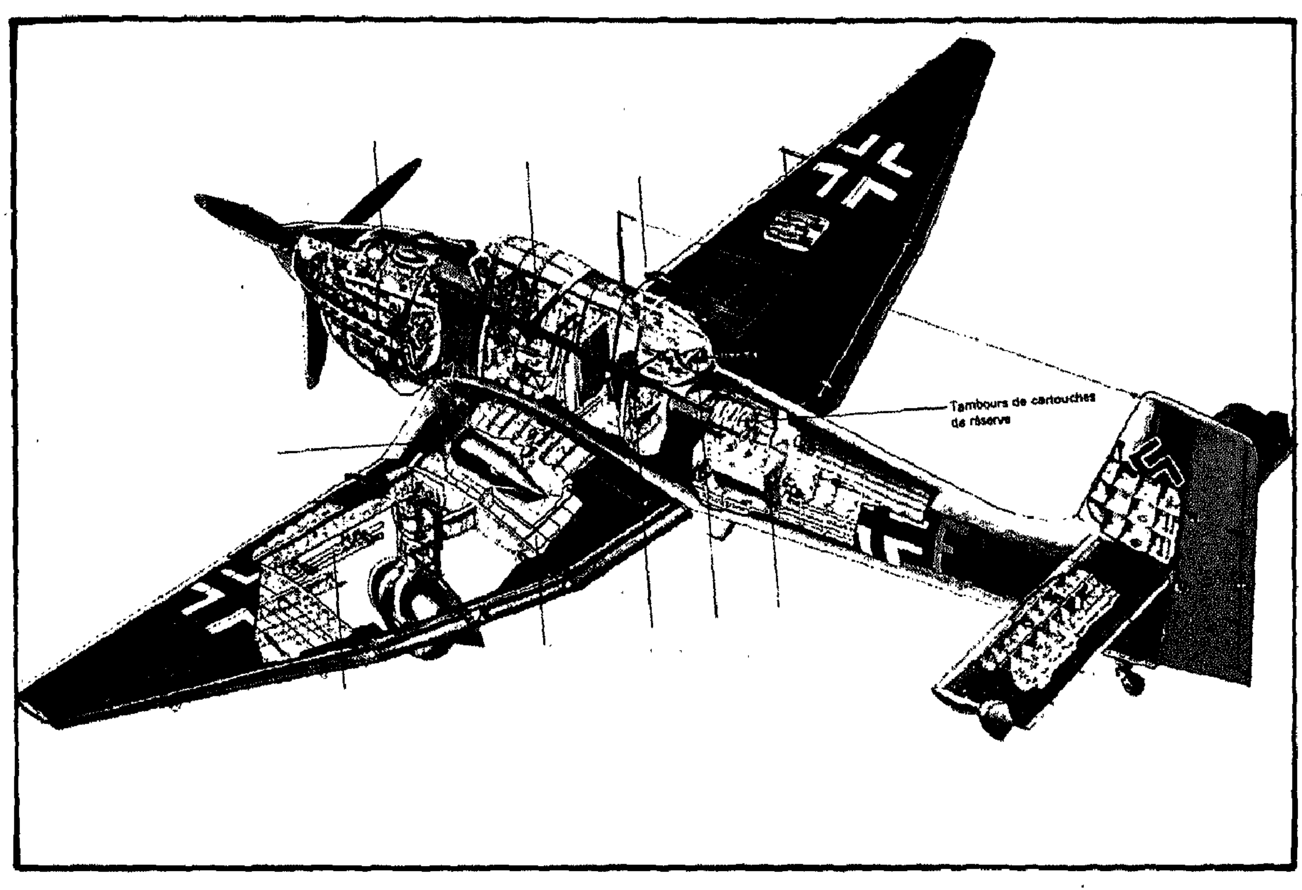
وعندما التأمت جروحي بعد مرور ثلاثة اسابيع على وجودي في المستشفى تم نقلي الى معسكر "دولاك لوفت" بالقرب من فرانكفورت حيث اودعت الحبس الانفرادي. وقد اخذت وقتي فيه للتفكير في كيفية اقناع المستنطقين بحقيقة قصتي التي لا تصدق.

بعد اسبوع، قادني ملازم شاب الى مكتب آمر المعسكر وهو برتبة كوموندون. قال لي بطريقة جافة وبلغة انكليزية "اهنئك". واضاف: "هل لك ان تخبرني عن قصة نجاتك غير العادية، من فضلك. لدي تقرير غير واف من الملازم، واعتقد بانك تدعي بقيامك بقفزة من طائرة ملتهبة من علو ٦٠٠٠ متر بلا مظلة. انها قصة طويلة، حضرة الرقيب، اليس كذلك؟"

قلت له ان باستطاعته اثبات الرواية اذا ما ابدى رغبة في ذلك، الم تقع طائرة من نوع "لنكستر" محطمة في منطقة الرور في ليلة ٢٤ ـ ٢٥ آذار؟ ان كان هذا قد حصل حقاً، فتكون تلك هي الطائرة التي قفزت منها. ان بقايا حمائل مظلتي موجودة أمام باب مؤخرة جسم الطائرة.

استمع الكوموندون الى حديثي بكل هدوء. وقال: "حقاً، انها رواية رائعة واسمع الكثير من الروايات!".

قدّم لي سيجارة وتحادثنا لمدة خمس عشرة دقيقة، ثم اتي الملازم ملوحاً بحمائل المظلة المحروقة وطرحها جانباً على الطاولة أخذ



■ طائرة "يونكرر" الالمانية.

الكوموندون بهذه الحقائق وقال بالانكليزية" انها اعجوبة! ويا لها من قصة ترويها لاحفادك!".

هنأني، ثم اذن لي بالانصراف ,وقال: "غداً سيعلم رفاقك كيف اصبحت اسير حرب".

وفي اليوم التالي علمت بان المكان الذي تحطمت فيه طائرتنا يقع على بعد حوالي عشرين كيلومتراً من المكان الذي هبطت فيه، وان اربعة من طاقم الطائرة قد احترقوا حتى الموت ودفنوا في المقبرة العسكرية بالقرب من ميشيدي.

قادني ضابط طيار الماني ومعه ضابطا صف الى رقعة من الارض واسعة مسيجة، تجمع فيها نحو مئتي اسير من الطيارين الحلفاء. اخذت مكاني على كرسي خشبي وبدأ الضابط يسرد قصتي للطيارين المشككين فيها. وبعد ان انهى حديثه، قدمت لي ورقة موقعة من الضابط البريطاني الذي دون التصديق الالماني،ومن ضابطين بريطانيين شاهدين. انها قصاصة باهتة ولكنها ستكون دوماً موضع اعجابي وفخري:

"دولاك لوفت.

بعد التحقق والاثبات تعلن السلطات الالمانية ان الادلاء الذي قدمه الرقيب الكيماد ـ ١٤٣١٥٣٧ ـ في القوات الجوية الملكية هو صحيح، اي انه نزل من علو ١٨٠٠٠ قدم بلا مظلة وبدون ان يصاب بأذى. ولما كانت مظلته تشتعل في الطائرة فانه هبط على ثلج عميق بين اشجار الشزبين.

"شهود الاثبات:

الملازم الاول هـ.ج. مور ـ الضابط البريطاني الاعلى

الرقيب الاول ر.ر. لامب ـ ضابط الصف الاعلى

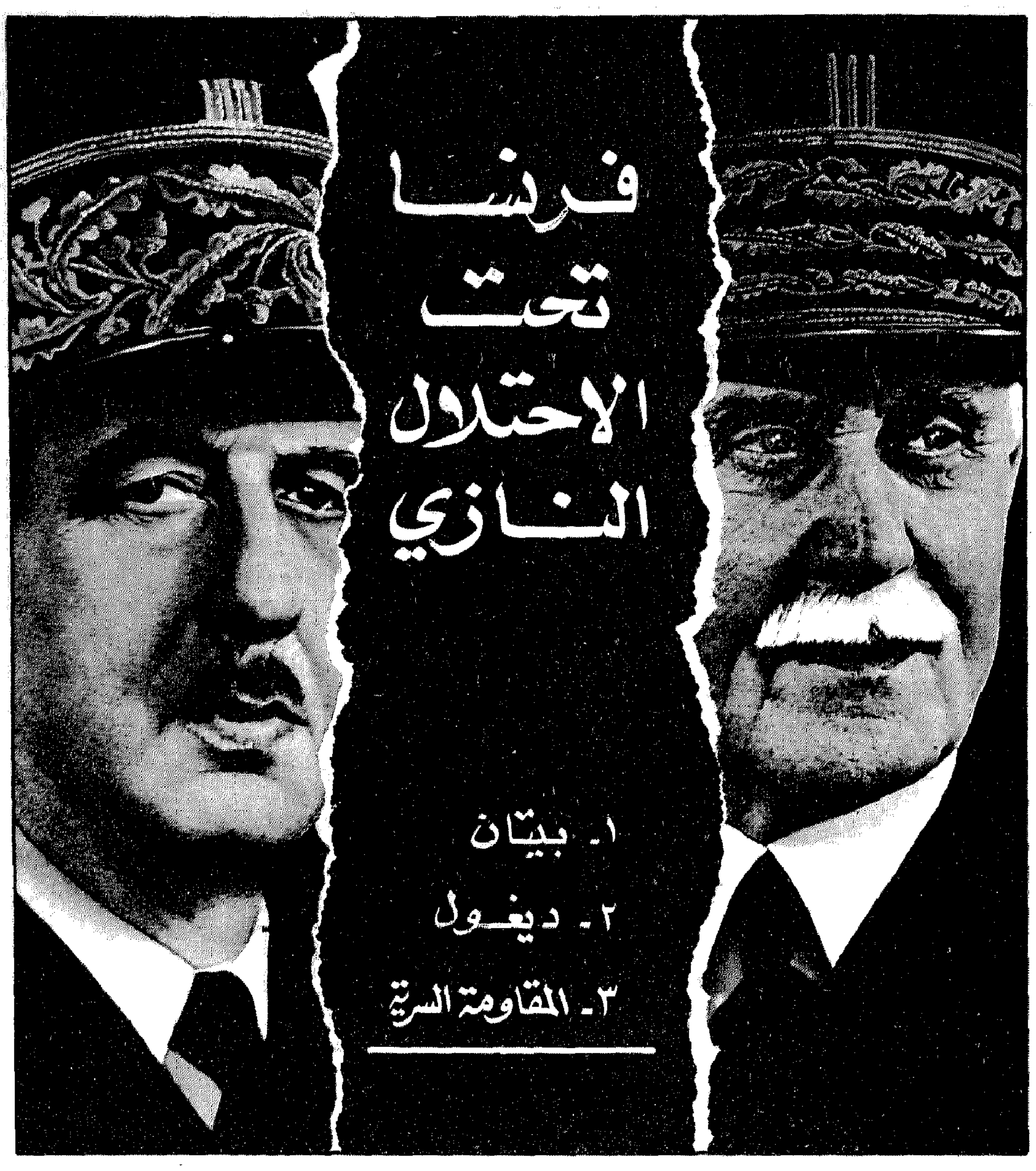
الرقيب الاول ت.ا. جونز ـ ضابط الصف الاعلى.

"التاريخ ٢٥/٤/٤٤"

في شهر ايار ١٩٤٥، قامت المخابرات التابعة للقوات الجوية الملكية بالتدقيق في سجلات دولاك لوفت، فوجدت ان التقارير عن مغامرتي الغريبة واقعية، فدونتها في السجلات الرسمية للقوات الجوية الملكية.

واليوم، اعيش انا وبيرل بسعادة في لوفبورو. لقد اتخذت الخطوات الاولى نحو اتباع نصيحة الكوموندون الا وهي ان اسرد قصتي لاحفادي. وها انا انتظر حتى ينجب لي اولادي هؤلاء الاحفاد.

وفي نفس الوقت، اتساءل لماذا حصلت هذه الحادثة العجيبة لرجل عادي مثلي.



اعداد قسم الدراسات

عاشت فرنسا، طيلة فترة الاحتلال النازي، بوجهين متناقضين ولكن متكاملين في وقت واحد.

أحد هذين الوجهين، كان وجه التعاون مع المحتل والذي جسده الماريشال بيتان.

والثاني وجه المقاومة الشعبية للاحتلال، وقد جسده رمز هذه المقاومة وبطلها الجنرال شارل ديغول..

ولا يقل أهمية عن هذا الوجه الثاني، العمل السري الذي مارسه عدد من العملاء داخل صفوف العدو والذي كان له فضل مهم في عرقلة خطط العدو وارباك خطوطه الدفاعية.

وهذا الملف يحتوي على ٣ مقالات عن الوجوه الثلاثة: بيتان وديغول والعميل السري جيلبر رينو.

ظاهرة المارشال بيتان

وتعاونه مع العدو منذ مؤتمر "كاسب مونتوار" ...

"التعاون مع العدو" (١) قضية مطروحة في كل وقت على بساط البحث وفي الواقع، ومن الامثلة التاريخية الساطعة في هذا المجال تعاون الماريشال فيليب بيتان الرئيس الفرنسي خلال فترة الاحتلال الالماني النازي لفرنسا (حزيران ١٩٤٠ – آب ١٩٤٤)، واول ما يتبادر الى الذهن السؤال الجوهري التالي: كيف استطاع بيتان تبرير موقفه المستسلم والى اي مدى كان هذا التعاون متبادلا بين الطرفين؟؟؟

نظريا يمكن للمتعاون مع العدو المحتل لارضه ووطنه ان يبرر تصرفه هذا بحجج شتى ابرزها ثلاث:

١) التعاون التكتيكي: وهي الحجة التي ظل يتذرع بها بيتان طوال فترة الاحتلال النازي لفرنسا للدفاع عن سياسته "السلمية".

٢) التعاون عن اقتناع: وهو مثلا موقف "الحزب الشعبي الفرنسي" الذي اسسه جاك دوريو على نمط الحزب النازي الهتلري، وهذا التيار استمد شرعيته خصوصا من سياسة بيتان نفسها المتخاذلة والمصبوغة بـ"التكتيكية".

٣) التعاون على اساس المصلحة المادية: وهو موقف الطفيليين الذين يحاولون الاصطياد في المياه العكرة تأمينا لمصالحهم الانانية.

أوهام

وقد ساعد بيتان في الاستمرار في هذه السياسة الجو السائد يومها بين صفوف عامة الفرنسيين الذين فوجئوا بوقوع الكارثة الوطنية فتمسكوا بأي شيء للخلاص من "المصير المجهول". ويمكن تلخيص هذا الجو من خلال ذكر القناعات الاربع التالية التي كانت في الواقع مجرد اوهام اكثر منها حقائق:

١) في استطاعة الالمان النازيين ان ينفذوا ما يشاؤون ومتى يشاؤون، وهم يملكون الوسائل لذلك، اذن من الافضل عدم معارضة ومقاومة ما هو "تحصيل حاصل".

٢) ان هتلر هو مجرد محتل كلاسيكي لاراضي الغير، وككل محتل في التاريخ لا بد ان ينسحب من هذه الاراضي عاجلا ام آجلا (يومها لم تكن ممارسات النازية العنصرية الرهيبة ماثلة لدى الرأي العام بكل حقائقها، ولم تتكشف خطط هتلر الخطيرة على نطاق واسع الا بعد انحسار النازية العسكري وهزيمتها).

٣) كان "الخطر الشيوعي" ماثلا بقوة في هذه الفترة: من تصفيات معارضي ستالين في الاتحاد السوفياتي الى حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا والتي شارك فيها الشيوعيون في شكل رئيسي.

٤) ان مسألة وحدة فرنسا وسلامتها هي القضية الاولى في ظل الاحتلال النازي، لذلك اعتبر بيتان ان العمليات الفدائية للمقاومة الشعبية "تخرب مسيرة السلام والبناء" وتؤدي الى تفاقم خطر الحرب الاهلية، فهي بالتالي غير شرعية ومن واجب الدولة ان تقمعها.

وعلى هذا الاساس النفسي للوضع في فرنسا كما تخيله الماريشال المتعاون، وجه بيتان نداءه الاستسلامي الى الفرنسيين في ١٧ حزيران ١٩٤٠: "بقلب جريح اقول لكم اليوم: اوقفوا القتال...".

ولكن حقيقة الوضع كانت مغايرة تماما، اذ لم تمض ٢٤ ساعة على نداء بيتان حتى وجه الجنرال ديغول صرخته الشهيرة من اذاعة لندن (١٨ حزيران):

"... ان القادة الذين كانوا منذ سنوات طويلة على رأس القوات المسلحة الفرنسية (١) هم الذين شكلوا حكومة تحت الاحتلال (٢). وبررت هذه الحكومة تعاونها مع العدو بحجة الهزيمة التي لحقت بقواتنا المسلحة. ولكن هل انتهى كل شيء؟ هل فقدنا الامل؟ وهل ان الهزيمة هي نهاية كل شيء؟ كلا، ففرنسا ليست وحدها، ليست وحدها، ليست وحدها. وليست هذه الحرب محصورة في الاراضي المقهورة من بلادنا. كما انها لم تحسم من خلال معركة فرنسا. هذه الحرب هي حرب عالمية...

انا الجنرال ديغول الموجود حاليا في لندن ادعو الضباط والجنود الفرنسيين الموجودين فوق

الاراضي البريطانية، كما ادعو المهندسين والعمال المهرة في المصانع الحربية الى الاتصال شخصيا بي. مهما حصل فان شعلة المقاومة الفرنسية يجب ان لا تنطفىء، وهي لن تنطفىء..." .

سياستان متعارضتان

وهكذا فمنذ اليوم الاول للاحتلال النازي لفرنسا برزت سياستان متعارضتان: الاولى للماريشال بيتان وجماعته من المتعاونين "الواقعيين" والعملاء المنتفعين، والثانية للجنرال ديغول ورفاقه في المنفى الداعين للمقاومة المسلحة التي تفجرت في وجه الاحتلال منذ اليوم الاول من الهزيمة العسكرية.

ومع أن التاريخ اثبت في ما بعد ان سياسة المقاومة المسلحة المنظمة كانت هي السياسة الصائبة في ذلك الجو السياسي المظلم الذي خيم على اوروبا طوال اربع سنوات، الا انه ما زال هناك في عالمنا اليوم من يصر على تجاهل المصير الاسود الذي ادت اليه سياسة بيتان الانهزامية.

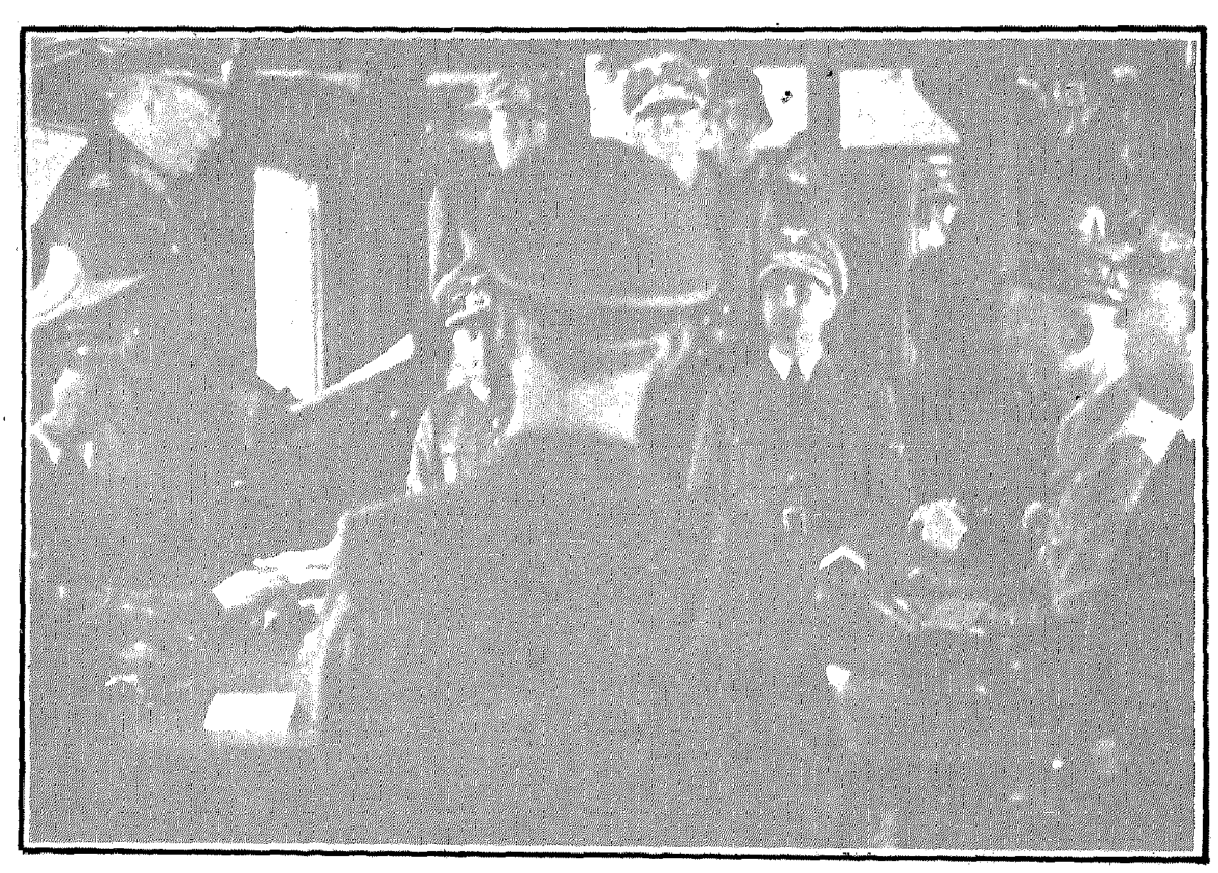
فكيف ابتدأت سياسة التعاون بين بيتان وهتلر؟ وكيف انتهت؟

يوم الخميس في ١٩٤٠/١٠/٢٤ لبى بيتان دعوة هتلر للاجتماع به في "كمب مونتوار". وصدر في ٢٦ تشرين الاول البيان الرسمي التالي عن حكومة فيشي:

"ان الاجتماع الذي جرى في ٢٤ تشرين الاول بين المستشار هتلر والماريشال بيتان بحضور السيدين فون ريبنتروب وبيار لافال، ساده جو من اللياقة الفائقة. وتم استقبال الماريشال بمراسم الشرف التي تناسب مكانته. وتناول الاجتماع بين رئيسي الدولتين الوضع العام في المنطقة وخصوصا مسألة اعادة بناء السلام في اوروبا. واتفق الجانبان على مبدأ التعاون، وسيتم بحث اجراءات التعاون في ما بعد".

وفي ٣٠ تشرين الاول اوضح بيتان بنفسه في حديثه الى الفرنسيين خلفيات اللقاء، فقال كالآتي:

"... يشكل هذا اللقاء الاول بين المنتصر والمهزوم بداية نهوض بلدنا. لقد لبيت دعوة الفوهرر بملء ارادتي ولم يضغط عليّ احد ولم يفرض عليّ اي شيء. فقط طرحوا عليّ مسألة التعاون بين بلدينا، فوافقت على المبدأ، وسوف نناقش اجراءات التعاون لاحقا... انني اسلك اليوم طريق التعاون على اساس التمسك بشرف فرنسا ومن اجل الحفاظ على الوحدة الفرنسية، هذه



■ عربة القطار التي وقع فيها استسلام فرنسا وقد احضرها هتلر خصيصاً لتوقيع الاتفاق لان الحلفاء جعلوا المانيا توقع فيها وثيقة الاستسلام عام ١٩١٨.



■ الجيش الالماني في ساحة النصر بباريس!



■ الماريشال بعد التعاون.. مع هتلر في مؤتمر [illegible] "مونتوار" في ٢٤ تشرين الاول ١٩٤٠

الوحدة التي تعود الى عشرة قرون، وذلك في اطار التوجه البناء لتشييد النظام الاوروبي الجديد. اننا سنعمل خلال فترة قصيرة على تخفيف معاناة بلدنا وتحسين مصير بنائنا وتخفيف اعباء الاحتلال. كما سنعمل على تخفيف القيود على الحدود من اجل تسهيل عمل الادارة الرسمية الفرنسية ومن تسهيل حركة التموين لبلادنا. يجب ان يكون هذا التعاون مخلصا. وعلينا ان نزيل من اذهاننا كل فكرة عدوانية. وبالتالي من الضروري ان نعمل ما في وسعنا لتنفيذ متطلبات هذا التعاون بكل صبر وثقة.

"وعلى كل حال فان اتفاقية الهدنة ليست هي السلام...

"... هذه هي سياستي. من الآن فصاعدا سيكون الوزراء مسؤولين امامي فقط. ان التاريخ سيصدر حكمه عليّ انا وحدي. كنت في السابق اخاطبكم كأب، اما اليوم فانني اخاطبكم كقائد فاتبعوني وضعوا ثقتكم في فرنسا الى الابد..."

محاولة "تطمين" بريطانيا

وكان لهذا اللقاء بين بيتان وهتلر صدى واسع في الاوساط العالمية الرسمية والشعبية مما دفع بالماريشال بيتان الى القيام بسلسلة اتصالات سرية للتخفيف من وقعه. وكان ابرز هذه الاتصالات اجتماعه بسفير البرتغال في فرنسا في ٣٠ تشرين الاول الذي كلف بابلاغ ونستون تشرشل انه بعد "كمب مونتوار" لن تتأثر العلاقات الفرنسية ـ البريطانية وطلب ان ينقل اليه المواقف المبدئية التالية لحكومة فيشي:

١ ـ لن يكون هناك ابدا تعاون عسكري بين فرنسا والمانيا.

٢ ـ لن نسمح ابدا بأي عمل عدواني ضد بريطانيا.

٣ ـ ولكن اذا تعرضت فرنسا الى هجوم فانها ستدافع عن نفسها لوحدها...

وكان هذا الموقف "المبدئي" الثالث مدار سخرية في الاوساط البريطانية شبه الرسمية بسبب ما يحمل من تخبط واضح للماريشال المتعاون الذي لم ترتفع نخوته القتالية عندما تعرضت فرنسا منذ اشهر قليلة فقط الى الهجوم النازي الالماني.

وفي الواقع فان "التعاون" الذي اقترحه هتلر على بيتان في "مونتوار" كان مجرد صفقة شكلية، واظهرت كل الدلائل في ما بعد ان هذا التعاون كان سرابا: فلم يستطع هتلر جرّ الشعب الفرنسي الى تبني سياسة بيتان الاستسلامية، كما لم تستطع حكومة فيشي تبرير خيانتها الوطنية من خلال تصويرها مثل هذا التعاون وكأنه يخفف من آلام الفرنسيين، ذلك لان القمع النازي العنصري كان خارج اطار المساومات التكتيكية.

تنازلات كبيرة

وهكذا كان لقاء "مونتوار" الاطار القانوني للتنازلات الكبيرة التي قام بها بيتان، وأهمها:

+ دعمه المعنوي للقوات الفرنسية العاملة بأمرة الجيش الهتلري على الجبهة السوفياتية.

+ تشجيعه للميليشيا الفرنسية التي شكلها المحتل لتكون جهازا قمعيا رديفا للغيستابو.

+ تجاهله لعمليات الابعاد المتزايدة ضد الفرنسيين.

+ تجاهله لمصير مقاطعة "الالزاس لورين" الفرنسية التي عمل هتلر على ضمها لامبراطوريته.

وككل متعاون كان مصير بيتان مرهونا بقدرة النازيين على استغلال مكانته واصله الريفي الفلاحي المتواضع لخدمة اغراضهم. وعندما استنفدت قوات الاحتلال كل اوراق بيتان خلعته بالقوة من منصبه كرئيس لفرنسا في ١٩٤٤/٨/٢٠ واستبدلته بمتعاون آخر "اكثر حيوية". وبعد اربع سنوات من بدء "تعاون" بيتان مع العدو سقط الماريشال المتعاون قبل سقوط هتلر: وكان هذا يعني في الواقع هزيمة ساحقة لسياسة الامر الواقع القصيرة النظر.

شارل ديغول

بطاقة هوية

اعداد : محي كحالة

هنري ديغول لم يكن شخصاً عادياً، عدا كونه والد الجنرال شارل ديغول، فقد عرف في بداية القرن العشرين بسعة ثقافته: كان يحمل لقب دكتوراه في الاداب وفي العلوم وفي الحقوق.

شارل ديغول ولد في ١٨٩٠ وفتح عينيه على بداية عصر مشحون والتقى فرنسا الجمهورية الثالثة، الاجواء العائلية التي عاشها اثرت كثيراً في قدرته وحياته السياسية، والده المثقف اتخذ مواقف ثابتة وصريحة من القضايا السياسية والاجتماعية المطروحة في عصره، لكن وطنيته وحبه لفرنسا ترسخا في اعماقه فنقلهما الى اولاده بحرارة وايمان، هاجس الكرامة الفرنسية لم يفارقه ابداً.

طفولة شارل ديغول تعتبر اهم مراحل حياته قبل تكوين شخصيته الفذة، لم يكن سهل المراس ولا صاحب شخصية بسيطة، كان نكداً ومشاغباً، وغالباً ما كان طبعه لا يحتمل، كان متصلباً ومتسلطاً يريد فرض إرادته على اخوته، وفي المدرسة نصب نفسه محامياً للضعيف، لكن شارل الطيب او المتصلب يبقى شارل البارد، ويمزح اخوانه ووالداه فيقولون: "ربما سقط شارل من جبل ثلج".

حتى بين العاب الاولاد كان ديغول يختار مجموعة رائعة من الجنود، كانوا يتقاسمون الجيوش: كزافييه ملك انكلترا وجاك امبراطور روسيا، ودائماً شارل ملكاً لفرنسا، وكانت الصعوبة الكبرى ايجاد من يحمل تاج بروسيا.

عاش الاولاد دائماً بفضل والدهم الاجواء التاريخية وكانوا لا يمرون في شارع او منطقة دون ان يثير الوالد ذكريات وطنية حدثت فيها او اعطت للشارع اسمه، خلال تناول وجبات الطعام تدور الاحاديث عن قيصر وبومبي، عن كورناي وراسين، عن الشرف والحب، والكاتب المفضل هو كورناي: لان ابطاله ينتصرون دائماً، وكل خميس وأحد يروي هنري ديغول لاولاده المتحلقين حوله الاساطير الشهيرة او يقرأ لامرتين او يخبرهم عن سيرانو دو برجراك.

وكل سنة تحتفل العائلة بعيد القديسة حنة لان السيدة ديغول تحمل اسمها، وللمناسبة يلبس الاولاد ثياب شخصيات مسرحية شهيرة.

كان في الرابعة عشرة من عمره عندما الف كوميديا "اللقاء المزعج"، وبعد نظر والده ــ الذي تخرج على يديه اكثر من جيل ــ جعله يكتب يوماً "شارل سيذهب بعيداً... بعيداً، يا الهي، اجعل كل شيء يتم على ما يرام".

كان اعجابه بكل اولاده يمنعه من تمييز ذكاء شارل وصفاته الفذة: قوي ومشاغب، مستبد ومتعصب، لم يكف يوماً عن اظهار عطف فائق تجاه اهله، "انه الولد الاكثر محبة" يردد، ولصغر سنه لم يتمكن من التقدم الى الامتحان الرسمي للبكالوريا فالتحق بصف الفلسفة حتى لا يضيع وقته، ولكنه في النهاية نجح بتفوق في البكالوريا القسم الاول.

لكن "الازمنة الجميلة" لم تمر دون مشاكل سياسية، وفي الاجواء العائلية تتخذ القضايا السياسية الوطنية والعالمية اصداء بعيدة المدى، ورغم القوانين المدرسية للجمهورية الفرنسية تبقى فرنسا ابنة الكنيسة، وتأتي مسألة "دريفوس" وذيولها لتلقي الاضطراب في حلقة العائلة التي ترى في الجيش اداة الانتقام المستقبلية. وعلى الحدود، كانت حرب الترانسفال تثير سخط هنري ديغول.

في العام ١٩٠٧ غادر شارل ديغول باريس، اذ انه بعد طرد اليسوعيين من فرنسا ارسله والده الى معهد القلبين الاقدسين في بلجيكا لدراسة الرياضيات.

واظهر التلميذ براعة في الرياضيات وحثه اساتذته على التحضير لدخول مدرسة البوليتكنيك، انما لا، كان اختياره يتوجه منذ زمان نحو "سان سير" وعلى الاخص سلاح المشاة، وهو يقول "ان ميدان العمل فيه اوسع".

ومن ٢٠ الى ٢٥ ايار ١٩٠٨ اعتكف التلامذة لتحضير دروس نهاية السنة، كان من العادة ان ينال التلميذ اللامع شرف تقديم الشكر الى مدير المعهد الاب اراس، هذا التلميذ كان شارل ديغول، الذي وقف وقال: "يؤخذ على تلامذة اليسوعيين ان



لا شخصية لديهم سنعرف كيف نبرهن على العكس". ويتوقف قليلا ليضيف: " اما المستقبل فكبير لانه سيكون من صنعنا". والغريب انه في السنة ذاتها اعلن انكليزي يدعى ونستون تشرشل ان "باستطاعتي احياناً ان احمل العالم على كتفي".

قبل الحرب الكبرى بأربع سنوات عاد ديغول الى باريس ودخل معهد ستانيسلاس لتحضير دروس "سان سير". وفي الصف، كان اساتذة وطلاب يناقشون في اوقات فراغهم اعمال شارل مورا ويحللون بحماس بدايات "الاعمال الفرنسية" ومبادىء الوطنية البحتة.

وبعدما عبر ديغول حدود عصرين ماذا يكون: ملكياً كوالده او جمهورياً؟ لقد رأى الملكية ظلا ينكفىء وكان الواقع يدل على ان فرنسا وحدها الباقية. وهو تمسك بالديموقراطية وبالجمهورية التي اتخذت طابعاً وطنياً اصيلا. ان الانظمة تمضي ويبقى الوطن، وفي نظره دخلت الجمهورية الثالثة - العابرة كغيرها - في صلب الاشياء.

الدفعة الرابعة والتسعون في "سان سير" استقبلت تلميذاً جديداً يدعى شارل ديغول ما بين ١٩٠٩ و١٩١٢. كان على الطلاب المرور بسنة من الخدمة العسكرية الالزامية، فاختار شارل سلاح المشاة الثالث والثلاثين في "اراس".

في ١٩١٠ يخضع ديغول بشعره الحليق لنظام المدرسة القاسي، وفي ١٩١٢ يخرج منها بلباسه العسكري وسيفه برتبة ملازم فيختار مجدداً سلاح المشاة الثالث والثلاثين في ارتوا.

لقد "تعلم ليغلب" لكنه يهتم كثيراً بالحياة السياسية. وبكلمة يعبر عن اعجابه بزعيم برلماني مثيراً الدهشة في الوسط العائلي: انه جورج كليمنصو، هذا الرجل الذي لم يكن بعد صانع النصر، والذي قبل ١٩١٤ لم ير فيه اليمنيون سوى العدو الرئيسي للرهبان والملوك. انه رئيس المجلس الذي تجادل مع النائب الملكي "راحل" في جلسة عاصفة دارت حول العقاب الواجب انزاله بخمسة ضباط شاركوا في قداس اقيم ضمن ندوة للشبيبة الكاثوليكية.

انما في نظر ديغول كان كليمنصو يجمع الصفات التي ستوصله الى اعلى المستويات. وقد وافقه عندما عارض التوسع الخارجي لفرنسا معتبراً ان المعارك الخارجية في "ما بعد البحار" خيانة كبرى لمبادىء فرنسا.

في احد الايام عين قائد جديد للكتيبة الثالثة والثلاثين. انه بيتان: هذا الفلاح الذي اختار مهنة السلاح بعد هزيمة فرنسا في ١٨٧٠ - ١٨٧١. ومثل ديغول لم تفارقه فكرة محددة هي: الثأر. وبعد هذا التعيين بدأت العلاقات تتوثق بين بيتان وديغول، فاكثر من صفة مشتركة جمعت بينهما. بدأ الاعجاب من طرف واحد، تحمس ديغول لقائده الفذ. ٣٤ عاماً تفصل بين الرجلين. وعندما ولد ديغول كان بيتان يتابع دروس المدرسة العليا للحرب. وفي ١٩٠٠ عين مدرساً في المدرسة الوطنية للرماية. وقد اثار فرنسا بآرائه الحديثة عن الحرب وقال عنه ديغول "انه رجل كبير".

وعشية الحرب الكبرى وضع بيتان خطة عسكرية لم يحد عنها: لا يهاجم قبل استنزاف العدو. انه رجل الدفاع لا الهجوم. لقد كان ينقصه شيء هام: لم يكن يملك فن قيادة الجيوش.

ان شخصية بيتان الذي ضحى بمستقبله من اجل افكاره جذبت ديغول بنفس النسبة لتعاليمه. والاعجاب صار متبادلا. اذ القائد الهرم يعرف قيمة الانسان. وكانت علاماته لديغول كالآتي:

١٩١٣: الفصل الاول، تخرج من "سان سير" في المرتبة ١٣ من اصل ٢١١، برهن منذ البداية على انه ضابط قدير يبشر بمستقبل اكيد.

١٩١٣: الفصل الثاني: ذكاء حاد، يحب عمله الى حد العشق... يستحق كل تقدير.

ورغم كل المظاهر، فان بيتان وديغول خجولان للغاية. انهما متكبران ولكن مختلفين: الاول بكبرياء الفلاح والثاني بكبرياء الارستقراطي. كانا يعرفان جيداً حقيقة قيمتهما واحتقرا الرجال المبتذلين. كانت البلاهة والدونية تثيران قرفهما.

ولم يخف ديغول تعاليه، في "سان سير" كان رفاقه يدعونه "الديك" او "الطاووس" لكن بين بيتان وديغول كانت هناك فوارق بارزة. كان الاول ملحداً منذ الصغر، اعزب، قاسياً، ذا علاقات كثيرة لا تعد. وكان يصرخ بقوله: "اكثر ما احب، المشاة والحب". وكان يلهو مع اي امرأة دون النظر الى المستوى او الثقافة. طلب اليه يوماً ان يعطي اسماء الضباط الذين يحضرون القداس فصرح بانه يجلس في الصف الاول وبالتالي لا يمكنه مراقبة الحضور!

كان اسلوبه يعتمد على الكلمة المعبرة التي تلخص الفكرة: "ان الهجوم هو النار المتقدمة والدفاع هو النار التي توقف الهجوم. المدفع يغزو، والمشاة يحتلون".

في ١٩١٤ لعب القدر. لا شيء يوقف الاخطار. الملازم ديغول مستعد للتجربة الكبرى.

المقاومة الفرنسية السرّية اثناء الاحتلال النازي

| اعداد قسم الدراسات

اسمه الحقيقي: جيلبير رينو
من اشهر القابه الحركية السرية: ريمي
أول مؤلفاته التي صدرت غداة تحرير فرنسا من الاحتلال النازي: "مذكرات عميل سري لفرنسا الحرة".

ولد رينو سنة ١٩٢٠ وهو ما زال على قيد الحياة حتى اليوم.

اضافة الى المعلومات المثيرة التي تضمنها الكتاب، كشف ريمي للمرة الاولى في مقابلة مهمة (١) جوانب جديدة من حياته السرية والعلنية تستحق التوقف عند اهمها.

★ ★ ★

وريمي ليس بجاسوس محترف كباقي الجواسيس التقليديين، انه مناضل من اجل الحرية والديمقراطية. دخل ميدان العمل السري صدفة ومن غير تدريب مسبق. كان دافعه الرئيسي: مقاومة النازية التي تحتل بلاده.

قبل الاحتلال النازي لفرنسا (حزيران ١٩٤٠) عمل ريمي في قطاع المصارف ثم في قطاع التأمينات. ومن خلال عمله هذا اتصل بعدد كبير من الشخصيات والفعاليات وسافر الى بلاد عدة منها اسبانيا حيث كان يأمل بالعمل في شركة تأمين كانت تمول فيلما سينمائيا عن كريستوف كولومبوس. ولكنه ما لبث ان عاد الى فرنسا اثر نشوب الحرب الاهلية الاسبانية في سنة ١٩٣٩.

فور سماعه بدخول طلائع الجيش الالماني النازي الى فرنسا، هاجر ريمي الى بريطانيا هربا من العنصرية الهتلرية التي لم يعرف الاخبار والروايات عنها في بادىء الامر الا نفر محدود من المحظوظين مثل ريمي الذي استقى المعلومات الحية عن الممارسات النازية من صديقه الالزاسي "اوتو هونتزباخلر"، مراسل وكالة "هافاس" للانباء في براغ. اوضح ريمي هذه النقطة بقوله: "... كنت من بين الفرنسيين القلائل الذين سمعوا في تلك الفترة بمعتقلات "داشو" الرهيبة وباساليب الفيستابو العنصرية. وأؤكد انني تركت كل شيء بسبب اولادي وزوجتي...".

ومن لندن كان الجنرال ديغول يبث نداءاته عبر الاذاعة لمقاومة الاحتلال النازي. ومنذ اللحظة الاولى لسماعه برنامج ديغول شعر بواجبه الوطني؛ وفي اليوم التالي ذهب ريمي الى مقر الجنرال في سانت ستيفنس هاوس قرب ويستمنستر. ولكنه لم يحظ بمقابلة الجنرال في البدء فاحيل الى ضابط في المخابرات... وهكذا دخل ريمي في خدمة مخابرات فرنسا الحرة برتبة كولونيل.



أخطر عملية تجسس

كانت اخطر عملية تجسس نجح ريمي في تأديتها تحديده للمواقع الاساسية للقواعد العسكرية البحرية الالمانية المنتشرة في مرافىء بحار الشمال والمانش والاطلسي. واهمية هذه العملية انها اتت في وقت كان يستعد فيه النازيون لمهاجمة بريطانيا بحرا بواسطة اسطول ضخم من احدث الطرادات الحربية التي كانت تجهز في اكثر من مكان على طول شواطىء البحار الثلاثة.

قال ريمي: "... كلفوني بالقيام باحصاء للقواعد الالمانية وبتحديد مكانها وتجميع اكبر عدد ممكن من المعلومات حولها... وبدأت العمل... كان ذلك في اواخر صيف ١٩٤٠. سافرت اكثر من مرة الى فرنسا بهويتي الحقيقية. وكان ذلك سهلا بسبب ان الفيستابو لم تكن رتبت جهازها بعد في الاراضي المحتلة.

بدأت اولا بتنظيم الاتصالات وتأمين ارسال البريد بانتظام. وفوجئت بكثرة المتطوعين الراغبين في العمل معي. وفي تلك المرحلة الاولى من عملنا كنا حذرين من المخبرين فقط على رغم انهم لم يتجرأوا بعد على الظهور علنا...

حصلنا على اول خبر مهم بواسطة بائع نبيذ أكد لنا ان الالمان يجهزون قاعدة عسكرية في "سانت نازير" ... وبدأت فورا في البحث عن خبير

(١) نص المقابلة في كتاب خاص اصدرته مجلة "ايستوراما" الفرنسية المتخصصة في التاريخ، وعنوانه "الجواسيس الكبار خلال الحرب العالمية الثانية"، الجزء الاول، ١٩٧٤، صفحة ١٠٢

— ٤٥١ —



■ صورة لريمي في تشرين الاول ١٩٤٢

بالاتصالات اللاسلكية لتشغيل جهاز راديو وزنه ٣٠ كلغ كان الانكليز زودوني به قبل مدة، وكما تلاحظ لم تكن لدى الانكليز الامكانات الكافية لتزويدي بجهاز راديو اخف وزنا وبالتالي اقل مجازفة...

كان علينا العمل بسرعة لان معركة الاطلسي كانت قد بدأت بالفعل...

وتكاثرت المعلومات لدينا: فعلمنا بوجود قاعدة عسكرية بحرية في "لوريان" واخرى في "لاباليس" ... وهكذا عرف الحلفاء بين آذار ١٩٤١ وحزيران ١٩٤٢ كل ما يجري في مرفأ "بوردو" من تجهيزات واستعدادات عسكرية. وشكلت هذه المعلومات التي نقلناها الى لندن المنطلق لتدمير ١٠١ طرادا المانيا اضافة الى اكثر من ٤٠ باخرة شحن مختلفة... ثم انصب جهدنا على الطرادين الالمانيين الخطيرين "غنيزانو" و"شارنهورست" اللذين عرفنا انهما موجودان في "بريست" في احواض "نينون". وحصلنا على هذه المعلومات المهمة والاستراتيجية من الملازم "فيليبون" الذي كان يعمل كخبير تقني في "نينون" لصالح البحرية الالمانية النازية. وكان "فيليبون" يخدم النازيين بسبب كرهه "الوراثي" للانكليز. وعرفنا في ما بعد انه اقسم يمين الولاء للماريشال بيتان يوم تسلمه السلطة تحت الاحتلال. وتطلب اقناعه بصحة المبادىء التي نناضل من اجلها وقتاً غير قصير اضافة الى اتصالات سرية مع رئيسه في العمل الكابتين "الديغولي" كورسون...".

معلومات عن الطراديين

كان هاجس ريمي في كل لحظة تأمين اكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذين الطرادين تسهيلا لشن غارة عليهما من قبل سلاح الجو البريطاني. واظهرت نوعية اتصالاته وعملائه ان الخلايا السرية التي نظمها يومها كانت متينة للغاية ودقيقة في عملها.

واستنادا الى هذه المعلومات استطاع سلاح الجو البريطاني في ١٩٤١/٤/٦ اعطاب الطراد "غنيزانو" لمدة ٦ اشهر على الاقل، ولكن المقاومات الارضية الالمانية حول الموقع، والتي قدرت باكثر من ٣٠٠ مدفع مضاد للطائرات، اسقطت كل الطائرات البريطانية المهاجمة يومها.

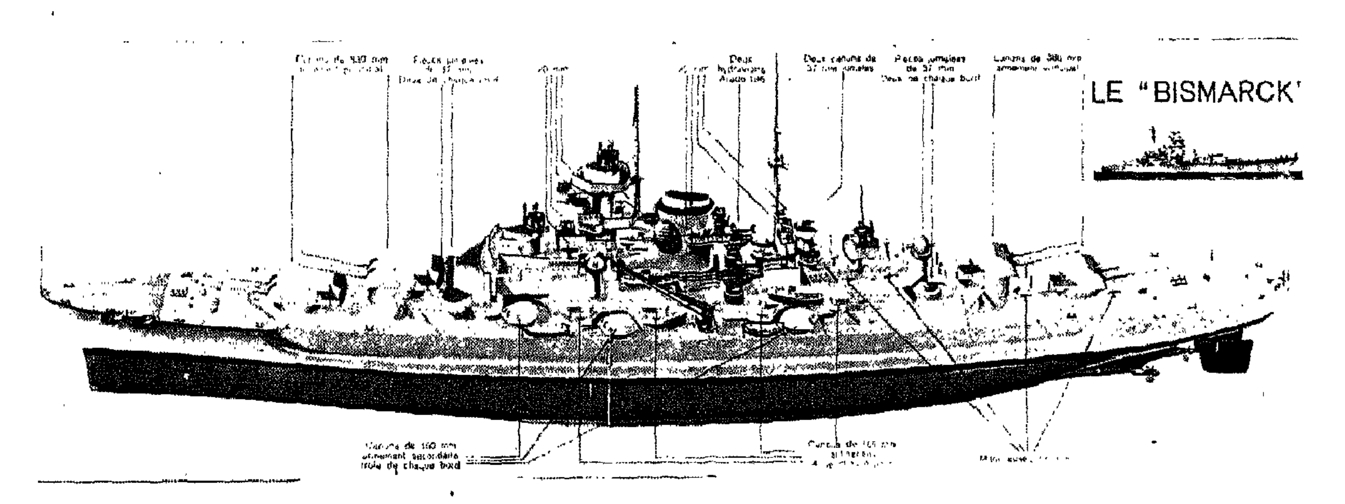
وفي ١٩٤١/٧/١٨ اصيب "غنيزانو" مرة ثانية مما اعطبه لاشهر اضافية اخرى.

اما بالنسبة الى الطراد الآخر "شارنهورست"، فمطاردته كانت اصعب:

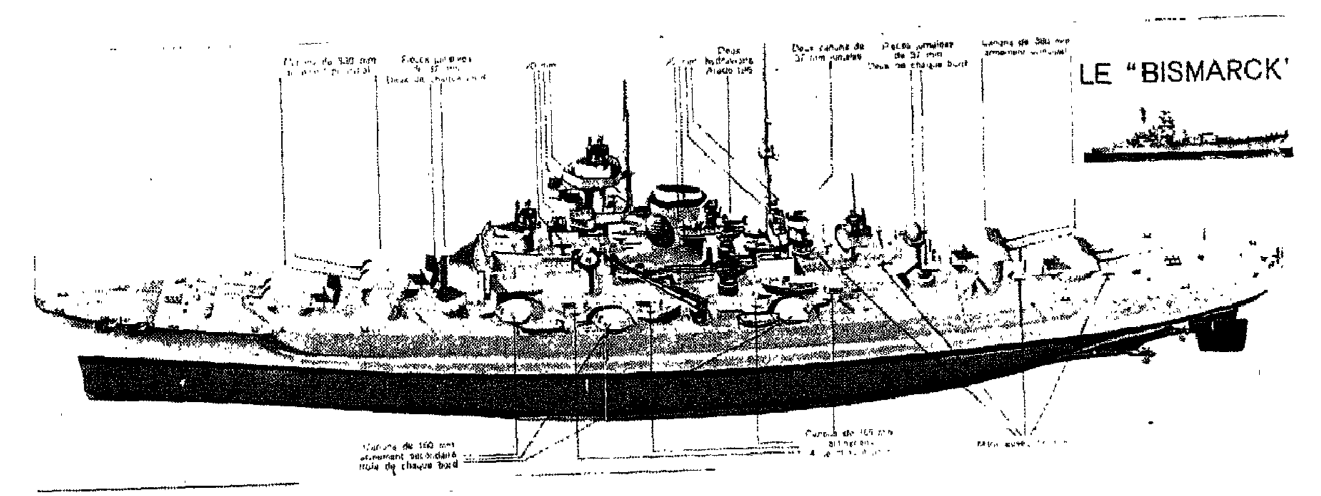
"... ففي ٢٣ تموز ابرقت الى لندن، بناء على معلومات عملائنا، بما يأتي: "غادر "شارنهورست" "بريست" صباح هذا اليوم قبل الفجر بقليل. اعتقد انه يتجه جنوبا". وكان رد سلاح الجو البريطاني سريعا ولكن مأساويا: تمشيط كامل المنطقة بالصواريخ والقنابل مما الحق خسائر جسيمة في صفوف المدنيين. والمهم، مع ذلك، ان "شارنهورست" اصيب صدفة بخمس قنابل على الاقل اعطبته لمدة ٤ اشهر.

وفي اوائل تشرين الثاني ١٩٤١ ارسل "فيليبون" الى ريمي برقية مستعجلة ابلغه فيها بأن الالمان اعادوا اصلاح "غنيزانو" و"شارنهورست" وانهما سيبحران قريبا الى جهة مجهولة. وبعدما تأكد ريمي من الموعد المحتمل لابحار الطراديين ارسل برقية الى القيادة في لندن بتاريخ ١٩٤١/١٢/٦ جاء فيها ان الطرادين المذكورين، اضافة الى طراد ثالث هو الطراد "لوتزو"، ستبحر من "بريست" الاول والخامس عشر من كانون الثاني ١٩٤٢. ولكن مر الوقت المحدد ولم يظهر للطرادات اثر. ويبدو ان الالمان هم الذين سرّبوا هذا الموعد الخاطىء لتضليل الحلفاء مما اوقع جهاز ريمي باكمله في بلبلة لم يكن يتوقعها خصوصا وان الغيستابو كانت حديثة العهد في فرنسا، وهذا يدل على الفعالية الكبيرة للمخابرات النازية في الاشهر الاولى من احتلالها لفرنسا.

ولم يستسلم ريمي لليأس. حاول الاتصال بلندن اكثر من مرة لتحديد موعد محتمل جديد لانطلاق



■ صورة للطراد "بيسمارك" مجلة "ايستوريا"



الطرادات من "بريست" الا انه لم يوفق مما اضطره الى المخاطرة بارسال "برقية مفتوحة" يحدد فيها موعد الاربع والعشرين ساعة المقبلة كموعد محتمل للعملية. ومرة اخرى كان التوقيت غير صحيح.

وكان يوم الحادي عشر من شباط هو اليوم الذي ابحرت فيه الطرادات الالمانية الثلاثة. وعرف ريمي هذا الخبر المفاجىء من صحف الصباح التالي. وتتالت الاخبار الصحفية والمذاعة بعدما كان هو المحرك لها في السابق:

+ الطرادات الالمانية تعبر "كاليه" بنجاح
+ سقوط سنغافورة بيد النازيين
+ اصابة "غنيزانو" و"شارنهورست" بالغام بحرية. رسو الطرادين في "كييل" لتصليحهما.
+ غارة جوية بريطانية في ٢٧ شباط اصابت "غنيزانو" اصابات مدمرة جعلته غير صالح للاستخدام بتاتا.
+ الطراد البريطاني "ديوك اوف يورك" يغرق "شارنهورست" في بحر الشمال...

.. ونكسة في المعلومات

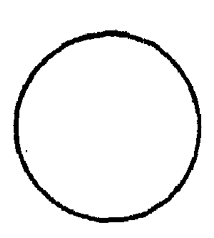
ولكن اذا نجح ريمي في كثير من مهماته فانه كان لا بد من ان يواجه بعض النكسات ليس بسبب سوء تصرف منه او اهمال من قبل رجاله وانما بسبب طبيعة العمل التجسسي نفسه. وابرز فشل واجهه كان في قضية الطراد الالماني "بيسمارك". كانت الاشارة التي لفتت نظر ريمي اكثر من غيرها هي ما تبلغه من احد "عيونه" في جزيرة "لونغ" حيث علم ان استعدادات عسكرية واسعة تبنى في "لانسفيك". فاستنتج ريمي على الفور ان ذلك يعني بالضرورة احتمال رسو طراد كبير في الميناء، وربما كان هذا الطراد "تريبتيز" او "بيسمارك". وصدقت توقعاته. فارسل الى لندن مبرقا في ١٠ ايار ما يأتي: "بيسمارك في بريست بعد حوالي ٣ اسابيع".

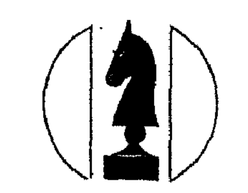
ولكن المشكلة ان القيادة في لندن لم تكترث كثيرا الى هذه البرقية التي كان يرد امثالها بالعشرات يوميا من المراكز العديدة في انحاء اوروبا.

وفي ٢٦ ايار ارسل "فيليبون" برقية الى ريمي جاء فيها: "بيسمارك في بريست الاربعاء في ٢٨ ايار"، وللصدف لم تصل البرقية الى ريمي الا في صباح ٢٩ ايار في اللحظة التي كان يتصفح فيها ريمي الصحف حيث قرأ ان "بيسمارك" اغرق الطراد البريطاني "هوود". وصعق للنبأ وهو الذي كان يعتقد ان معلوماته تلقى العناية اللازمة في العاصمة البريطانية. فلماذا اهملوا ما ارسله اليهم قبل ٣ اسابيع؟

الجواب على ذلك اوضحه ريمي كالآتي: "خلال حرب التجسس تخضع كل اخبارية، مهما تكن صحيحة للوهلة الاولى، الى تمحيص دقيق. ولا يؤخذ بها الا اذا جاءت تعزز التوقعات التي يكون كبار المسؤولين قد وضعوها مسبقا امامهم بمثابة فرضيات". واضاف ريمي:

"واعتقد انه لو ارسلت برقيتي فور ورودها الى الاميرال جون توفيي، قائد سلاح البحرية البريطاني، لاتخذت هذه القضية منحى آخر تماما".





تاريخ الشطرنج بالقصص

يكتبها محمد مراد بكر
رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج
الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج

بريطانيا

يقول باستيرو في كتاب صدر له سنة ١٨٦٣، ان الشطرنج دخل انكلترا حوالي سنة ٩٢٥ ـ ٩٤٠. اما تقاليد الفروسية فعرفتها بريطانيا في القرن الحادي عشر مع النورماند، وكان الشطرنج في ذلك الوقت يحتل مع العاب الزهر مكان الصدارة بل تكاد تكون الالعاب الوحيدة التي كانت تملأ اوقات فراغ كبار القوم، حتى ان اهوال الحرب المدنية لم تستطع ان تخفف من هذه الهوايات (وهذا ما يؤكده ج. اندروز في كتابه "العادات في بلاد الانكلوساكسون"). وكان الانكليز يتناقلون الشطرنج ابا عن جد ولم تكن بعض العائلات تجد اجمل من لعبة الشطرنج تملأ بها فراغها.

وتروي "مركور دي فرانس" في عددها الصادر في تشرين الثاني ١٧٢٨ حكاية قاطع الطرق الانكليزي الذي احتال على اسقف كانتربيري لتشليحه امواله.

وتفصيل القصة، ان قاطع الطرق هذا، وقف يوماً على جانب الطريق الذي يمر منه رجل الدين هذا كل يوم وما ان راى عربة الاسقف حتى بدأ يقوم ببعض الحركات وكأنما يكلم ربه، فوقف الاسقف ليعرف السبب، وما انرآه قاطع الطرق حتى قال بصوت منكسر حزين: "اني اقود نفسي للخراب". "كيف ذلك" سأله الاسقف فقال: "كما ترى يا سيدي انا العب الشطرنج"، "لوحدك؟" سأله رجل الدين، "كلا" اجاب الرجل. اني الاعب ربي وقد خسرت خمسين جنيهاً، خذها ان سمحت يا سيدي، فانت وكيله على الارض، ووزعها على الفقراء، فهذا هو الاتفاق بيني وبين الرب"، والح في ذلك. فظنه رجل الدين معتوهاً خصوصاً بعد التشدد عليه للموافقة، فاخذ منه المال مكرهاً لاهماد ثورته ثمتابع طريقه.

وفي المساء اثناء عودته وجد الاسقف الرجل في مكانه يتابع نفس الحركات ولما نزل من العربة واقترب منه ليعرف الخبر، صرخ فيه الرجل والمسدس في يده: "هذه سادس مرة اربح بها المولى، لقد خسر الرب معي٥٠٠ جنيه وعليك التسديد فانت وكيله في الارض". واضطرّ الاسقف امام تهديد المسدس لان يدفع له المبلغ كاملا.

ولم يكن الشطرنج في انكلترا كما هو في فرنسا لملء الفراغ وقتل الوقت، ولكنه كان علماً يعطى (بضم الياء) كل الاهمية، ولا شيء كان يزعج اللاعب الانكليزي مثل سماعه زميله الفرنسي يقول: انه من المستحسن ان نلعب اربع جولات وسط من ان نلعب جولة واحدة مدروسة، اذ لم يكن الانكليزي يلعب الشطرنج لقتل الفراغ بل كان يطبق المثل الانكليزي الذي يقول "اعط عملك كل الاهتمام ولو كان تافهاً" فالاتقان اهم من كل شيء. وهكذا كان الانكليزي يعطي الشطرنج كل تفكيره وتركيزه الذي يعطيه لبقية اعماله.

لذا كانت بريطانيا العظمى (في ذلك الوقت) البلد الاوروبي الذي بلغ عدد لاعبيه في الشطرنج رقماً قياسياً من الذكور والاناث، اذ لم يكن من النادر ان تلتقي باحدى سيدات المجتمع تلعب الشطرنج بمهارة في الصالونات التي كانت منتشرة في ذلك الحين.

وتفنن كثير من الشعراء في وصف الشطرنج وخصص له الكثيرون قصائد منفصلة، فقد نشر روك قصيدة عنوانها "شاه مات فيخمس نقلات" وكان ذلك سنة ١٨٥٦ في مجلة "لاعب الشطرنج"، ونشر ابلاي سنة ١٨١٩ قصيدة تصف جولة في الشطرنج ربحها دونيل كما نشر كيرات غيرهاولعل الطفها قصيدة نشرت سنة ١٧٦٤ يصف فيها هاوكنز معركة او جولة كماتخيلها بين فارس وبين الامازون. واطولها ما نظمه توملنسون فيمجلة "ذي تشيس بلاييرز" سنة ١٨٥٨ وهي مؤلفة من اربعة اقسام:

القسم الاول ـ روح الشطرنج
القسم الثاني ـ ممارسة الشطرنج
القسم الثالث ـ ضحية الشطرنج
القسم الرابع ـ توظيف اوقات الفراغ

وقد كانت في لندن وحدها سنة ١٨٥٠ ست مجلات تهتم بالشطرنج وثلاثون اخرى في كافة المملكة البريطانية. هذا بالاضافة الى الصحف العديدة التي كانت تهتم بالشطرنج واخباره. كما

اشتهرت بريطانيا بكثرة نوادي الشطرنج ولعل اولها ما انشىء سنة ١٧٧٠ فيمقهى شارينغ كروس وآخر انشىء سنة ١٧٧٤ في ذاتشد هاوس في شارع سانت جايمس واشتهر بعدد اعضائه المائة (لم يكن يقبل اكثر)، وثالث في مقهى اولد سلوتر في سانتمارتن لاين، وانشأ فيليدور اللاعب الكبير ناديا في لندن سنة ١٨٠٧ وكان اللاعبون يجتمعون في البدء في متهى (كافي هاوس دي بارسلو) وقد لعب هذا النادي سنة ١٨٢١ مباراة بالمراسلة مؤلفة من خمس جولات مع باريس دامت خمس سنوات. وضم نادي تشس كلوب المؤسس سنة ١٨٤٩ احسن لاعبي العصر مثل ستاوتن، سلون، ستاينيتز وغيرهم كثيرين.

وسنذكر في حلقة اخرى بعض التفاصيل الاخرى.

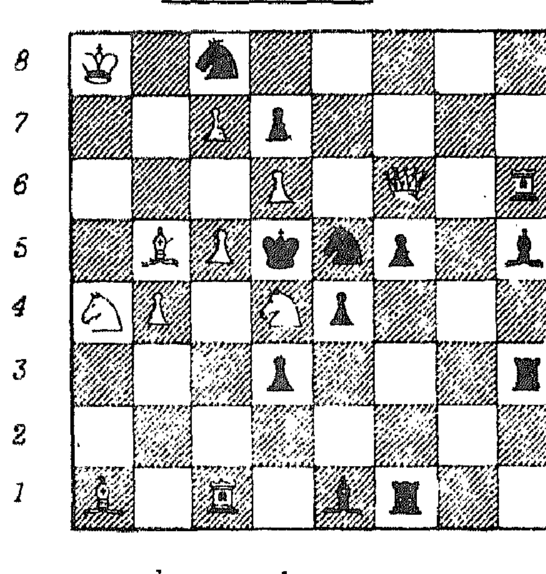
مسابقة الشطرنج

وسننشر في كل عدد مع الحل الصحيح للمسائل المنشورة اسماء الذين توصلوا الى الحل الصحيح في المدة المحددة والذين سيكون لهم الحق بالاشتراك في الجائزة السنوية.

ترسل الحلول الى ادارة المجلة ص.ب. ٥٩٠٥ ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج. يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

المسابقة رقم ٢

المسألة رقم ٣
مات بنقلتين



المسألة رقم ٤
مات بثلاث نقلات

	a	b	c	d	e	f	g	h
8	♔			♗		♚	♗	
7	♟		♘		♟			
6					♟			
5						♟	♖	♙
4			♘					
3			♟					
2								
1				♞	♜	♞		

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: مائة ليرة لبنانية للفائز الاول.

الجائزة الثانية: اشتراك لمدة سنة في "تاريخ العرب والعالم" للفائز الثاني.

الجائزة الثالثة: اشتراك لمدة نصف سنة للفائز الثالث.

حل المسائل المنشورة في العدد رقم ١

المسألة رقم ١ – المفتاح: 1 — Ré 4

المسألة رقم٢ – المفتاح: 1 — Tb 6

وسننشر في العدد المقبل اسماء الذين ارسلوا الحل الصحيح في الوقت المناسب.



ماذا تعرف عن الطوابع ؟

اعداد: ميشال اسطفان

الاخصائي في الطوابع

مصر

بدأ التخليص في مصر بواسطة المكاتب الاجنبية التي كانت قائمة في الاسكندرية وبورسعيد والسويس والقاهرة، فكان كل مكتب يستعمل في البدء طوابع البلاد التي يمثلها مع ختم خاص بمصر ثم صدرت بعدئذ طوابع خاصة بهذه المكاتب.

الى جانب ذلك كانت الطوابع التركية التي بدأت عام ١٨٥٩ تستعمل في جميع البلدان الواقعة تحت السلطة العثمانية، الا ان مصر لم تلبث ان اصدرت مجموعتها الاولى في عهد الخديوي اسماعيل بتاريخ اول كانون الثاني سنة ١٨٦٦، مؤلفة من سبعة طوابع، طبعت لدى مؤسسة بيلاس اخوان في جنوا بايطاليا حسب النماذج المصورة ادناه، ووشحت بالباره والقرش المصري الساريين وقتئذ، وباللغة التركية كالآتي: التوشيح على اليمين "تمغاي" اي طابع – فوق "بوسته" اي بريد – الشمال "مصرية" – الوسط "مصر" – اسفل "بش باره" اي ٥ باره – "اون باره" اي ١٠ باره – "يكرمي باره" اي ٢٠ باره – "بر غروش" اي قرش واحد – "ايكي غروش" اي قرشان – "بش غروش" اي ٥ قروش – "اون غروش" اي ١٠ قروش.

وبالنظر الى ارتباط تاريخ الطوابع في البلاد العربية وبلدان حوض المتوسط بالمكاتب الاجنبية التي كانت قائمة فيها، وبسبب ما كان لها من فضل في نشر الطابع عندنا، رأينا ان نعطي في كل حلقة من بحوثنا بعض المعلومات الايضاحية الاساسية عن هذه المكاتب الاجنبية، وخصوصاً انه جاءت في بعض اصداراتها طوابع اصبحت اليوم ذات قيمة مرتفعة، وبنوع خاص ما كان منها على غلافات تحمل اختاماً واضحة.

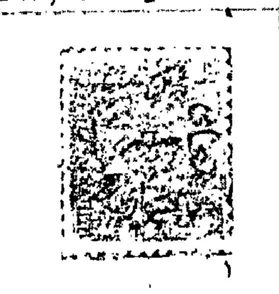
المكتب الفرنسي: باشر المكتب الفرنسي اعماله في عام ١٨٤٠ اي قبل تسعة اعوام من صدور اول طابع فرنسي عام ١٨٤٩ ومن البديهي الا تكون لدى هذا المكتب طوابع يومئذ بل كان يستعمل الاختام الخاصة بكل بلد يعمل فيه، واستمر ذلك حتى اواخر ١٨٤٩ حين صدرت الطوابع الفرنسية العادية فاستعملت في شتى المكاتب الفرنسية وكانت تعطل باختام تحمل ارقاماً خاصة تختلف باختلاف البلدان وهي بهذا الشكل: صورة ٨-٩

فالارقام التي استعملت في الشرق العربي هي: الارقام الصغيرة – ٣٧٠٤ (اسكندرية) ٣٧٠٦ (بيروت) ٣٧٦٦ (اسكندرون) ٣٧٦٨ (يافا) ٣٧٦٩ (اللاذقية) ٣٧٧٣ (طرابلس سوريا).

والارقام الكبيرة – ٥٠٧٩ (اسكندرون) ٥٠٨٠ (اسكندرية) ٥٠٨٢ (بيروت) ٥٠٨٩ (يافا) ٥٠٩١ (اللاذقية) ٥١٠١ (طرابلس سوريا) ٥١٠٥ (السويس) ٥١٠٧ (تونس) ٥١١٩ (القاهرة) ٥١٢٩ (بورسعيد).

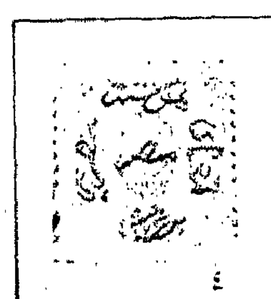
وفي عام ١٨٨٥ استعمل المكتب طوابع فرنسا الصادرة عام ١٨٧٦و١٨٧٧/٩٨ بعد توشيحها بالعملة المصرية اي بالقرش ثم اصدر عام ١٩٠٢ مجموعة خاصة مؤلفة من ١٥ طابعاً تشبه الاصدارات الفرنسية مع اضافة كلمة Levant في اسفل الصورة.

وهناك ايضاً اصدارات اخرى تبعتها عام ١٩٠٥و١٩٠٦و١٩٢١و١٩٤٣ تجمع ١٧ طابعاً مختلفاً، ومن بين هذه الاصدارات طابع يحمل كلمة بيروت قرش واحد:

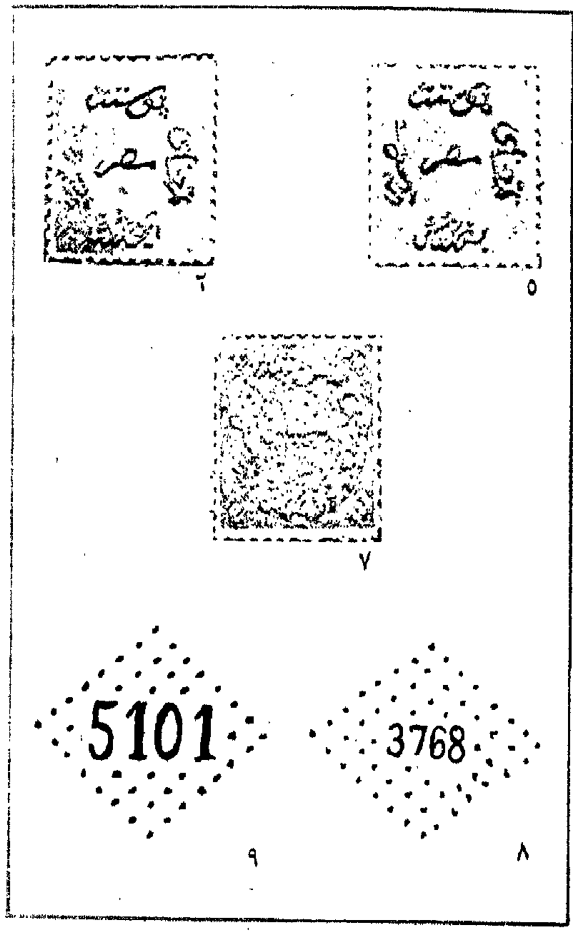

١


٢


٣


٤

اصدره المكتب احتياطياً، وقد وقع خطأ في الطبع اصاب طابعاً واحداً في كل صفحة فوردت كلمة " Piastre " بدلا من Piastre وقيمة هذا الطابع التجاري اليوم هي: السادي جديد ٣٥٠٠ مخنوم ٤٢٥ فرنكا فرنسيا، والمعلوم جديد ٩٠٠٠ المختوم ١٥٠٠ فرنك فرنسي.

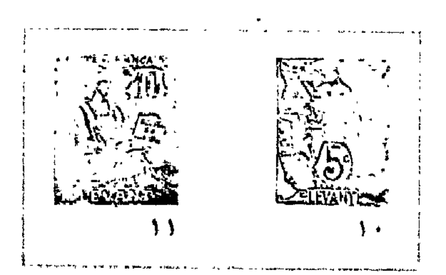


قسم الطوابع

■ نرحب بجميع الاسئلة من لدن القراء وهواة جمع الطوابع وسننشر في هذا المكان ما يكون منها مهما ومفيداً. ارسل ملاحظاتك واقتراحاتك الى مجلة "تاريخ العرب والعالم" – قسم الطوابع – ص.ب (٥٩٠٥) – بيروت – لبنان

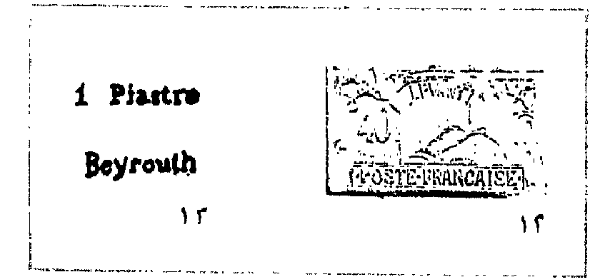
حركة البيع والشراء

■ هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة او البيع او الشراء. وقد درسنا احسن الاسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا مجاناً في خدمة القراء.



هل تعلم؟

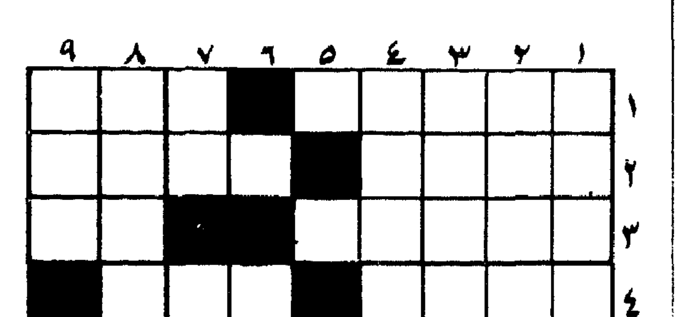
ان الطابع الذي يمثل فلك نوح والذي اصدرته حاضرة الفاتيكان في اواخر ايار ١٩٧٤ فئة ٢٥ لير ايطالي قد رسمته الانسة كارول مناديلي (١٣ سنة) وقتئذ، اللبنانية الجنسية والطالبة في مدرسة الكرمل سان جوزيف في مباراة فابريانو للسنة العالمية للكتاب وقد اختير رسم الانسة مناديلي من بين ٢٦٥ صورة.



هل تعلم ان اول طابع ظهر في العالم كان عام ١٨٤٠ يحمل صورة امرأة هي الملكة فكتوريا ملكة انكلترا، وكان سبب ابتكار الطوابع ان فتاة اسكتلندية اتفقت مع من يراسلها على علامات تكتب على الغلاف حتى اذا تسلمته اطلعت عليها وعرفت المقصود من الكتاب ثم ترفض تسلم الغلاف فتنجو بذلك من دفع اجرة التخليص. وعرف بذلك احد المدرسين ويدعى "رولاند هل" فتصور الضرر الذي يصيب مصلحة البريد اذا كثر عدد امثال هذه الفتاة، كما شعر بالصعوبة التي يلاقيها الفقراء في دفع اجور التخليص المرتفعة، فابتكر فكرة الطوابع ولاقى كثيراً من الصعوبة لاقناع الدولة بفائدة ابتكاره.

وهل تعلم ان "الفايننشال تايمز" نشرت في عدد حزيران ١٩٧٨ ان الطوابع البريدية الثمينة اصبحت عنصراً استثمارياً في العالم، فمنذ سنتين ولمدة ثلاث سنوات لاحقة على الاقل سيكون الطلب متزايداً لشراء الطوابع العالمية الثمينة، لجعلها من جملة احتياطي المؤسسات التجارية المختلفة.

مسابقة الشهر



عمودياً:

١) بلد عربي، بلد عربي،
٢) كانت سيدة البحار،
٣) ملكة سابقة تراها على احد الطوابع،
٤) عصفور مرقط معروف،
٥) قادم (معكوسة)، شتم،
٦) يزيغ،
٧) ثلثا موت، يستخرج من زهر الورد،
٨) مدينة تاريخية، اسم مذكر اجنبي (معكوس)،
٩) ربط اصبعه بخيط كي لا ينسى شيئاً ما، مدينة في ولاية تكساس (معكوسة)،

افقيا:

١) بلد عربي ـ بلد عربي
٢) خالق (معكوس)، بلد عربي
٣) عاصمة بلد عربي، نجيع
٤) يصير طيباً، فقد البصر
٥) اصبع
٦) حرف نداء متكرر، ٤ مرات،
٧) عملة قديمة تساوي سدس الدرهم، قائد الماني يلقب بثعلب الصحراء،
٨) بلد عربي،
٩) بلد عربي، عاصمة بلد عربي،

حل مسابقة العدد الماضي

عمودياً:

١) فخر الدين ١) ياق ـ سوريا ٢) لص ـ غورو ٣) وكيل ـ اميل ٤) ري ـ ننو ٦) وشاية ٧) ابن سينا ٨) جر ـ حنف ٩) بعلبك ـ ربي

افقياً:

١) كورولليف ٢) خاصكية جب ٣) رق ـ شارل ٤) باول ٥) وال ـ بحنين ٦) ديران ـ سن ٧) موري ـ ايفر ٧) نوغيس ٩) ليطاني،



للطلاب فقط ...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب فيجامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت، صديقي الطالب، بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا أن ترسل الحلول مع القسيمة الى عنوان المجلة، مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة او الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتغفل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لان المسابقة مخصصة للطلاب... وللطلاب فقط.

اية معركة ؟

■ المعركة التي نشبت بين المقاومة المغربية وعلى راسها الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي والقوات الاسبانية عام ١٩٢١. ففي شهر تموز (يوليو) وبينما كان الامير محمد عبد الكريم الخطابي يحاصر اجربين، وصل القائد العام للقوات الاسبانية سلفستر لنجدة الحامية المحاصرة فلما وجد انها سقطت قرر الانسحاب فتتبعته القوات المراكشية. وفي ١٨ تموز (يوليو) التحمت معه في معركة (.....) التي تعد من الوقائع الحاسمة في تاريخ مراكش حيث اباد الامير الخطابي الحملة الاسبانية بأسرها بما فيها القائد سلفستر نفسه. على اثر هذه المعركة هبت قبائل الريف وطمرت المراكز الاسبانية المبعثرة في انحاء المنطقة ويعزو الاسبان وقوع هذه الهزيمة الى امرين: طبيعة البلاد الصعبة والفساد الذي كان منتشراً في صفوف جيشهم وإدارته لكنهم يتجاهلون عاملا ثالثاً مهماً وهو ان زعيم المقاومة اتجه الى تأسيس ادارة منظمة والاستفادة من احدث وسائل الحرب في مقاتلة العدو.

اي اتفاق ؟

■ تفاهم سرى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتسام الامبراطورية العثمانية ولقد امكن التوصل الى اتفاق نهائي بشأن ذلك خلال تبادل ١١ رسالة خلال فصلي الصيف والخريف من عام ١٩١٦. وكانت الاتفاقية تقضي بأن تسيطر فرنسا على المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وان تضع بريطانيا يدها على كل من العراق وفلسطين. اما روسيا فكان المفروض ان يكون نصيبها منطقة الاناضول التركية على ان تقام دولة عربية اتحادية مستقلة في المناطق التي لا تستولي عليها اي من الدول الثلاث السابقة الذكر. وكانت هذه الاتفاقية مناقضة كل التناقض للاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا مع العرب والوعود التي قطعتها للشريف حسين شريف مكة. كشف لينين اسرار هذه الاتفاقية بعد ثورة اكتوبر.

اي طبيب ؟

■ فيلسوف وطبيب اسلامي (٩٨٠ ـ ١٠٣٧).
ولد في افشنه من قرى بخاري.
يعتبر من عباقرة المسلمين. برع في الطب والفلسفة والطبيعيات. يعتبر منظم الفلسفة والعلم في الاسلام، كتبه كثيرة ومتنوعة الموضوعات. وتمتاز بالوضوح والايجاز.
كتاب "الشفاء" اكبر كتبه الفلسفية. ويشمل المنطق والطبيعيات والرياضيات وقد اخذ بمذهب ارسطو خاصة ويعتبر من اعظم شارحي كتبه. كتابه "القانون في الطب": موسوعة طبية تحتوي على ما ذكره الاطباء اليونان الاقدمون. بالاضافة الى ما ساهم به العرب في هذا المجال. ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية في القرن الثاني عشر، واعيد طبع الترجمة ست عشرة مرة في اواخر القرن الخامس عشر وعشرين مرة في القرن السادس عشر. ويعتقد انه كان من اكثر الكتب الطبية استعمالا في تلك العصور.

من هو ؟

■ محام وسياسي فرنسي. ولد في باريس ١٩٠٧. نائب في الجمعية الوطنية (١٩٣٢ ـ ١٩٤٠و١٩٤٦و١٩٥٨). نائب وزير الخزانة ١٩٣٨. تطوع في الطيران الفرنسي اثناء الحرب العالمية الثانية. قومسير الشؤون المالية في اللجنة الفرنسية للتحرر الوطني ١٩٤٣؛ ثم وزير اقتصاد ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦. رئيس وزراء ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥. عقد اتفاقية مع الرئيس الحبيب بورقيبه باستقلال تونس. مشهور بتأييده لسياسة اسرائيل

ماهو ؟

■ اتحاد ضعيف الروابط يجمع بين دول مستقلة تحتفظ فيه كل دولة باستقلالها وسيادتها التامين مع الاتفاق على بعض القطاعات المشتركة بين الدولتين او الدول المشتركة فيه. ويشترط في مثل هذا النوع من الاتحاد عادة ان تكون قراراته بالاجماع بل انها تكون عادة مجرد توصيات ترفع الى السلطات المختصة في كل بند على حدة لاقرارها نهائيا. ومعنى ذلك ان هذا النوع من الاتحاد هو اقرب الى التنسيق منه الى الاتحاد.

اي عالم ؟

■ عالم نفسي نمساوي (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩)
تلقى تعليمه في "فيينا" و"باريس" وعمل استاذاً لعلم امراض الاعصاب في "فيينا" وقد اضطر للهجرة الى انكلترا اثناء الاضطهاد النازي فعاش بقية حياته في لندن. وقد اشتهر بشكل خاص لاعتماده تفسير الاحلام كأسلوب لتشخيص انواع الخلل العقلي كالهستيريا (الهرع).
تعتمد مدرسته في التحليل النفسي على فهم الدوافع البيولوجية الاساسية كالطاقة المرتبطة بالدافع الجنسي في تفسير السلوك. الا ان "يونغ" و"ادلار" نبذا هذه النظرة واصرا على اهمية الدوافع البيولوجية كأساس لارادة الحياة وارادة القوة على التوالي؛ واستبدلا الترابط الحر للافكار كميزة تشخيصية (في الدراسة النفسية). مارس التنويم المغناطيسي (الايحاء) لمعالجة الحالات العصبية ثم تركه لعدم كفايته وعاد الى الترابط الحر للافكار؛ وقد طور نظريته في ما بعد. من اهم مؤلفاته: "علم الامراض النفسية للحياة اليومية"؛ و"تفسير الاحلام".

الجوائز هي:

■ الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية
■ الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة.
■ الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة



■ ستانلي ماتيوس لاعب كرة القدم الشهير ـ عام ١٩٣٧

■ انطونين ماغن. دورة فرنسا للدراجات عام ١٩٣١.

الرياضة في الثلاثينات

وكيف افسدتها التجارة ؟

اعداد : رفيق علم الدين

رئيس دائرة الرياضة في "الانترناشونال كولدج"

كانت الثلاثينات احدى الحقب التي شهدت أعظم الأيام الرياضية، ورغم أن المصالح التجارية سيطرت فيها على الرياضة، فان النتائج البعيدة كانت مخبأة في المستقبل واعطت الأسماء الكبيرة (أونيز، برادمان، بيري، ولويس) في سني ما قبل الحرب شعوراً بالحنين للانتصارات الكبرى.

وفي الثلاثينات كان الازدياد في الاحتراف الرياضي، والمشاعر الوطنية للرياضيين والمشاهدين والروح الرياضية العالية احدى الميزات التي سيطرت على الحياة الرياضية في أعلى مستوياتها.

لقد حققت الأسماء الكبيرة انتصاراتها بجدارة عالية، وبرز أبطال مثل: جوي لويس، فريد بري، الكس جيمس، هنري كونوف، جيسي أونيز، دون برادمان، ولين هوتون. وبالرغم من الاصطدامات الجسدية، في مباريات التجارب في استراليا باشراف "دوغلاس غاردن" والتمديد الثالث والدفاعي لكرة القدم، وغرابة الأولمبياد النازي عام ١٩٣٦ وتفوق الاميركيين في الملاكمة، يمكن القول ان تلك الحقبة حافظت على براءتها الرياضية.

ففي الألعاب البدنية لم يقم أحد بتدريبات قاسية، الا في فترة ما قبل الحرب. وفي العام ١٩٣٦ كانت الالعاب الاولمبية الألمانية سبباً في ازدياد التدريب وتحسينه. في الكريكيت ظهر "وولي هاوند" كأحسن لاعب اذا استثني "برادمان" الذي يعتبر اكبر آلة لتحقيق الاهداف على مدى العصور. أما "اتنس" فلم يكن يطغى عليه الـ Scrue and Volley كما هو اليوم ولكن كان هناك مكان للاعبين ذوي فن عال مثل "باتي أوستن" من بريطانيا. أما كرة القدم فرغم تحولها الى لعبة دفاعية وازدياد عمليات الدفاع لكسر الهجوم، فقد بقيت Laughably Carefree ومفتوحة بالنسبة لضربات الجزاء الكثيرة والتعديات الميكيافيلية في الستينات.

بدأت الرياضة الحديثة في انكلترا في العصر الفيكتوري. لكن لعبة الكريكت كانت بالطبع اقدم من ذلك. أما كرة القدم والألعاب البدنية في شكلها الحديث وسباق الدراجات، ونظام "كونيزبري" للملاكمة، والتنس والركبي فقد انتشرت كلها في هذا الظرف الخصب.

ومع هذه الألعاب واعتمادها وتطويرها في المدارس العامة والجامعات ولد شيء آخر: المتفرج الرياضي. كانت المباريات من أجل النصر مفهومة، لكن "الهدف" كان الشيء المتوقع الى أن قام "البارون دو كوبرنين" باحياء الألعاب الأولمبية واحياء فكرة كون خسارة الهدف شيئاً من المشاركة في النصر، كان ذلك مبدأ انكليزياً صرفاً.

وهذا المبدأ يفسر واقع ان الرياضة لم تكن تؤخذ بجدية من قبل اللاعبين والسلطات الانكليزية خلال الثلاثينات كباقي البلدان. وهذا ما أوحى الى اللورد "هوك" رئيس "نادي وركشاير كونتي للكريكت" بالصلاة من أجل ألا يصل أي قائد فريق الى منصب قيادة انكلترا أبداً.

اولمبياد ١٩٣٦

في هذه الأجواء، يمكن النظر الى المباريات الاولمبية عام ١٩٣٦. ومنذ الحرب، كان "البارون دو كوبرنين" يزداد اعجاباً بالمبادىء الرياضية لكن النازيين استغلوا أولمبياد برلين كمهرجان دعائي كبير. كانوا كثيري العدد كمعرض جسماني. ظهرت البزة النازية في كل مكان، من الحراس الذين يشهرون الحراب على طرفي الملعب الى الجسر المشاد فوق الطرق الرئيسية وذلك لجعل المتفرجين يندهشون بعظمتهم. حتى أن اللجنة الاولمبية الدولية التي تنظر الى السياسة نظرة حساسة، تجاهلت كل النداءات وأحتجت على اجراء الألعاب في المانيا وغادرت المكان.

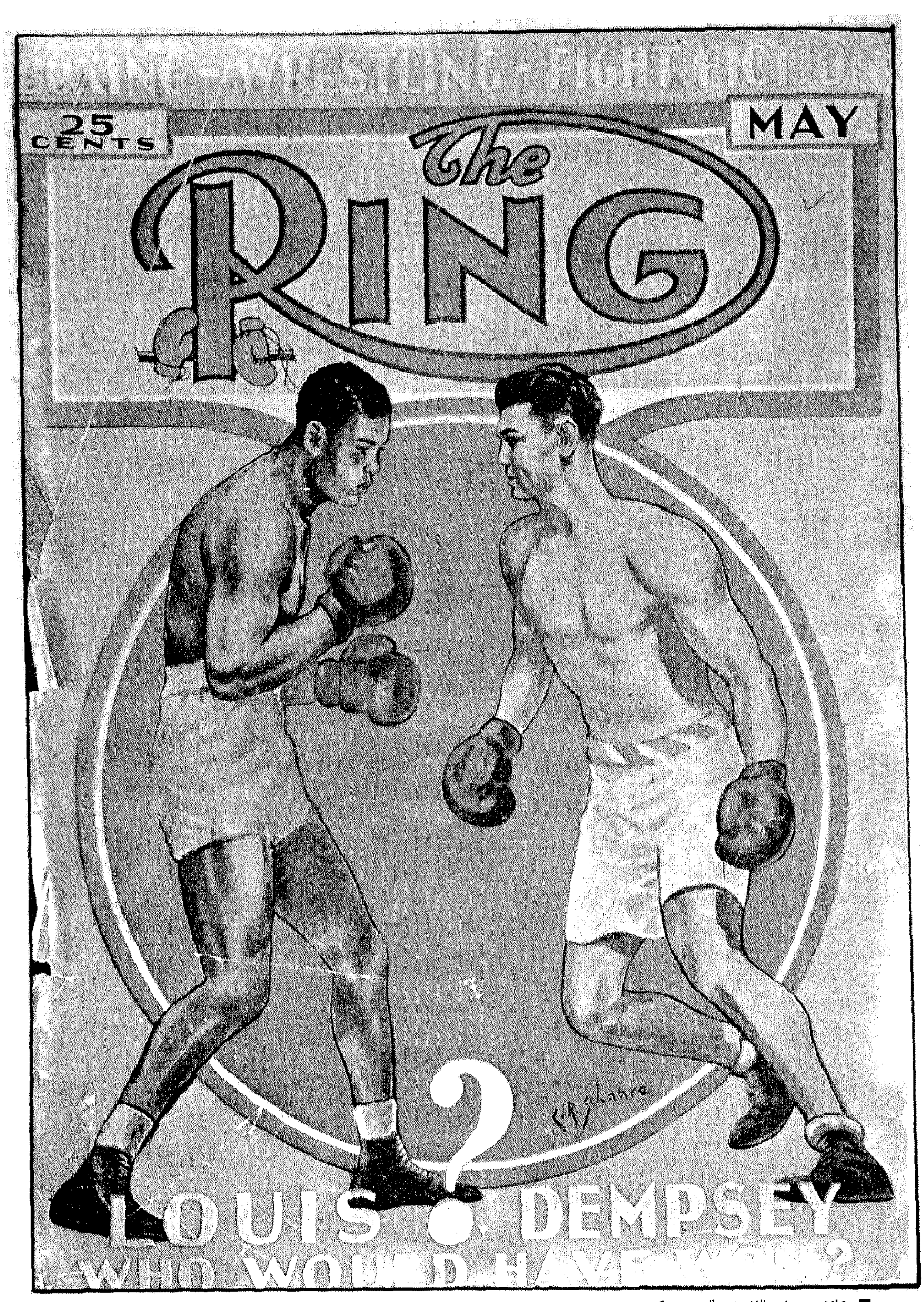
وقد يكون التحدي الالماني وراء قيام الألمان ببناء ملاعب كرتونية سيئة المظهر كتب عليها "القرية الأولمبية - ١٩٣٢" وعرضها في المتاجر خارج مبناهم الأولمبي وذلك لاظهار تفوقهم على الدورة التي جرت في لوس انجلوس في ذلك العام.

لقد قام الفريق الانكليزي بالهزء من النازيين عندما أدى التحية "بنظرة الى اليمين" أثناء مروره أمام هتلر بدلا من التحية النازية. ولكن بعد سنتين وفي نفس الملعب قام الفريق الانكليزي لكرة القدم باداء التحية النازية لهتلر...ولكنه قام في نفس الوقت بالحاق الهزيمة بالألمان بستة اهداف مقابل ثلاثة.

وكانت سيطرة الاميركيين على هذه الالعاب التي نظروا اليها نظرة جديدة، أهم أحداث الثلاثينات، ففي الملاكمة والعاب القوى (لم تتجاوز المسافات الطويلة) والسباحة والغولف وبالطبع التنس وصل هؤلاء الى القمة بسهولة. وفي كل هذه الالعاب أظهروا إرادة كبيرة للنصر مماثلة للارادة الاشتراكية المتصاعدة وارادة بعض الانكليز مثل "كوتون" "وبري" اللذين ربحا مباريات "ويمبلدون". بجدارة في ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٦.

الملاكمة

أما في الملاكمة وبصورة اكبر مما في الالعاب البدنية، فقد سيطر الاميركيون السود، والملاكم الذي سيطر على الحلبة في ما قبل درب ١٩١٤ كان "جاك جونسون"، وبعده "جاك ديمبس" ذو الوجه



■ غلاف مجلة "الحلبة" الامريكية عام ١٩٣٨ يظهر "جو لويس" الذي نال لقب بطل العالم للوزن الثقيل عام ١٩٣٧ و"جاك ديمبسي" الذي نال لقب بطل العالم عام ١٩١٩.

القاسي في مرحلة العشرينات. أما الثلاثينات فكانت من حظ "غولديس".

وقد ولد "غولديس" في لكسنيكتون" في الاباما باسم جوزيف لويس بارو. ولفت انتباه الجماهير عندما لاكم للمرة الاولى في "ديترويت" كهاو، حيث قام الثري الاسود "جون روكسبورو" بالاهتمام بامره. أما "عرابه" الثاني فكان المدرب "شابي بلاكبورن" وهو رجل قصير القامة لم يكن هناك شك في صداقته للملاكم. ولم يشبه لويس بجونسون، فلم يتغير مجرى حياته الى حياة ناعمة بعد ان انتصر على "جيم برادوك" بالضربة القاضية ونال لقبه كبطل للعالم للوزن الثقيل عام ١٩٣٧، بل بقي بسيطاً صادقاً وأميناً وربما ساذجاً بعض الشيء. وانتشر صدى "فضيحة الضرائب" الخاصة به واضطر الى العودة الى الحلبة في الخمسينات. احتفظ بلقبه احد عشر عاماً وخسر مرة واحدة فقط في المباريات الست والسبعين التي لعبها كمحترف. وكانت خسارته تلك أمام الالماني، "ماكس شملينغ".

وفي ذلك الوقت برز ايضاً "يرميمو كارنيرا" العملاق بطول ٦،٥ ٣/٤ أقدام وهو ايطالي من "سيكولز" والذي قام "رجال العصابات" بالاهتمام به وكان يلعب ست مباريات شهرياً وقد كشف أمره عندما أطاح بالضربة القاضية بخصمه "جاك شارلي" لكي ينال اللقب العالمي. ويبدو ان "شارلي" كان متواطئاً اذ انه بعد احدى اللكمات "جاهد" للوقوع على وجهه.

يعتقد البعض ان "لويس" هو أعظم ملاكم عرفته الحلبة. والبعض الآخر يعتقد انه بالرغم من "لكمته اليسرى الجبارة" كان شديد الاستقامة وينبئ بانتصاره. وقد هزمه "شميلنغ" بلكمة مباشرة من يمينه وأوقعه "أرنوروغوري" بطريقة الكروشينغ.

في بريطانيا ظهرت عدة مواهب، وعلى الاخص "بيني لينش" الهادئ. كما انتصر "لين هارفي" في بطولة العالم للوزن الخفيف ـ الثقيل وكان ملاكما في زمن "مصارعين".

وأخيراً جاء "تومي فار" الذي لاكم "لويس" بجدارة في نيويورك عام ١٩٣٧ واعتقد الكثيرون انه سينتصر عليه لكن النصر كان من حظ "لويس".

الغولف

كان عام ١٩٣٠ هو العام الذي انتصر فيه "بوبي جونز"، هاوي الغولف الاميركي، في المباريات الاربع المفتوحة التي جرت في ذلك العام، لكن جونز، الذي كان يلعب بطريقة مركزة كان أحد وجوه العشرينات. وكان في الثامنة والعشرين عندما انتصر. ويبدو ان ذلك كان دافعاً له للانتصار في عام ١٩٣٠ ولذلك لم يعد بعد ذلك من مجال لانتصار هاو على محترف.

فالغولف، في الثلاثينات أصبح رياضة كاملة يحتاجها المجتمع الصناعي جسدياً وتجارياً وكان يمكن التجارة بالغولف وبمبارياته لكن نوادي الغولف في كل من بريطانيا وأميركا بقيت خاصة بطبقة اجتماعية محدودة وببعض المحظوظين.

وقد حافظ لاعبو الغولف البريطانيون على انتصاراتهم في الثلاثينات، وباستثناء "كوتون" كان هناك "ديك بورتون" الذي أصبح في ١٩٣٩ أول لاعب بريطاني يربح مباريات سان اندروس المفتوحة منذ ان ربحها "جيمس بيرد" عام ١٩١٠. ومرة أخرى تحولت الرياضة عن هدفها وأصبحت تجارة.

ففي أميركا خصصت رواتب للمحترفين ولم يكونوا، كالبريطانيين مضطرين لاعطاء الدروس أو للعمل في متجر النادي.



■ هنري كوتون، المحترف الانكليزي في لعبة "الغولف"

"كأس العالم"

لكن كرة القدم نالت اكبر مساندة شعبية في كل من أوروبا وأميركا الجنوبية. وفي الثلاثينات أقيمت ثلاث مباريات لنيل ما دعي "كأس العالم" كانت أولاها في الاوروغواي عام ١٩٣٠. لم يشترك فيها اي من الدول البريطانية التي انسحبت من "المنظمة الدولية لكرة القدم" عام ١٩٢٥ بسبب خلاف حول جعل المتفرجين يدفعون ثمن الدخول الى المباريات ذات "الوقت الممدد".

أما الاوروغواي التي ربحت بجدارة مباراتين في العشرينات بفريقين محترفين فقد فازت بأول "كأس عالمي" لعدم وجود منافسين أقوياء كون المسافة عن أوروبا بعيدة (لم يكن الطيران كما هو اليوم) وفازت على منافستها المحلية الارجنتين.

في عام ١٩٣٤ فازت ايطاليا بالكأس وجعلت منه شيئاً كثير الاهمية كما قال المراقب البلجيكي "جون لانجينوس" وكان السبب الذي دفعها الى الانتصار هو الدعاية للنازية. وكما قال أحد السياسيين: "أن الرياضة الفاشية هي جزء من مبادئها"

وبالتأكيد كان هنالك القليل من المبادىء الفاشية في الطريقة التي اتبعها الفريق الايطالي بقيادة مدربه "فيتورو بوزو" ورغم عدم كونه فاشياً - اذ كان يسير على خطى الانكليز - فقد استغل بخجل حرارة المبادىء في تلك الأيام لاهدافه الشخصية.

وفي ذلك كان أثناء التدريب يقول "ان اللاعبين سيلعبون من أجل المبادىء الشرعية" وكان باستطاعته أن يسير على رأس فريق منهم يتقدمهم العلم وينشد معهم نشيد "لن يمروا". كانوا يلعبون بخشونة وبطريقة غير مألوفة كما فعلوا عندما لعبوا ضد تشيكوسلوفاكيا في "الوقت الممدد" بعد تعادلهم بهدف سجله "أورسي" أحد لاعبي الارجنتين الثلاثة في الفريق.

أما النمسا التي خسرت في المباريات نصف النهائية فقد تجاوزت الحدود بفريقها الجبار الذي أسسه "هوغومايزل" في بداية الثلاثينات وكان جديراً بأن يشاهده الانسان.

أما كرة القدم البريطانية والتي لم يهزم أحد فرقها الانكليزية والسكوتلندية في بلادها فقد تطورت بقوة مع فريق "أرسنال". وكانت فترة الاصابة من الوسط بعد تجاوز المدافع بلعب غير جميل لكنه قوي بقيادة "هربرت شابمان". وكانت الجماهير التي شاهدت مباريات "الكأس النهائية" في ويمبلي قليلة العدد بالنسبة لمباريات "القصر الكريستالي" حيث شاهدها أكبر عدد من المشاهدين عرفته المباريات.

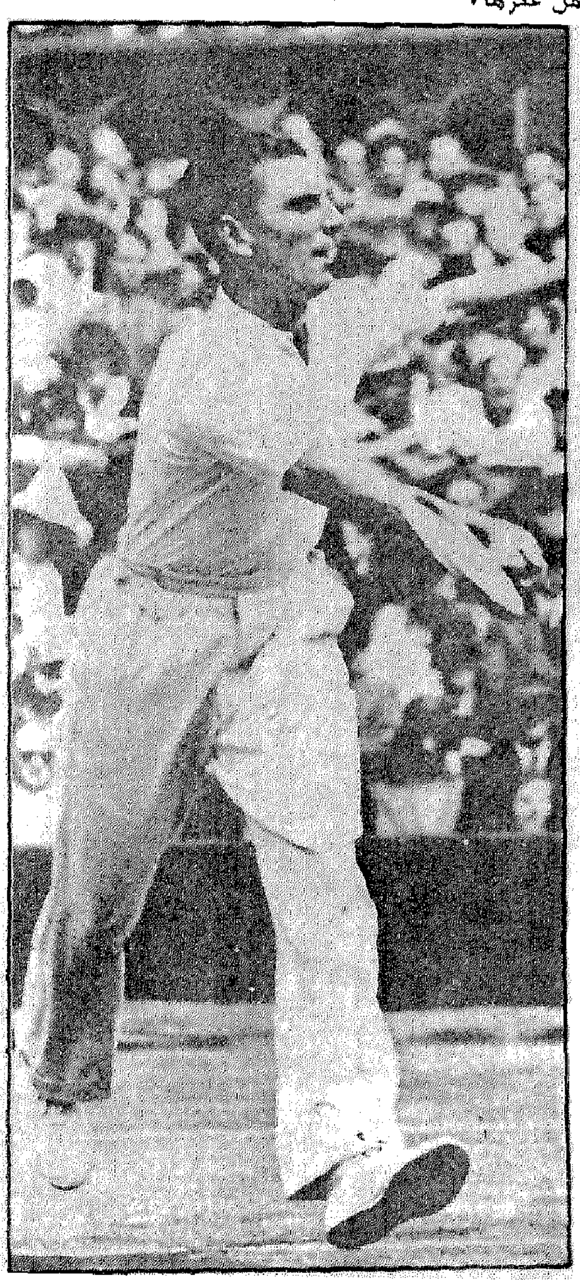


■ جماهير "اوبتن بارك" في ملعب ويست هام عام ١٩٢٣

ومعظم الارقام الجماهيرية عرفت في الثلاثينات: ٨٤٠٠٠ لمشاهدة فريق "أرسنال" في شلساي، ٧٥٠٠٠ في الارسنال لمشاهدتهم يلعبون ضد "الستدرلند" ونفس العدد لمشاهدتهم يلعبون في "وايت هارت" ضد "سيارز".

الاصطدامات الجسدية

للتعبير عن الروح الرياضية كان يقال "ليست كريكيت" لكن ذلك سقط نتيجة المباريات التجريبية لهذه اللعبة التي جرت في استراليا عامي ١٩٣٢، ١٩٣٣ ولم يعد من الممكن تمييز هذه اللعبة من عدرها.



■ فريد بري لاعب التنس الشهير، فاز ثلاث مرات متتالية بدورة ويمبلدون ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦

كانت استراليا قد ربحت المباريات السابقة في انكلترا نتيجة للهجمات الوحشية. وقد قرر "دوغلاس جاردن" قائد الفريق الانكليزي الجديد وهو رجل قوة وتصميم، مجابهة الشيء بمثله. وكان ذلك الشيء أكثر حدة. لذلك أخذ معه إلى استراليا اقوى لاعبي جناح: "هارولد لاروود" للجناح الايمن و"بيل فوس" للايسر.

كانت طريقة لعبهما سهلة ولكنها مميتة. كانا يهاجمان بعنف ويوجهان الكرة الى رأس اللاعب أو أسفل جسده أحياناً، وكانت الضربات هذه تجعل اللاعب المقابل يشتبك معهما لأن همه الأساسي هو الدفاع عن نفسه. واحتج الاستراليون حتى على المستوى الحكومي وسرت شائعات بأن استراليا قد تنسحب من الكومنولث. وأصبح "لاروود" مكروهاً في استراليا بقدر ما كان محبوباً في إنكلترا. ولم تعرف لعبة الكريكت الانكليزية مثيلا لم أبداً.

ويعود لـ "فريد بري" الفضل الأكبر في عدم سيطرة الاميركيين على مباريات التنس وذلك بفوزه بثلاث مباريات متتالية في "ويمبلدون" ونيله "كأس دايفيس" لتفوقه في اللعب.

والفرنسيون أيضاً كانوا مجلّين في اوائل الثلاثينات بفضل "فرسانهم الثلاثة: لاكوست، بوروترا، وكوستيه". فقد فازوا بجميع مباريات "كأس دايفيس" بين ١٩٢٧ و١٩٣٢ وبعد ذلك وحتى ١٩٣٦ سيطر عليه البريطانيون.

اما الأميركيون فقد حصلوا عليه في ١٩٣٧ و١٩٣٨. وبدأ دورهم في الفوز مع الاستراليين. ويبدو واضحاً الان ان بلاداً كفرنسا وبريطانيا ذات الطقس غير المشجع والعدد القليل من محترفي هذه اللعبة وبالمقارنة مع مستوى التدريب الاميركي، لم يكن يمكنها مجاراتهم في الفوز.

الاحتراف

وفي نهاية الثلاثينات بدأ الاحتراف، وازدادت شيئاً فشيئاً العروض المالية السخية. وقد اعترف اللاعب الأميركي "بوبي ريفس" الذي فاز بمباريات "ويمبلدون عام ١٩٣٩" بأنه عاش حياته من مدخوله الرياضي. كان ريفس من كاليفورنيا، وطريقة العيش هناك والشمس والهواء أنبتت عدداً من الأبطال في التنس. كان أكثرهم شهرة "اليس ماريل" التي فازت بسهولة في المباريات النسائية في ويمبلدون عام ١٩٣٩ على الانكليزية "كاي ستامروز" في نهاية اللعب.

كان للنساء دور متصاعد في الرياضة. وقد انجبت أميركا أيضاً اللاعبة بيبي ديدريكسون ـ "زاهارياس" في ما بعد، وهي احدى البطلات الخارقات في اولمبياد ١٩٣٦ التي كانت تستطيع



جو لويس وزوجته عام ١٩٣٥

الجري والقفز بجدارتها في رمي الرمح، وفي سني ما قبل الحرب أصبحت لاعبة غولف ماهرة.

بعد الحرب بدأت الالعاب المخصصة للرجال على ما يبدو كلعبة الـ Shot Putt والاربعماية متر والثمانماية متر، كان النساء يقمن بقطع المضائق سباحة كالاميركية "غرترود أديرل" بينما لعبة التنس "لكأس وايتمان" والتي جرت بين بريطانيا وأميركا فقد ربحتها بريطانيا مرة واحدة فقط عام ١٩٣٠ في دورات ١٩٣٠ ــ ١٩٣٩.

الرياضة الآلية

تقدمت الرياضة الآلية نتيجة للتقدم في عالم الالات. وكانت سباقات "المحرك" تشهد اقبالا منقطع النظير في بريطانيا، وسيطرت المانيا وايطاليا على سباقات السيارات. الاولى بالمرسيدس بونز والثانية بسيارات الالفاروميو، اليوغاني، والمازاراتي، وفي أواخر الثلاثينات بسيارة الفراري. أما سائقو السيارات الانكليزية فقد فعلوا أحسن من ذلك بتصديهم للرقم العالمي في السرعة: كان هناك جورج ايستون الذي قطع بسيارته العريضة مقاطعة "أوتا" و"جون كوب" والذي فاز بالرقم العالمي بسيارته "ريلتون".

ونالت "دورة فرنسا" شهرتها في الثلاثينات كأكبر سباق للدراجات وأكثرها شعبية وحماسة ودعاية في كل أنحاء العالم. كان المتسابقون الفرنسيون والايطاليون في المقدمة يزاحمهم البلجيكيون والهولنديون والاسبانيون وأحياناً الالمان. ولم يكن في السباق بريطاني واحد، رغم ان السباق على الطرقات هو من أصل بريطاني ولكنه لم ينجح. واشتهرت "دورة فرنسا في سباق الدراجات" بانها سباق عنيف حيث من المحتمل ان يتعرض المتسابقون لحوادث خطرة، بينما استغل المعلنون ذلك للقول انه يعود لوعورة الطريق.

وفي كل حال، فقد كان لذلك شهرة كافية جعلت السباق يعود ثانية وبقوة بعد انتهاء الحرب.

الركبي

بقي "الركبي" كالكريكت لعبة الامبراطورية البريطانية. ولكن مرة ثانية أصبح البلد الام لهذه اللعبة في الظل بتفوق انيوزيلنديين وكلهم من السود والجنوب أفريقيين المختلطين.

لم تكن هاتان الدولتان تملكان الحس الاقتصادي للاحتراف ولكن تعلق مواطنيهما "الديني" باللعب جعلهم يلعبون بنشاط للحصول على الاهداف الذي كان المحترفون البريطانيون يكسبونها باحترافهم. ومرة أخيرة كان ذلك شيئاً أكثر أو أقل من ربح جولة.

وفي هذه الفترة كان من الصعب معرفة مكان الحكام ومراقبتهم الالعاب، باستثناء الرياضة البدنية والسباحة. كانت العادة في الثلاثينات هي الاحتجاج على ما يحصل في كرة القدم وفي الكريكت وكان ذلك بسبب صعوبة المراقبة. وكان فن اللعب وطريقته يخضعان كثيراً للمناقشة، أما الملاكمة فهي الرياضة التي تسمح باطلاع على مستوى اللاعبين.

هل كان "لويس" بمستوى "ديمسي" أو "توني" أو "جونسون"!. أغلب ناقدي تلك الأيام كانوا يساوونه بهؤلاء الثلاثة.

وقد جعل شيوع تناول المقويات الالعاب البدنية تزداد وتتسع. لكن الدقائق الاربع في الميل الواحد كانت ما تزال حلماً والتمرين على رفع الاثقال وتجاوز "الحاجز" الخطر كانت كلها آمالا معلقة على المستقبل.

ويبقى انه لو لم تكن الثلاثينات الرياضية حقبة البراءة، لما استطاعت التجارة والصناعة استغلالها وافسادها كما حدث فعلا.

المسابقة الرياضية

١ ـ في اي عام ابصرت لعبة كرة السلة النور، وفي اية مدينة؟

٢ ـ محمد علي فاز على خصمه كين نورثون في مباراة الثأر في اية سنة واين اقيمت المباراة؟

٣ ـ من هو بطل دورة ويمبلدون لكرة المضرب عام ١٩٣٩

٤ ـ متى فاز النادي الرياضي بطل لبنان في كرة السلة في اول بطولة رسمية؟

٥ ـ من ترأس الاتحاد اللبناني للسلاح عام ١٩٦٩؟

٦ ـ بطل لبناني حاز على المرتبة الرابعة في بطولة العالم في كمال الاجسام عام ١٩٥٧

٧ ـ من فاز ببطولة لبنان لكرة القدم عام ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤؟

٨ ـ بطلة مصرية في السباحة اشتركت في الدورة العربية المدرسية في لبنان عام ١٩٧٣ ومثلت مصر في سباقات دولية؟

٩ ـ من فاز ببطولة العالم في الرياضة على حمام العلب عام ١٩٥٦؟

١٠ ـ للعبة كرة الطاولة اتحاد عربي، اين يوجد مقره ومن هو رئيسه الحالي؟

١٠ نقاط لكل سؤال

اختبر معلوماتك

■ اين التقطت هذه الصورة وفي اية مناسبة رياضية؟ من هو اللاعب الذي يحمل الكأس، في أي ملعب؟ وأية سنة؟

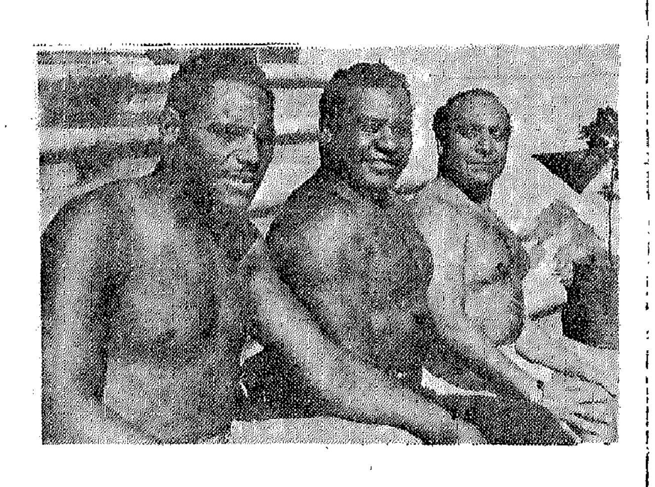
٢٥ نقطة



هل تعرفهم؟

■ ثلاثة من عمالقة السباحة في العالم العربي؟

٣٠ نقطة



الجوائز

■ الفائز الاول: مائة ليرة لبنانية

■ الفائز الثاني: هدية بقيمة خمسين ليرة من محلات "اطلس سبور"

■ الفائز الثالث: اشتراك سنة في المجلة

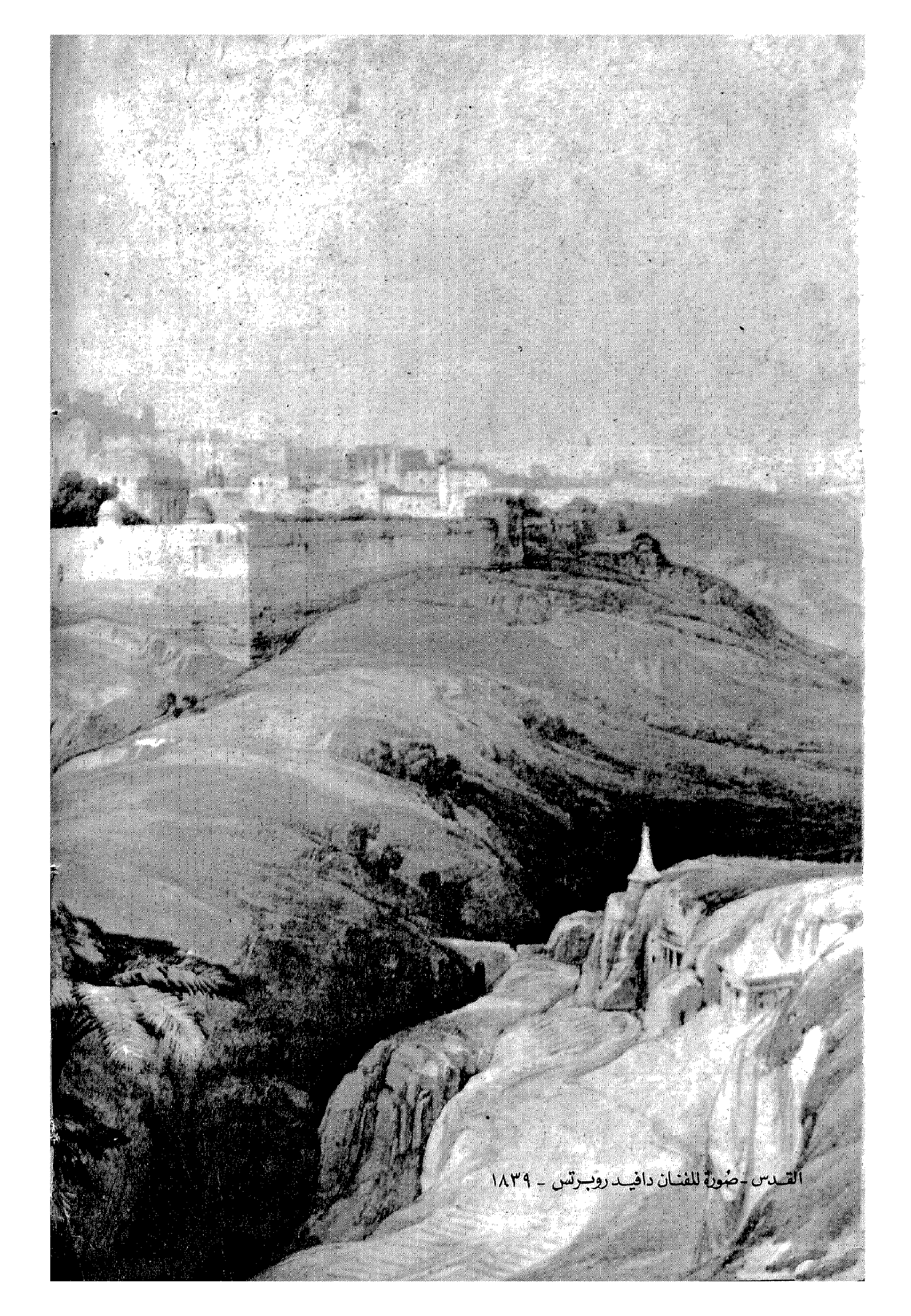
■ الفائز الرابع: اشتراك نصف سنة في المجلة

● ترسل الاجوبة الى ادارة مجلة "تاريخ العرب والعالم" ص.ب (٥٩٠٥) شارع السادات، بناية ابو هليل ـ رقم ١١ ـ بيروت ـ لبنان. ويكتب على الظرف "المسابقة الرياضية". يجب ان تصل الردود قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم بريد البلد الذي ارسلت منه بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.



الماضي الذي سيأتي في اعدادنا المقبلة





القدس - صورة للفنان دافيد روبرتس - ١٨٣٩